

الباب الموفي ستين وخمسمائة

في وصية حكمية ينتفع بها المرید السالك
والواصل ومن وقف عليها إن شاء الله تعالى

[نظم: البسيط]

كان التَّأْسِي بهم من أَفْضَلِ الْعَمَلِ
وبالوصية دَارَ الْمُلْكَ فِي الدُّوَلِ
إن الوصية حُكْمُ اللَّهِ فِي الْأَزَلِ
وليس إحداث أمرٍ في الوصية لي
من السُّلُوكِ بهم في أَقْوَمِ السُّبُلِ
ومِلَّةُ الْمُصْطَفَى من أَنْوَرِ الْمِلَلِ
حتى يُقِيمَ الذي فيه من الْمَيْلِ
عُلُوقاً إلى القمرِ العالِي إلى زُحَلِ
وانهَضُ إلى الدَّرَجِ العالِي من الحَمَلِ
العَرْشِ المحيِطِ إلى الأشْكَالِ والمُثَلِ
عَقْلِ الْمُقَيَّدِ بالأعْراضِ والعِلَلِ
منه إلى المنزَلِ المنعوتِ بالأزَلِ
وقد رآه فلم يَنْبَرْخْ ولم يَزَلِ
وجوهنا تَطْلُبُ الْمَزَايَ بالمُقَلِ
فَنَشْهَدُ الْحَقَّ في عُلُوِّ وفي سَفَلِ
فإنها حيلةٌ من أحسنِ الحِيلِ
على حَقِيقَةٍ ما هو لا على البَدَلِ
سواك مَجْلَى فلا تَنْبَرْخْ ولا تَزَلِ
فلا تُجِبْهُ وَكُنْ منه على وَجَلِ
فَلنَحْمَدِ اللَّهَ ما في الكونِ من رَجَلِ
هم الإناثُ وهم نفسي وهم أَمَلِي

وَصَى الإلهُ وَأَوْصَتْ رُسُلُهُ فَلِذَا
لولا الوصيةُ كان الخَلْقُ في عَمَةٍ
فاعمَلْ عليها ولا تُهْمِلْ طرِيقَتَهَا
ذَكَرْتُ قَوْمًا بما أَوْصَى الإلهُ به
فلم يكن غير ما قالوه أو شَرَعُوا
فَهَذِي أَحْمَدَ عَيْنِ الدِّينِ أَجْمَعِهِ
لم تَطْمِسِ العَيْنَ بل أعطته قُوَّتَهَا
وَحَذَّ بِسِرِّكَ عنه من مراكزه
إلى الثوابِ لا تَنْزِلُ بساحتها
ومنه لِلقَدَمِ الكُرْسِيِّ ثم إلى
إلى الطَّبِيعَةِ لِلنَّفْسِ النَّزِيهَةِ لِلدِّ
إلى العَمَاءِ الذي ما فوقه نَفْسُ
وانظر إلى الجَبَلِ الراسِي على الجَبَلِ
لولا العُلُوُّ الذي في السُّفْلِ ما سَفَلْتُ
لذلكم شَرَعَ اللهُ السُّجُودَ لَنَا
هذي وصيَّتْنَا إن كنتَ ذا نَظَرِ
تري بها كل معلوم بصورته
حتى ترى المَنْظَرَ الأعلى وليس له
فإن دعاكَ إلى عَيْنِ مَشْرِيبِهَا
إنَا أَنَا لِمَا فِينَا يُؤَلِّدُهُ
إن الرجالَ الذين العُرْفُ عَيْنُهُمْ

فمن ذلك وصية قال الله تعالى في الوصية العامة: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا
وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَّبِعُوا فِيهِ﴾ [الشورى: 13]
فأمر الحق بإقامة الدين وهو شرع الوقت في كل زمان وملة، وأن يجتمع عليه ولا يتفرق
فيه، فإن يد الله مع الجماعة، وإنما يأكل الذئب القاصية وهي البعيدة التي شردت وانفردت
عما هي الجماعة عليه، وحكمة ذلك أن الله لا يعقل إلهاً إلا من حيث أسمائه الحسنى لا من

حيث هو معزى عن هذه الأسماء الحسنی، فلا بد من توحيد عينه وكثرة أسمائه وبالمجموع هو الإله فيد الله وهي القوة مع الجماعة. أوصى حكيم أولاده عند موته وكانوا جماعة فقال لهم: اتنوني بعصي فجمعها وقال لهم: اكسروها وهي مجموعة فلم يقدرُوا على ذلك ثم فرقها فقال لهم: خذوا واحدة واحدة فاكسروها فكسروها فقال لهم: هكذا أنتم بعدي لن تغلبوا ما اجتمعتم، فإذا تفرقتم تمكن منكم عدوكم فأبادكم، وكذلك القائمون بالدين إذا اجتمعوا على إقامة الدين ولم يتفرقوا فيه لم يقهرهم عدو، وكذلك الإنسان في نفسه إذا اجتمع في نفسه على إقامة دين الله لم يغلبه شيطان من الإنس ولا من الجن بما يوسوس به إليه مع مساعدة الإيمان والملك بلمته له.

وصية: إذا عصيت الله تعالى بموضع فلا تبرح من ذلك الموضع حتى تعمل فيه طاعة وتقيم فيه عبادة فكما يشهد عليك إن استشهد يشهد لك، وحيثئذ تنتزع عنه، وكذلك ثوبك إن عصيت الله فيه فكن كما ذكرته لك اعبد الله فيه، وكذلك ما يفارقك منك من قص شارب وحلق عانة وقص أظفار وتسريح شعر وتنقية وسخ لا يفارقك شيء من ذلك من بدنك إلا وأنت على طهارة وذكر الله عز وجل فإنه يسأل عنك كيف تركك، وأقل عبادة تقدر عليها عند هذا كله أن تدعو الله في أن يتوب عليك عن أمره تعالى حتى تكون مؤدياً واجباً في امتثالك أمر الله وهو قوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ فأمرك أن تدعوه، ثم قال في هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ يعني هنا بالعبادة الدعاء أي من يستكبر عن الذلة إلي والمسكنة، فإن الدعاء سماء عبادة والعبادة ذلة وخضوع ومسكنة ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠] أي أذلاء، فإذا فعلوا ما أمروا به جازاهم الله بدخول الجنة أعزاء.

ولقد دخلت يوماً الحمام لغسل طراً علي سحراً فلقيت فيه نجم الدين أبا المعالي ابن اللهيبي وكان صاحبي فاستدعى بالحلاق يحلق رأسه فصحت به: يا أبا المعالي فقال لي من فوره قبل أن أتكلم: إني على طهارة قد فهمت عنك فتعجبت من حضوره وسرعة فهمه ومراعاته الموطن وقرائن الأحوال وما يعرفه مني في ذلك، فقلت له: بارك الله فيك والله ما صحت بك إلا لتكون على طهارة وذكر عند مفارقة شعرك، فدعا لي ثم حلق رأسه، ومثل هذا قد أغفله الناس، بل يقولون: إذا عصيت الله في موضع فتحول عنه لأنهم يخافون عليك أن تذكر البقعة بالمعصية فتستحليها فتزيد ذنباً إلى ذنب، فما ذكروا ذلك إلا شفقة، ولكن فاتهم علم كبير فأطع الله فيه وحيثئذ تتحول عنه فتجمع بين ما قالوه وبين ما وصيتك به، وكلما ذكرت خطيئة أتيتها فتب عنها عقيب ذكرك إياها واستغفر الله منها واذكر الله عندها بحسب ما كانت تلك المعصية، فإن رسول الله ﷺ يقول: «اتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا» وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِنُ لِلْسَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤] ولكن يكون لك ميزان في ذلك تعرف به مناسبات السيئات والحسنات التي تزنها وصية حسن الظن بربك على كل حال ولا تسيء الظن به، فإنك لا تدري هل أنت على آخر أنفاسك في كل نفس يخرج منك فتموت فتلقى الله على حسن ظن به لا على سوء ظن، فإنك لا تدري لعل الله يقبضك في ذلك النفس الخارج إليه،

ودع عنك ما قال من قال بسوء الظن في حياتك، وحسن الظن بالله عند موتك، وهذا عند العلماء بالله مجهول فإنهم مع الله بأنفسهم .

وفيه من الفائدة والعلم بالله أنك وفيت في ذلك الحق حقه، فإن من حق الله عليك الإيمان بقوله: ﴿ وَنُنشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الواقعة: ٦١] فلعل الله ينشئك في النفس الذي تظن أنه يأتيك نشأة الموت والانقلاب إليه وأنت على سوء ظن بربك فتلقاه على ذلك، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ فيما رواه عن ربه أنه عز وجل يقول: «أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيراً» وما خص وقتاً من وقت، واجعل ظنك بالله علماً بأنه يعفو ويغفر ويتجاوز، وليكن داعيك الإلهي إلى هذا الظن قوله تعالى: ﴿ يَجْعَادِي الَّذِينَ اشْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ﴾ [الزمر: ٥٣] فنهك وما نهك عنه يجب عليك الانتهاء عنه، ثم أخبر وخبره صدق لا يدخله نسخ فإنه لو دخله نسخ لكان كذباً والكذب على الله محال فقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ [الزمر: ٥٣] وما خص ذنباً من ذنب وأكدها بقوله: ﴿ جَمِيعًا ﴾ ثم تمم فقال: ﴿ إِنَّهُ هُوَ ﴾ فجاء بالضمير الذي يعود عليه ﴿ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣] من كونه سبقت رحمته غضبه . وكذلك قال: ﴿ الَّذِينَ اشْرَفُوا ﴾ [الزمر: ٥٣] ولم يعين إسرافاً من إسراف، وجاء بالاسم الناقص الذي يعم كل مسرف ثم إضافة العباد إليه لأنهم عباده كما قال الحق عن العبد الصالح عيسى عليه السلام أنه قال: ﴿ إِنَّ تَعَدِّيهِمْ فَأَتَتْهُمْ عِبَادُكَ ﴾ [المائدة: ١١٨] فأضافهم إليه تعالى، وكفى شرفاً شرف الإضافة إلى الله تعالى .

وصية: عليكم بذكر الله في السر والعلن وفي أنفسكم وفي الملاء، فإن الله يقول: ﴿ فَادْكُرُوا فِي آذَانِكُمْ ﴾ [البقرة: ١٥٢] فجعل جواب الذكر من العبد الذكر من الله، وأي ضراء على العبد أضمر من الذنب؟ وكان يقول ﷺ في حال الضراء: «الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ» وفي حال السراء: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُتَّعِمِ الْمُفْضِلِ» فإنك إذا أشعرت قلبك ذكر الله دائماً في كل حال لا بد أن يستتير قلبك بنور الذكر فيرزقك ذلك النور الكشف فإنه بالنور يقع الكشف للأشياء، وإذا جاء الكشف جاء الحياء يصحبه، دليلك على ذلك استحيائك من جارك وممن ترى له حقاً وقدرأ، ولا شك أن الإيمان يعطيك تعظيم الحق عندك، وكلامنا إنما هو مع المؤمنين، ووصيتنا إنما هي لكل مسلم مؤمن بالله وبما جاء من عنده والله يقول في الخبر المأثور الصحيح عنه الحديث وفيه: «وأنا معه» يعني مع العبد حين يذكرني: «إِنْ ذَكَرْتَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرْتَنِي فِي مَلَأَ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأَ خَيْرٍ مِنْهُمْ» . وقال تعالى: ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ ﴾ [الأحزاب: ٣٥] وأكبر الذكر ذكر الله على كل حال .

وصية: ثابر على إتيان جميع القرب جهد الاستطاعة في كل زمان وحال، بما يخاطبك به الحق بلسان ذلك الزمان ولسان ذلك الحال، فإنك إن كنت مؤمناً فلن تخلص لك معصية أبداً من غير أن تخالطها طاعة فإنك مؤمن بها أنها معصية، فإن أضفت إلى هذا التخليط استغفاراً وتوبة فطاعة على طاعة وقربة إلى قربة، فيقوى جزء الطاعة التي خلط به العمل السيئ، والإيمان من أقوى القرب وأعظمها عند الله فإنه الأساس الذي انبنى عليه جميع

القرب . ومن الإيمان حكمتك على الله بما حكم به على نفسه في الخبر الذي صح عنه تعالى الذي ذكر فيه : «وإن تقربت مني شبراً تقربت منه ذراعاً وإن تقربت إلي ذراعاً تقربت منه باعاً وإن أتاني يمشي أتيته هزولاً» وسبب هذا التضعيف من الله والأقل من العبد والأضعف ، فإن العبد لا بد له أن يتثبت من أجل النية بالقربة إلى الله في الفعل وأنه مأمور بأن يزن أفعاله بميزان الشرع فلا بد من التثبوت فيه ، وإن أسرع ووصف بالسرعة فإنما سرعته في إقامة الميزان في فعله ذلك لا في نفس الفعل ، فإن إقامة الميزان به تصح المعاملة وقرب الله لا يحتاج إلى ميزان ، فإن ميزان الحق الموضوع الذي بيده هو الميزان الذي وزنت أنت به ذلك الفعل الذي تطلب به القربة إلى الله ، فلا بد من هذا نعتة أن يكون في قربه منك أقوى وأكثر من قربك منه ، فوصف نفسه بأنه يقرب منك في قربك منه ضعف ما قربت منه مثلاً بمثل لأنك على الصورة خلقت ، وأقل خلافة لك خلافتك على ذاتك ، فأنت خليفته في أرض بدنك ورعيتك جوارحك وقواك الظاهرة والباطنة فعين قربه منك قريبك منه وزيادة ، وهي ما قال من الذراع والباع والهولة والشبر إلى الشبر ذراع والذراع إلى الذراع باع ، والمشى إذا ضاعفته هولة فهو في الأول الذي هو قريبك منه ، وهو في الآخر الذي هو قربه منك ، فهو الأول والآخر وهذا هو القرب المناسب ، فإن القرب الإلهي من جميع الخلق غير هذا وهو قوله : ﴿وَمَنْ أَوْبَىٰ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ آوَابٍ﴾ [ق: ١٦] فما أريد هنا ذلك القرب ، وإنما أريد القرب الذي هو جزء قرب العبد من الله ، وليس للعبد قرب من الله إلا بالإيمان بما جاء من عند الله بعد الإيمان بالله وبال مبلغ عن الله .

وصية : ألزم نفسك الحديث بعمل الخير وإن لم تفعل ، ومهما حدثت نفسك بشر فاعزم على ترك ذلك لله إلا أن يغلبك القدر السابق والقضاء اللاحق ، فإن الله إذا لم يقض عليك بإتيان ذلك الشيء الذي حدثت به نفسك كتبه لك حسنة ، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ عن ربه عز وجل أنه يقول : «إِذَا تَحَدَّثَ عَبْدِي بِأَنْ يَغْمَلَ حَسَنَةً فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ حَسَنَةً مَا لَمْ يَغْمَلْهَا» وكلمة ما هنا ظرفية ، فكل زمان يمر عليه في الحديث بعمل هذه الحسنة وإن لم يعملها فإن الله يكتبها له حسنة واحدة في كل زمان يصحبه الحديث بها فيه بلغت تلك الأزمنة من العدد ما بلغت فله بكل زمان حديث حسنة ولهذا قال : «مَا لَمْ يَغْمَلْهَا» ثم قال تعالى : «فَإِذَا عَمَلَهَا فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا» ومن هنا فرض العشر فيما سقت السماء إن علمت ، فإن كانت من الحسنات المتعدية التي لها بقاء فإن الأجر يتجدد عليها ما بقيت إلى يوم القيامة كالصدقة الجارية مثل الأوقاف والعلم الذي يبثه في الناس والسنة الحسنة وأمثال ذلك . ثم تم نعمه على عباده فقال تعالى : «وَإِذَا تَحَدَّثَ بِأَنْ يَغْمَلَ سَيِّئَةً فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَهُ مَا لَمْ يَغْمَلْهَا» وما هنا ظرفية كما كانت في الحسنة سواء ، والحكم كالحكم في الحديث والجزاء بالغا ما بلغ ، ثم قال : «فَإِذَا عَمَلَهَا فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ بِمِثْلِهَا» فجعل العدل في السيئة والفضل في الحسنة وهو قوله : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُتَّعِينَ وَزِيَادَةً﴾ [يونس: ٢٦] وهو الفضل وهو ما زاد على المثل ، ثم أخبر تعالى عن الملائكة أنها تقول بحكم الأصل عليها الذي نطقها في حق أبينا آدم بقولها : ﴿أَتَجْمَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا

وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴿البقرة: ٣٠﴾ فما ذكرت إلا مساوينا وما تعرضت للحسن من ذلك، فإن الملائكة الأعلى تغلب عليه الغيرة على جناب الله أن يهتضم، وعلمت من هذه النشأة العنصرية أنها لا بد أن تخالف ربهما لما هي عليه من حقيقتها وذلك عندها بالذوق من ذاتها وإنما هي في نشأتنا أظهر. ولولا أن الملائكة في نشأتها على صورة نشأتنا ما ذكر الله عنهم أنهم يختصمون والخصام ما يكون إلا مع الأضداد، وما ذكر الله عن الملائكة في حقنا أنهم يقولون ذاك عبدك يريد أن يعمل حسنة فانظر قوة هذا الأصل ما أحكمه لمن نظر، ومن هنا تعلم فضل الإنسان إذا ذكر خيراً في أحد وسكت عن شره أين تكون درجته مع القصد الجميل من الملائكة فيما ذكروه، ولكن نبهتك على ما نبهتك عليه من ذلك لتعرف نشأتهم وما جبلوا عليه فكل يعمل على شاكلته، كما قال تعالى وأخبر أن الملائكة تقول: ذاك عبدك فلان يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به فقال: ارقبه فإن عملها فاكتبوها له بمثلها، وإن تركها فاكتبوها له حسنة، إنه إنما تركها من جزائي أي من أجلي، فالملائكة المذكورة هنا هم الذين قال الله لنا فيهم: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١١﴾ كِرَامًا كَنِينًا ﴿١٠﴾﴾ [الانفطار: ١٠، ١١] فالمرتبة والتولية أعطتهم أن يتكلموا بما تكلموا به، فلهم كتابة الحسن من غير تعريف بما تقدم الله إليهم به في ذلك، ويتكلمون في السيئة لما يعلمونه من فضل الله وتجاوزه، ولولا ما تكلموا في ذلك ما عرفنا ما هو الأمر فيه عند الله مثل ما يقولونه في مجالس الذكر في الشخص الذي يأتيها إلى حاجته لا لأجل الذكر، فأطلق الله للجميع المغفرة وقال: هم القوم لا يشقى جلسهم فلولا سؤالهم وتعريفهم بهم ما عرفنا حكم الله فيهم، فكلامهم عليهم السلام تعليم ورحمة، وإن كان ظاهره كما يسبق إلى الأفهام القاصرة مع الأصل الذي نبهتكم عليه وقد قال الله في الحسنه والسيئة: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] وأغفر بعد الجزاء لقوم وقبل الجزاء لقوم آخرين، فلا بد من المغفرة لكل مسرف على نفسه وإن لم يتب، فمن تحقق بهذه الوصية عرف النسبة بين النشأة الإنسانية والملكية، وأن الأصل واحد، كما أن ربنا واحد وله الأسماء المتقابلة فكان الوجود على صورة الأسماء.

وصية: ثابر على كلمة الإسلام وهي قولك: لا إله إلا الله فإنها أفضل الأذكار بما تحوي عليه من زيادة علم. وقال ﷺ: «أَفْضَلُ مَا قُلْتُهُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» فهي كلمة جمعت بين النفي والإثبات والقسمه منحصرة، فلا يعرف ما يحوي عليه هذه الكلمة إلا من عرف وزنها وما تزن، كما ورد في الخبر الذي نذكره في الدلالة عليها، فاعلم أنها كلمة توحيد والتوحيد لا يماثله شيء، إذ لو ماثله شيء ما كان واحداً وكان اثنين فصاعداً فما ثم ما يزنه فإنه ما يزنه إلا المعادل والمماثل، وما ثم مماثل ولا معادل فذلك هو المانع الذي منع لا إله إلا الله أن تدخل الميزان، فإن العامة من العلماء يرون أن الشرك الذي هو يقابل التوحيد لا يصح وجود القول به من العبد مع وجود التوحيد، فالإنسان إما مشرك وإما موحد فلا يزن التوحيد إلا الشرك فلا يجتمعان في ميزان، وعندنا إنما لم يدخل في الميزان لما ورد في الخبر لمن فهمه واعتبره وهو خبر صحيح عن الله يقول الله: «لَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ

وَعَامِرُهُنَّ غَيْرِي وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ وَعَامِرُهُنَّ غَيْرِي فِي كَفَّةٍ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كَفَّةٍ مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» فما ذكر إلا السموات والأرض لأن الميزان ليس له موضع إلا ما تحت مقعر فلك الكواكب الثابتة من السدرة المنتهى التي ينتهي إليها أعمال العباد، ولهذا الأعمال وضع الميزان فلا تتعدى الميزان الموضع الذي لا يتعداه الأعمال. ثم قال: وعامرهنَّ غيري وما لها عامر إلا الله، فالخبير تكفيه الإشارة وفي لسان العموم من علماء الرسوم يعني بالغير الشريك الذي أثبتته المشرك لو كان له اشتراك في الخلق لكانت لا إله إلا الله تميل به في الميزان، لأن لا إله إلا الله الأقوى على كل حال لكون المشرك يرجح جانب الله تعالى على جانب الذي أشرك به فقال فيهم إنهم قالوا: ﴿مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣] فإذا رفع ميزان الوجود لا ميزان التوحيد دخلت لا إله إلا الله فيه، وقد تدخل في ميزان توحيد العظمة وهو توحيد المشركين فتزنه لا إله إلا الله وتميل به، فإنه إذا لم يكن العامر غير الله فلا تميل وعينه ما ذكره إنما هو الله قال: أين تميل وما ثم إلا واحد في الكفتين، وأما صاحب السجلات فما مالت الكفة إلا بالبطاقة لأنها هي التي حواها الميزان من كون لا إله إلا الله يلفظ بها قائلها فكتبها الملك فهي لا إله إلا الله المكتوبة المخلوقة في النطق، ولو وضعت لكل أحد ما دخل النار من تلفظ بتوحيد، وإنما أراد الله أن يرى فضلها أهل الموقف في صاحب السجلات ولا يراها ولا توضع إلا بعد دخول من شاء الله من الموحدون النار، فإذا لم يبق في الموقف موحد قد قضى الله عليه أن يدخل النار، ثم بعد ذلك يخرج بالشفاعة أو بالعبادة الإلهية، عند ذلك يؤتى بصاحب السجلات ولم يبق في الموقف إلا من يدخل الجنة ممن لا حظ له في النار وهو آخر من يوزن له من الخلق، فإن لا إله إلا الله له البدء والختام، وقد يكون عين بدئها ختامها كصاحب السجلات.

ثم اعلم أن الله ما وضع في العموم إلا أفضل الأشياء وأعمها منفعة وأثقلها وزناً لأنه يماثل بها أضعافاً كثيرة، فلا بد أن يكون في ذلك الموضوع في العامة من القوة ما يقابل به كل ضد، وهذا لا يتفطن له كل عارف من أهل الله إلا الأنبياء الذين شرعوا للناس ما شرعوا، ولا شك أنه قال ﷺ: «أَفْضَلُ مَا قُلْتُهُ أَنَا وَالتَّبَيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» وقد قال ما أشارت إلى فضله من ادعى الخصوص من الذكر بكلمة الله الله وهو هو، ولا شك أنه من جملة الأقوال التي لا إله إلا الله أفضل منها عند العلماء بالله، فعليك يا ولي بالذكر الثابت في العموم فإنه الذكر الأقوى، وله النور الأضوى، والمكانة الزلفي، ولا يشعر بذلك إلا من لزمه وعمل به حتى أحكمه، فإن الله ما وسع رحمته إلا للشمول وبلوغ المأمول، وما من أحد إلا وهو يطلب النجاة وإن جهل طريقها، فمن نفى بلا إله عينه أثبت بإلا الله كونه فتنفى عينك حكماً لا علماً، وتوجب كون الحق حكماً وعلماً، والإله من له جميع الأسماء وليست إلا لعين واحدة وهي مسمى الله عامر السموات والأرض الذي بيده ميزان الرفع والخض، فعليك بلزوم هذا الذكر الذي قرن الله به وبالعلم به بالسعادة فعم.

وصية: وإياك ومعاداة أهل لا إله إلا الله فإن لها من الله الولاية العامة، فهم أولياء الله

وإن أخطؤوا وجاؤوا بقرب الأَرْض خطايا لا يشركون بالله لقيهم الله بمثلها مغفرة، ومن ثبت ولايته فقد حرمت محاربتة، ومن حارب الله فقد ذكر الله جزاءه في الدنيا والآخرة، وكل من لم يطلعك الله على عداوته فلا تتخذ عدواً وأقل أحوالك إذا جهلته أن تهمل أمره، فإذا تحققت أنه عدو لله وليس إلا المشرك فتبرأ منه كما فعل إبراهيم الخليل عليه السلام في حق أبيه آزر، قال الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة: ١١٤] هذا ميزانك، يقول الله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ﴾ كما فعل إبراهيم الخليل ﴿أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢] ومتى لا تعلم ذلك فلا تعاد عباد الله بالإمكان ولا بما ظهر على اللسان، والذي ينبغي لك أن تكره فعله لا عينه والعدو لله إنما تكره عينه، ففرق بين من تكره عينه وهو عدو الله وبين من تكره فعله وهو المؤمن أو من تجهل خاتمته ممن ليس بمسلم في الوقت، واحذر قوله تعالى في الصحيح: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنِي بِالْحَرْبِ» فإنه إذا جهل أمره وعاداه فما وفى حق الحق في خلقه فإنه ما يدري علم الله فيه وما بينه الله له حتى يتبرأ منه ويتخذ عدواً، وإذا علم حاله الظاهر وإن كان عدواً لله في نفس الأمر وأنت لا تعلم فواله لإقامة حق الله ولا تعاده، فإن الاسم الإلهي الظاهر يخاصمك عند الله فلا تجعل الله عليك حجة فتهلك ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْكُلِّيَّةُ﴾ [الأنعام: ١٤٩] فعامل عباد الله بالشفقة والرحمة، كما أن الله يرزقهم على كفرهم وشركهم مع علمه بهم، وما رزقهم إلا لعلمه بأن الذي هم فيه ما هم فيه بهم بل وهم فيه بهم لما قدر ذكرناه بلسان العموم، فإن الله خالق كل شيء وكفرهم وشركهم مخلوق فيهم ولسان الخصوص، ما ظهر حكم في موجود إلا بما هو عليه في حال العدم في ثبوته الذي علمه الله منه ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْكُلِّيَّةُ﴾ على كل أحد مهما وقع نزاع ومحاجة فيسلم الأمر إليه. واعلم أنك على ما كنت عليه وعمّ برحمتك وشفقتك جميع الحيوان والمخلوقين، ولا تقل هذا نبات وجماد ما عندهم خبر، نعم عندهم أخبار أنت ما عندك خبر فاترك الوجود على ما هو عليه وارحمه برحمته موجدته في وجوده، ولا تنظر فيه من حيث ما يقام فيه في الوقت ﴿حَقَّ يَبَّيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعَلَّمِ الْكَذِبِينَ﴾ [التوبة: ٤٣] فيتعين عليك عند ذلك أن تتخذهم أعداء لأمر الله لك بذلك حيث نهاك أن تتخذ عدوه ولياً تلقي إليه بالمودة، فإن اضطرك ضعف يقين إلى مداراتهم فدارهم من غير أن تلقي إليهم بمودة ولكن مسالمة لدفع الشر عنك، ففوض الأمر إليه واعتمد في كل حال عليه إلى أن تلقاه.

وصية: وعليك بملازمة ما افترضه الله عليك على الوجه الذي أمرك أن تقوم فيه، فإذا أكملت نشأة فرائضك وإكمالها فرض عليك حينئذ تتفرغ ما بين الفرضين لنوافل الخيرات كانت ما كانت، ولا تحقر شيئاً من عملك فإن الله ما احتقره حين خلقه وأوجده، فإن الله ما كلفك بأمر إلا وله بذلك الأمر اعتناء وعناية حتى كلفك به مع كونك في الرتبة أعظم عنده فإنك محل لوجود ما كلفك به، إذ كان التكليف لا يتعلق إلا بأفعال المكلفين، فيتعلق بالمكلف من حيث فعله لا من حيث عينه. واعلم أنك إذا ثابرت على أداء الفرائض فإنك

تَقَرَّبَتْ إِلَى اللَّهِ بِأَحَبِّ الْأُمُورِ الْمُقَرَّبَةِ إِلَيْهِ، وَإِذَا كُنْتَ صَاحِبَ هَذِهِ الصِّفَةِ كُنْتَ سَمِعَ الْحَقَّ وَبَصَرَهُ، فَلَا يَسْمَعُ إِلَّا بِكَ وَلَا يَبْصُرُ إِلَّا بِكَ فَيَدُ الْحَقِّ يَدُكَ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَكَ اللَّهُ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] وَأَيْدِيهِمْ مِنْ حَيْثُ مَا هِيَ يَدُ اللَّهِ هِيَ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ مِنْ حَيْثُ مَا هِيَ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّهَا الْمُبَايَعَةُ اسْمُ فَاعِلٍ وَالْفَاعِلُ هُوَ اللَّهُ فَأَيْدِيهِمْ يَدُ اللَّهِ فَبِأَيْدِيهِمْ بَايَعُ تَعَالَى وَهُمْ الْمُبَايِعُونَ، وَالْأَسْبَابُ كُلُّهَا يَدُ الْحَقِّ الَّتِي لَهَا الْاِقْتِدَارُ عَلَى إِيجَادِ الْمُسَبِّبَاتِ، وَهَذِهِ هِيَ الْمُحِبَّةُ الْعَظْمَى الَّتِي مَا وَرَدَ فِيهَا نَصٌّ جَلِيٌّ كَمَا وَرَدَ فِي النَّوَافِلِ، فَإِنَّ لِلْمُثَابِرَةِ عَلَى النَّوَافِلِ حُبًّا إِلَهِيًّا مَنْصُوصًا عَلَيْهِ يَكُونُ الْحَقُّ سَمِعَ الْعَبْدَ وَبَصَرَهُ كَمَا كَانَ الْأَمْرُ بِالْعَكْسِ فِي حُبِّ آدَاءِ الْفَرَائِضِ، فِي الْفَرْضِ عِبُودِيَّةُ الْاضْطِرَارِ وَهِيَ الْأَصْلِيَّةُ، وَفِي الْفِرْعِ وَهُوَ النَّفْلُ عِبُودِيَّةُ الْاِخْتِيَارِ، فَالْحَقُّ فِيهَا سَمِعَكَ وَبَصَرَكَ، وَيَسْمَى نَفْلًا لِأَنَّهُ زَائِدٌ، كَمَا أَنَّكَ بِالْأَصَالَةِ زَائِدٌ فِي الْوُجُودِ، إِذْ كَانَ اللَّهُ وَلَا أَنْتَ ثُمَّ كُنْتَ، فزَادَ الْوُجُودَ الْحَادِثُ فَأَنْتَ نَفْلٌ فِي وَجُودِ الْحَقِّ فَلَا بَدَلَكَ مِنْ عَمَلٍ يَسْمَى نَفْلًا هُوَ أَصْلُكَ، وَلَا بَدَلَكَ مِنْ عَمَلٍ يَسْمَى فَرْضًا وَهُوَ أَصْلُ الْوُجُودِ وَهُوَ وَجُودُ الْحَقِّ، فِي آدَاءِ الْفَرْضِ أَنْتَ لَهُ وَفِي النَّفْلِ أَنْتَ لَكَ، وَحَبُّ إِيَّاكَ مِنْ حَيْثُ مَا أَنْتَ لَهُ أَعْظَمُ وَأَشَدُّ مِنْ حَبُّ إِيَّاكَ مِنْ حَيْثُ مَا أَنْتَ لَكَ، وَقَدْ وَرَدَ فِي الْخَبَرِ الصَّحِيحِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى: «مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدٌ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَّمَا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبِّبْتُهُ فَكُنْتُ سَمِعُهُ الَّذِي بِهِ يَسْمَعُ وَبَصَرُهُ الَّذِي بِهِ يَبْصُرُ وَيَدَهُ الَّتِي بِهَا يَبْطِشُ وَرِجْلَهُ الَّتِي بِهَا يَمْشِي، وَلَئِنْ سَأَلْتَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَ بِي لِأَعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ» فَانظُرْ إِلَى مَا تَنْتَجِجُهُ مَحَبَّةُ اللَّهِ، فَثَابِرْ عَلَى آدَاءِ مَا يَصِحُّ بِهِ وَجُودَ هَذِهِ الْمُحِبَّةِ الْإِلَهِيَّةِ، وَلَا يَصِحُّ نَفْلٌ إِلَّا بَعْدَ تَكْمِلَةِ الْفَرْضِ، وَفِي النَّفْلِ عَيْنُهُ فَرُوضٌ وَنَوَافِلٌ فَبِمَا فِيهِ مِنَ الْفَرُوضِ تَكْمَلُ الْفَرَائِضُ. رَدَّ فِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ يَقُولُ تَعَالَى: «انظُرُوا فِي صَلَاةِ عَبْدِي أَتَمَّهَا أَمْ نَقَصَهَا؟ فَإِنْ كَانَتْ تَامَةً كُتِبَتْ لَهُ تَامَةً، وَإِنْ كَانَ انْتَقَصَ مِنْهَا شَيْئًا قَالَ: انظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَإِنْ كَانَ لَهُ تَطَوُّعٌ قَالَ اللَّهُ: أَكْمَلُوا لِعَبْدِي فَرِيضَتَهُ مِنْ تَطَوُّعِهِ» ثُمَّ تَوَخَّذَ الْأَعْمَالَ عَلَى ذَاكِمٍ، وَلَيْسَتْ النَّوَافِلُ إِلَّا مَا لَهَا أَصْلٌ فِي الْفَرَائِضِ وَمَا لَا أَصْلَ لَهُ فِي فَرْضٍ، فَذَلِكَ إِنْشَاءُ عِبَادَةٍ مُسْتَقِلَّةٍ يَسْمِيهَا عُلَمَاءُ الرِّسُومِ بَدْعَةً، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ [الحديد: ٢٧] وَسَمَّاها رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سُنَّةَ حَسَنَةً، وَالَّذِي سَنَّهَا لَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمَلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْئًا، وَلَمَّا لَمْ يَكُنْ فِي قُوَّةِ النَّفْلِ أَنْ يَسُدَّ مَسَدَ الْفَرْضِ جَعَلَ فِي نَفْسِ النَّفْلِ فَرُوضًا لَتَجْبِرَ الْفَرَائِضُ بِالْفَرَائِضِ كَصَلَاةِ النَّافِلَةِ بِحُكْمِ الْأَصْلِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَشْتَمِلُ عَلَى فَرَائِضٍ مِنْ ذِكْرِ وَرُكُوعٍ وَسُجُودٍ مَعَ كَوْنِهَا فِي الْأَصْلِ نَافِلَةً، وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ وَالْأَفْعَالُ فَرَائِضٌ فِيهَا.

وصية: وعليك بمراعاة أقوالك كما تراعي أعمالك فإن أقوالك من جملة عملك، ولهذا قال بعض العلماء: من عدَّ كلامه من عمله قلَّ كلامه، واعلم أن الله راعى أقوال عباده، وأن الله عند لسان كل قائل، فما نهاك الله عنه أن تتلفظ به فلا تتلفظ به وإن لم تعتقده فإن الله سائلك عنه، وروينا أن الملك لا يكتب على العبد ما يعمل حتى يتكلم به، قال تعالى: ﴿مَا

يَلْفُظُ مِنْ قَوْلِي إِلَّا لَدَيْهِ رَيْبٌ عَيْنِي ﴿١٨﴾ [ق: ١٨] يريد الملك الذي يحصي عليك أقوالك . يقول تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١١﴾ كِرَامًا كَثِيرِينَ ﴿١٢﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الانفطار] وأقولك من أفعالك انظر في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ﴾ فنهاك عن القول فإنه كذب الله من قال مثل هذا القول فإن الله قال فيهم: ﴿بَلْ أَحْيَا﴾ [البقرة: ١٥٤] ألا ترى إلى قوله تعالى حيث يقول: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتًا بَلْ أَحْيَاهُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٩] وقال: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَى مِنَ الْقَوْلِ﴾ [النساء: ١٤٨] وقال: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾ [النساء: ١١٤] وهو القول، فإذا تكلمت فتكلم بميزان ما شرع الله لك أن تتكلم به، وكان رسول الله ﷺ يمزح ولا يقول إلا حقاً، فعليك بقول الحق الذي يرضي الله، فما كل حق يقال يرضي الله، فإن النميمة حق والغيبة حق وهي لا ترضي الله، وقد نهيت أن تغتاب، وأن تتم بأحد. ومن مراعاة الله الأقوال ما روينا في صحيح مسلم عن الله تعالى لما مطرت السماء قال عز وجل: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَمَنْ قَالَ: مُطْرُنَا بِنُورٍ كَذَا وَكَذَا فَهُوَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكُوكِبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطْرُنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكُوكِبِ» فراعى أقوال القائلين. وكان أبو هريرة يقول: إذا مطرت السماء مطرنا بنوء الفتح ثم يتلو: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر: ٢] ولو كنت تعتقد أن الله هو الذي وضع الأسباب ونصبها وأجرى العادة عندنا بأنه يفعل الأشياء عندها لا بها، ومع هذا كله لا تقل ما نهاك الله عنه أن تقوله وتلفظ به فإنه كما نهاك عن أمور نهاك عن القول وإن كان حقاً. وانظر ما أحكم قول الله عز وجل في قوله: مؤمن بي كافر بالكوكب وكافر بي مؤمن بالكوكب، فإنه مهما قال بفضل الله فقد ستر الكوكب حيث لم ينطق باسمه، ومن قال بالكوكب فقد ستر الله، وإن اعتقد أنه الفاعل منزل المطر ولكن لم يتلفظ باسمه فجاء تعالى بلفظ الكفر الذي هو الستر، فإياك والاستمطار بالأنواء أن تتلفظ به فأحرى أن تعتقده، فإن اعتقادك إن كنت مؤمناً أن الله نصبها أدلة عادية وكل دليل عادي يجوز خرق العادة فيه، فاحذر من غوائل العادات ولا تصرفنك عن حدود الله التي حد لك فلا تتعدها فإن الله ما حدّها حتى راعاها وذلك في كل شيء، ورد في الخبر الصحيح: «إِنَّ الرَّجُلَ يَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ فِيهِوَيِ بِهَا فِي النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ فَيَرْفَعُ بِهَا فِي عِلِّيْنِ» فلا تنطق إلا بما يرضي الله لا بما يسخط الله عليك، وذلك لا يتمكن لك إلا بمعرفة ما حدّه لك في نطقك، وهذا باب أغفله الناس. قال رسول الله ﷺ: «وَهَلْ يُكَبُّ النَّاسُ عَلَيَّ مَنَآخِرِهِمْ فِي النَّارِ إِلَّا حَصَائِدَ أَلْسِنَتِهِمْ؟» وقال الحكيم: لا شيء أحق بسجن من لسان، وقد جعله الله خلف بابين الشفتين والأسنان، ومع هذا يكثر الفضول ويفتح الأبواب.

وصية: وإياك أن تصوّر صورة بيدك من شأنها أن يكون لها روح فإن ذلك أمر يهونه الناس على أنفسهم وهو عند الله عظيم، فالمصوِّرون أشد الناس عذاباً يوم القيامة، يقال للمصوِّر يوم القيامة: أحي ما خلقت أو انفخ فيها روحاً وليس بنافخ. وقد ورد في الصحيح

عن الله تعالى أنه قال: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ خَلْقًا كَخَلْقِي فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً» وإن العبد إذا راعى هذا القدر وتركه لما ورد عن الله فيه ولم يزاحم الربوبية في تصوير شيء لا من حيوان ولا من غير حيوان فإنه يطلع على حياة كل صورة في العالم فيراه كله حيواناً ناطقاً يسبح بحمد الله، وإذا سامح نفسه في تصوير النبات وما ليس له روح في الشاهد في نظر البصر في المعتاد فلا يطلع على مثل هذا الكشف أبداً فإنه في نفس الأمر لكل صورة من العالم روح أخذ الله بأبصارنا عن إدراك حياة ما يقول عنه أنه ليس بحيوان وفي الآخرة ينكشف الأمر في العموم ولهذا سماها بالدار الحيوان، فما ترى فيها شيئاً إلا حياً ناطقاً بخلاف حالك في الدنيا كما روي في الصحيح: «أَنَّ الْحَصَى سَبَّحَ فِي كَفِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» فجعل الناس خرق العادة في تسبيح الحصى وأخطؤوا، وإنما خرق العادة في سمع السامعين ذلك فإنه لم يزل مسبحاً كما أخبر الله إلا أن يسبح بتسبيح خاص أو هيئة في النطق خاصة لم يكن الحصى قبل ذلك يسبح به ولا على تلك الكيفية، فحينئذ يكون خرق العادة في الحصى لا في سمع السامع، والذي في سمع السامع كونه سمع نطق من لم تجر العادة أن يسمعه.

وصية: وعليك يا أخي بعبادة المرضى لما فيها من الاعتبار والذكرى، فإن الله خلق الإنسان من ضعف فينبهك النظر إليه في عيادتك على أصلك لتفتقر إلى الله في قوة يقويك بها على طاعته، وأن الله عند عبده إذا مرض، ألا ترى إلى المريض ماله استغاثة إلا بالله ولا ذكر إلا الله، فلا يزال الحق بلسانه منطوقاً به وفي قلبه التجاء إليه، فالمريض لا يزال مع الله أي مريض كان ولو تطيب وتناول الأسباب المعتادة لوجود الشفاء عندها، ومع ذلك فلا يغفل عن الله وذلك لحضور الله عنده، وأن الله يوم القيامة يقول: «يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُوذُكَ، وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فَلَانًا مَرِضٌ فَلَمْ تَعُدَّهُ؟ أَمَا إِنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ» الحديث. وهو صحيح. فقلوه: لوجدتني عنده هو ذكر المريض ربه في سره وعلانيته. وكذلك إذا استطعمك أحد من خلق الله أو استسقاك فأطعمه واسقه إذا كنت موجداً لذلك، فإنه لو لم يكن لك من الشرف والمنزلة إلا أن هذا المستطعم والمستسقي قد أنزل منزلة الحق الذي يطعم عباده ويسقيهم، وهذا نظر قل من يعتبره، انظر إلى السائل إذا سأل ويرفع صوته يقول: بالله أعطني فما نطقه الله إلا باسمه في هذه الحال، وما رفع صوته إلا لسمعك أنت حتى تعطيه فقد سماك بالاسم الله والتجأ إليك برفع الصوت التجاء إلى الله، ومن أنزل منزلة سيده فينبغي لك أن لا تحرمه وتبادر إلى إعطائه ما سألك فيه. فإن في هذا الحديث الذي سقناه آنفاً في مرض العبد أن الله يقول: «يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطَعْمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فَلَانًا اسْتَطَعْمَكَ فَلَمْ تُطْعِمْهُ أَمَا لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَهُ ذَلِكَ عِنْدِي، يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فَلَانًا اسْتَسْقَاكَ فَلَمْ تَسْقِهِ أَمَا لَوْ سَقَيْتَهُ لَوَجَدْتَهُ ذَلِكَ عِنْدِي» خرَّج هذا الحديث مسلم عن محمد بن حاتم عن بهز عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي رافع عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ؛ فأنزل الله

نفسه في هذا الخبر منزلة عبده، فالعبد الحاضر مع الله الذاكر الله في كل حال في مثل هذه الحال يرى الحق أنه الذي استطعمه واستسقاها فيبادر لما طلب الحق منه، فإنه لا يدري يوم القيامة لعله يقام في حال هذا الشخص الذي استطعمه واستسقاها من الحاجة فيكافئه الله على ذلك وهو قوله: «لَوْ جَدَّتْ ذَلِكَ عِنْدِي» أي تلك الطعمة والشربة كنت أرفعها لك وأرببها حتى تجيء يوم القيامة فأردها عليك أحسن وأطيب وأعظم مما كانت، فإن لم تكن لك همة أن ترى هذا الذي استسقاك قد أنزلك منزلة من بيده قضاء حاجته إذ جعلك الله خليفة عنه فلا أقل أن تقضي حاجة هذا السائل بنية التجارة طلباً للربح وتضاعف الحسنة، فكيف إذا وقفت على مثل هذا الخبر ورأيت أن الله هو الذي سألك ما أنت مستخلف فيه فإن الكل لله، وقد أمرك بالإفناق مما استخلفك فيه فقال: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلْنَا مِمَّا جَعَلْنَاكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧] وعظم الأجر فيه إذا أنفقت، فلا ترد سائلاً ولو بكلمة طيبة والقه طلق الوجه مسروراً به، فإنك إنما تلقي الله، وكان الحسين أو الحسن عليهما السلام إذا سأله السائل سارع إليه بالعطاء ويقول: أهلاً والله وسهلاً بحامل زادي إلى الآخرة لأنه رآه قد حمل عنه فكان له مثل الراحلة، لأن الإنسان إذا أنعم الله عليه نعمة ولم يحمل فضلها غيره فإنه يأتي بها يوم القيامة وهو حاملها حتى يسأل عنها، فلهذا كان الحسن يقول: إن السائل حامل زاده إلى الآخرة فيرفع عنه مؤنة الحمل .

وصية: وإياكم ومظالم العباد فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، وظلم العباد أن تمنعهم حقوقهم التي أوجب الله عليك أداءها إليهم، وقد يكون ذلك بالحال فيما تراه عليه من الاضطرار، وأنت قادر واجد لسد خلته ودفع ضرورته، فيتعين عليك أن تعلم أن له بحاله حقاً في مالك، فإن الله ما أطلعك عليه إلا لتدفع إليه حقه وإلا فأنت مسؤول، فإن لم يكن لك قدرة بما تسد خلته فاعلم أن الله ما أطلعك على حاله سدى، فاعلم أنه يريد منك أن تعينه بكلمة طيبة عند من تعلم أنه يسد خلته، فإن لم تعمل فلا أقل من دعوة تدعو له ولا يكون هذا إلا بعد بذل المجهود واليأس حتى لا يبقى عندك إلا الدعاء، ومهما غفلت عن هذا القدر فأنت من جملة من ظلم صاحب هذا الحال، هذا كله إن مات ذلك المحتاج من تلك الحاجة، فإن لم يموت وسد خلته غيرك من المؤمنين فقد أسقط أخوك عنك هذه المطالبة من حيث لا يشعر، فإن المؤمن أخ المؤمن لا يسلمه وإن لم ينو المعطي ذلك ولكن هكذا هو في نفس الأمر وكذا يقبله الله، فإذا أعطيت أنت سائلاً بالحال ضرورته فانو في ذلك أن تنوب عن أخيك المؤمن الأول الذي حرمه، وتجعل ذلك منه إثارةً لجنابك عليه بذلك الخير الذي أبقاه من أجلك حتى تصيبه، إذ لو أعطاه اقتنع بما أعطاه ولم تكن تجد أنت ذلك الخير، فهذه النية عطاء العارفين أصحاب الضرورات السائلين بأحوالهم وأقوالهم ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ١٠] وسواء كان ذلك في الوقت المحسوس أو المعنوي فإن العلم من هذا الباب والإفادة، فإن الضال يطلب الهداية، والجائع يطلب الإطعام، والعارى يطلب الكسوة التي تقيه برد الهواء وحره وتستتر عورته، والجاني العالم بأنك قادر على مؤاخذته يطلب منك العفو عن جنايته، فأهد الجيران وأطعم الجائع واسق الظمآن واكس العريان، واعلم أنك فقير لما يفتقر إليك فيه

﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧] ومع هذا يجيب دعاءهم ويقضي حوائجهم ويسألهم أن يسألوه في دفع المضار عنهم وإيصال المنافع إليهم، فأنت أولى أن تعامل عباد الله بمثل هذا لحاجتك إلى الله في هذه الأمور. خرج مسلم في الصحيح عن عبد الله بن عبد الرحمن بن بهرام الدارمي عن مروان بن محمد الدمشقي عن سعيد بن عبد العزيز عن ربيعة بن يزيد عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «يا عِبَادِي إِنِّي حَزَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أَطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسِكُمْ، يَا عِبَادِي أَنْتُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ» والحق تعالى يعطيكم هذا كله من غير سؤال منك إياه فيه ولكن مع هذا أمرك أن تسأله فيعطيك إجابة لسؤالك ليريك عنايته بك حيث قبل سؤالك، وهذه منزلة أخرى زائدة على ما أعطاك، وإذا كان سؤالك عن أمره وقد علم منك أنك تسأله ولا بد من ضرورة أصل ما خلقت عليه من الحاجة والسؤال لتكون في سؤالك مؤدياً أمراً واجباً فتجزى جزاء من امثل أمر الله فتزيد خيراً إلى خير، فما أمرك إلا رحمة بك وإيصال خير إليك، ولينبهك على أن حاجتك إليه لا إلى غيره، فإنه ما خلقك إلا لعبادته أي لتذلل له، فالذي أوصيك به الوقوف عند أوامر الحق ونواهيهِ والفهم عنه في ذلك حتى تكون من العلماء بما أراده الحق منك في أمره ونهيهِ إياك، ومن لم يسأل ربه فقد بخله هذا في حق العموم، فإن فرطت فيما أوصيتك به فلا تلومن إلا نفسك، فإنك إن كنت جاهلاً فقد علمتكم وإن كنت ناسياً وغافلاً فقد نبهتكم وذكرتك، فإن كنت مؤمناً فإن الذكرى تنفعك، فإنني قد امتثلت أمر الله بما ذكرتك به، وانتفاعك بالذكرى شاهد لك بالإيمان، قال الله عز وجل في حقي وفي حقلك ﴿وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى لَنَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥] فإن لم تنفعك الذكرى فاتهم نفسك في إيمانك فإن الله صادق وقد أخبر بأن الذكرى تنفع المؤمنين. ومن تمام هذا الخبر الإلهي الذي أوردناه بعد قوله: «اغفر لكم» أن قال: «يا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضْرُونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي» ومعلوم أنه سبحانه لا يتضرر ولا ينتفع فإنه الغني عن العالمين، ولكن لما أنزل نفسه منزلة عبده فيما ذكرناه من الاستطعام والاستسقاء نبهنا بالعجز عن بلوغ الغاية في ضرر العباد له أو في نفعهم، فمن المحال بلوغ الغاية في ذلك، ولكون الله قد قال في حق قوم ﴿يَأْتَهُمْ أَتَّبَعُوا مَا اسَّخَطَ اللَّهُ﴾ [محمد: ٢٨] وهو في الظاهر ضرر نزه نفسه عن ذلك، وكذلك من فعل فعلاً يرضي الله به ويفرحه كالتائب في فرح الله بتوبة عبده فكان هذا الخبر كالدواء لما يطرأ من المرض من ذلك في بعض النفوس الضعيفة في العلم بالله التي لا علم لها بما يعطيه قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ثم من تمام هذا الخبر قوله: «يا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْ سَأَلْتُمْ وَجِئْتُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئاً، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْ سَأَلْتُمْ وَجِئْتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا

عندي إلا كما ينقُصُ المَخِيْطُ إذا دَخَلَ في البَحْرِ» وهذا كله دواء لما ذكرناه من أمراض النفوس الضعيفة، فاستعمل يا ولي هذه الأدوية يقول الله: «إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أَوْفِيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيُحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ» ومن سأل عن حاجة فقد ذلّ ومن ذلّ لغير الله فقد ضلّ وظلم نفسه ولم يسلك بها طريق هداها، وهذه وصيتي إياك فالزمها ونصيحتي فاعلمها، وما زال الله تعالى يوصي عباده في كتابه وعلى ألسنة رسله، فكل من أوصاك بما في استعماله سعادتك فهو رسول من الله إليك فاشكره عند ربك.

وصية: إذا رأيت عالماً لم يستعمله علمه فاستعمل أنت علمك في أدبك معه حتى توفي العالم حقّه من حيث ما هو عالم، ولا تحجب عن ذلك بحاله السيء فإن له عند الله درجة علمه، فإن الإنسان يحشر يوم القيامة مع من أحب، ومن تأذّب مع صفة إلهية كسيها يوم القيامة وحشر فيها، وعليك بالقيام بكل ما تعلم أن الله يحبه منك فتبادر إليه فإنك إذا تحليت به على طريق التحبّب إليه تعالى أحببك، وإذا أحببتك أسعدك بالعلم به وبتجليه وبدار كرامته فينعمك في بلائك، والذي يحبه تعالى أمور كثيرة، أذكر منها ما تيسر على جهة الوصية والنصيحة، فمن ذلك التجمّل لله فإنه عبادة مستقلة ولا سيما في عبادة الصلاة فإنك مأمور به قال الله تعالى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ حُدُوًّا زَيْنَتَكَ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١] وقال في معرض الإنكار: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٢] وأكثر من هذا البيان في مثل هذا في القرآن فلا يكون، ولا فرق بين زينة الله وزينة الحياة الدنيا إلا بالقصد والنية، وإنما عين الزينة هي ما هي أمر آخر، فالنية روح الأمور، وإنما لامرئ ما نوى، فالهجرة من حيث ما كانت هجرة واحدة العين: «فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَرَوُّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ» وكذلك ورد في الصحيح في بيعة الإمام في الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزيهم ولهم عذاب أليم. وفيه ورجل بايع إماماً لا يبايعه إلا لدنيا فإن أعطاه منها وفى وإن لم يعطه منها لم يف، فالأعمال بالنيات وهي أحد أركان بيت الإسلام. وورد في الصحيح في مسلم: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَحْبَبْتُ أَنْ يَكُونَ نَعْلِي حَسَنًا وَثُوبِي حَسَنًا فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ» وقال: «إِنَّ اللَّهَ أَوْلَى مَنْ يَتَجَمَّلُ لَهُ».

ومن هذا الباب: كون الله تعالى لم يبعث إليه جبريل في أكثر نزوله عليه إلا في صورة دحية وكان أجمل أهل زمانه، وبلغ من أثر جماله في الخلق أنه لما قدم المدينة واستقبله الناس ما رأته امرأة حامل إلا ألقت ما فيه بطنها، فكأن الحق يقول يبشر نبيه ﷺ بإنزال جبريل عليه في صورة دحية: يا محمد ما بيني وبينك إلا صورة الجمال، يخبره تعالى بما له في نفسه سبحانه بالحال، فمن فاته التجمّل لله كما قلناه فقد فاته من الله هذا الحب الخاص المعين، وإذا فاته هذا الحب الخاص المعين فاته من الله ما ينتجه من علم وتجلّ وكرامة في دار السعادة، ومنزلة في كتيب الرؤية وشهود معنوي علمي روحي في هذه الدار الدنيا في سلوكه

ومشاهده، ولكن كما قلنا ينوي بذلك التجمل لله لا للزينة والفخر بعرض الدنيا والزهر والعجب والبطر على غيره.

ومن ذلك: الرجوع إلى الله عند الفتنة فإن الله يحب كل مفتن تواب كذا قال رسول الله ﷺ: قال الله عز وجل: ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢] والبلاء والفتنة بمعنى واحد وليس إلا الاختبار لما هو الإنسان عليه من الدعوى ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ أي اختبارك ﴿تَقُولُ بِهَا مَن نَّشَاءُ﴾ أي تحيره ﴿وَتَهْدِي مَن نَّشَاءُ﴾ [الأعراف: ١٥٥] أي تبين له طريق نجاته فيها.

وأعظم الفتن النساء والمال والولد والجاه، هذه الأربعة إذا ابتلى الله بها عبداً من عباده أو بواحد منها وقام فيها مقام الحق في نصبها له ورجع إلى الله فيها ولم يقف معها من حيث عينها وأخذها نعمة إلهية أنعم الله عليه بها فردته إليه تعالى وأقامته في مقام حق الشكر الذي أمر الله نبيه عليه السلام موسى به فقال له: «يَا مُوسَى اشْكُرْنِي حَقَّ الشُّكْرِ، قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ وَمَا حَقُّ الشُّكْرِ؟ قَالَ له: يَا مُوسَى إِذَا رَأَيْتَ النِّعْمَةَ مِنِّي فَذَلِكَ حَقُّ الشُّكْرِ» ذكره ابن ماجه في سننه عن رسول الله ﷺ. ولما غفر الله لنبيه محمد ﷺ ما تقدم من ذنبه وما تأخر وبشّره ذلك بقوله تعالى: ﴿لَيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] قام حتى تورمت قدماه شكراً لله تعالى على ذلك فما فتر ولا جنح إلى الراحة، ولما قيل له في ذلك وسئل في الفرق بنفسه قال ﷺ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا» وذلك لما سمع الله يقول: إن الله يحب الشاكرين فإن لم يقم في مقام شكر المنعم فاته من الله هذا الحب الخاص بهذا المقام الذي لا يناله من الله إلا الشكور، فإن الله يقول: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣] وإذا فاته فاته ماله من العلم بالله والتجلي والنعيم الخاص به في دار الكرامة وكثيب الرؤية يوم الزور الأعظم، فإنه لكل حب إلهي من صفة خاصة علم وتجل ونعيم ومنزلة لا بد من ذلك يمتاز بها صاحب تلك الصفة من غيره.

فأما فتنة النساء فصورة رجوعه إلى الله في محبتهم بأن يرى أن الكل أحب بعضه وحن إليه فما أحب سوى نفسه، لأن المرأة في الأصل خلقت من الرجل من ضلعه القصيرى فينزلها من نفسه منزلة الصورة التي خلق الله الإنسان الكامل عليها وهي صورة الحق فجعلها الحق مجلى له، وإذا كان الشيء مجلى للناظر فلا يرى الناظر في تلك الصورة إلا نفسه، فإذا رأى في هذه المرأة نفسه اشتد حبه فيها وميله إليها لأنها صورته، وقد تبين لك أن صورته صورة الحق التي أوجده عليها فما رأى إلا الحق ولكن بشهوة حب والتذاذ وصلة يفنى فيها فناء حق بحب صدق وقابلها بذاته مقابلة المثلية ولذلك فني فيها فما من جزء فيه إلا وهو فيها، والمحبة قد سرت في جميع أجزائه فتعلق كله بها فلذلك فني في مثله الفناء الكلي بخلاف حبه غير مثله فاتحد بمحبوبه إلى أن قال: «أنا من أهوى ومن أهوى أنا». وقال الآخر في هذا المقام: «أنا الله» فإذا أحببت مثلك شخصاً هذا الحب ردك إلى الله شهودك فيه هذا الرد فأنت ممن أحبه الله وكانت هذه الفتنة فتنة أعطتك المهادة. وأما الطريقة الأخرى في حب النساء

فإنهن محال الانفعال والتكوين لظهور أعيان الأمثال في كل نوع، ولا شك أن الله ما أحب أعيان العالم في حال عدم العالم إلا لكون تلك الأعيان محل الانفعال، فلما توجه عليها من كونه مریداً قال لها ﴿ كُنْ ﴾ [النحل: ٤٠] فكانت فظهر ملكه بها في الوجود، وأعطت تلك الأعيان لله حقه في ألوهته فكان إلهاً فعبده تعالً بجميع الأسماء بالحال، سواء علمت تلك الأسماء أو لم تعلمها، فما بقي اسم لله إلا والعبد قد قام فيه بصورته وحاله وإن لم يعلم نتيجة ذلك الاسم وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ في دعائه بأسماء الله: «أَوْ اسْتَأْذَنَتْ بِهِ فِي عِلْمِ غَيْبِكَ أَوْ عَلِمْتُهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ» يعني من أسمائه أن يعرف عينه حتى يفصله من غيره علماً فإن كثيراً من الأمور في الإنسان بالصورة والحال ولا يعلم بها ويعلم الله منه أن ذلك فيه، فإذا أحب المرأة لما ذكرناه فقد رده حبها إلى الله تعالً فكانت نعمة الفتنة في حقه فأحبه الله برجعته إليه تعالً في حبه إياها. وأما تعلقه بامرأة خاصة في ذلك دون غيرها وإن كانت هذه الحقائق التي ذكرناها سارية في كل امرأة فذلك لمناسبة روحانية بين هذين الشخصين في أصل النشأة والمزاج الطبيعي والنظر الروحي، فمنه ما يجري إلى أجل مسمى ومنه ما يجري إلى غير أجل بل أجله الموت، والتعلق لا يزول كحب النبي ﷺ عائشة فإنه كان يحبها أكثر من حبه جميع نسائه، وحبه أبا بكر أيضاً وهو أبوها، فهذه المناسبات الثواني هي التي تعين الأشخاص، والسبب الأول هو ما ذكرناه، ولذلك الحب المطلق والسمع المطلق والرؤية المطلقة التي يكون عليها بعض عباد الله ما تختص بشخص في العالم دون شخص، فكل حاضر عنده له محبوب وبه مشغول، ومع هذا لا بد من ميل خاص لبعض الأشخاص لمناسبة خاصة مع هذا الإطلاق لا بد من ذلك، فإن نشأة العالم تعطى في أحاده هذا لا بد من تقييد، والكامل من يجمع بين التقييد والإطلاق، فالإطلاق مثل قول النبي ﷺ: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثٌ: النَّسَاءُ» وما خص امرأة من امرأة. ومثل التقييد ما روي من حبه عائشة أكثر من سائر نسائه لنسبة إلهية روحانية قيده بها دون غيرها مع كونه يحب النساء، فهذا قد ذكرنا من الركن الواحد ما فيه كفاية لمن فهم.

وأما الركن الثاني من بيت الفتن وهو الجاه المعبر عنه بالرياسة، يقول فيه: الطائفة التي لا علم لها منهم آخر ما يخرج من قلوب الصديقين حب الرياسة، فالعارفون من أصحاب هذا القول ما يقولون ذلك على ما تفهمه العامة من أهل الطريق منهم، وإنما ذلك على ما نبينه من مقصود الكمل من أهل الله بذلك، وذلك أن في نفس الإنسان أموراً كثيرة خبأها الله فيه وهو ﴿الَّذِي يُخْرِجُ الْحَبَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُحْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النمل: ٢٥] أي ما ظهر منكم وما خفي مما لا تعلمونه منكم فيكم، فلا يزال الحق يخرج لعبده من نفسه مما أخفاه فيها ما لم يكن يعرف أن ذلك في نفسه، كالشخص الذي يرى منه الطبيب من المرض ما لا يعرفه العليل من نفسه، كذلك ما خبأه الله في نفوس الخلق، ألا تراه يقول ﷺ: «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ» وما كل أحد يعرف نفسه مع أن نفسه عينه لا غير ذلك، فلا يزال الحق يخرج للإنسان من نفسه ما خبأه فيها فيشده فيعلم من نفسه عند ذلك ما لم يكن يعلمه قبل ذلك،

فقال الطائفة الكثيرة: آخر ما يخرج من قلوب الصديقين حب الرياسة فيظهر لهم إذا خرج فيحبون الرياسة بحب غير حب العامة لها فإنهم يحبونها من كونهم على ما قال الله فيهم أنه سمعهم وبصرهم وذكر جميع قواهم وأعضاءهم، فإذا كانوا بهذه المثابة فما أحبوا الرياسة إلا بالله إذ التقدّم لله على العالم فإنهم عبيده، وما كان الرئيس إلا بالمرؤوس وجوداً وتقديراً، فحبّه للمرؤوس أشدّ الحب لأنه المثبت له الرياسة، فلا أحب من الملك في ملكه لأن ملكه المثبت له كونه ملكاً، فهذا معنى آخر ما يخرج من قلوب الصديقين حب الرياسة لهم فيرونه ويشهدونه ذوقاً لا أنه يخرج من قلوبهم فلا يحبون الرياسة فإنهم إن لم يحبوها فما حصل لهم العلم بها ذوقاً، وهي الصورة التي خلقهم الله عليها في قوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ» في بعض تأويلات هذا الخبر ومحتملاته فاعلم ذلك. والجاء إمضاء الكلمة ولا أمضى كلمة من قوله: ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] فأعظم الجاه من كان جاهه بالله، فيرى هذا العبد مع بقاء عينه فيعلم عند ذلك أنه المثل الذي لا يماثل فإنه عبد رب والله عز وجلّ رب لا عبد فله الجمعية وللحق الانفراد.

وأما الركن الثالث وهو المال، وما سمي المال بهذا الاسم إلا لكونه يمال إليه طبعاً، فاختر الله به عباده حيث جعل تيسير بعض الأمور بوجوده وعلق القلوب بمحبة صاحب المال وتعظيمه ولو كان بخيلاً فإن العيون تنظر إليه بعين التعظيم لتوهم النفوس باستغنائه عنهم لما عنده من المال، وربما يكون صاحب المال أشدّ الناس فقراً إليهم في نفسه، ولا يجد في نفسه الاكتفاء ولا القناعة بما عنده فهو يطلب الزيادة ممّا بيده. ولما رأى العالم ميل القلوب إلى رب المال لأجل المال أحبوا المال فطلب العارفون وجهاً إلهياً يحبون به المال إذ ولا بدّ من حبّه، وهنا موضع الفتنة والابتلاء التي لها الضلالة والمهدة، فأما العارفون فنظروا إلى أمور إلهية منها قوله تعالى: ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [المزمل: ٢٠] فما خاطب إلا أصحاب الجدة فأحبوا المال ليكونوا من أهل الخطاب فيلتذوا بسماعه حيث كانوا، فإذا أقرضوه رأوا أن الصدقة تقع بيد الرحمن فحصل لهم بالمال وإعطائه مناولة الحق منهم ذلك فكانت لهم وصلة المناولة، وقد شرف الله آدم بقوله: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] فمن يعطيه عن سؤاله القرض أتم في الالتذاد بالشرف ممّن خلقه بيده، فلولا المال ما سمعوا ولا كانوا أهلاً لهذا الخطاب الإلهي ولا حصل لهم بالقرض هذا التناول الرباني، فإن ذلك يعتم الوصلة مع الله، فاخترهم الله بالمال ثم اختبرهم بالسؤال منه وأنزل الحق نفسه منزلة السائلين من عباده أهل الحاجة أهل الثروة منهم والمال بقوله في الحديث المتقدم في هذا الباب: «يَا عَبْدِي اسْتَطَعْمَتَكَ فَلَمْ تُطْعَمْنِي وَاسْتَسْقَيْتَكَ فَلَمْ تَسْقِنِي» فكان لهم بهذا النظر حب المال فتنة مهدة إلى مثل هذا.

وأما فتنة الولد: فلكونه سرّ أبيه وقطعة من كبده وألصق الأشياء به، فحبه حب الشيء نفسه، ولا شيء أحب إلى الشيء من نفسه، فاختره الله بنفسه في صورة خارجة عنه سمّاه ولداً ليرى هل يحجبه النظر إليه عمّا كلفه الحق من إقامة الحقوق عليه، يقول رسول الله ﷺ: في حق ابنته فاطمة ومكانتها من قلبه المكانة التي لا تجهل: «لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ

قَطَعْتُ يَدَهَا» وجلد عمر بن الخطاب ابنه في الزنى فمات ونفسه بذاك طيبة، وجاد ماعز بنفسه والمرأة في إقامة الحد عليهما الذي فيه إتلاف نفوسهما وقال في توبتهما رسول الله ﷺ، وأي توبة أعظم من أن جادت بنفسها، والجود بإقامة الحق المكروه على الولد أعظم في البلاء، يقول الله في موت الولد في حق الوالد: «مَا لِعِبْدِي الْمُؤْمِنِينَ إِذَا قَبَضْتُمْ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا عِنْدِي جَزَاءً إِلَّا الْجَنَّةُ» فمن أحكم هذه الأركان التي هي من أعظم الفتن وأكبر المحن وأثر جناب الحق ورعاها فيها فذلك الرجل الذي لا أعظم منه في جنسه.

ومن وصيتي إياك: أنك لا تنام إلا على وتر لأن الإنسان إذا نام قبض الله روحه إليه في الصورة التي يرى نفسه فيها إن رأى رؤيا فإن شاء ردها إليه إن كان لم ينقض عمره وإن شاء أمسكها إن كان قد جاء أجله، فالاحتياط أن الإنسان الحازم لا ينام إلا على وتر، فإذا نام على وتر نام على حالة وعمل يحبه الله، ورد في الخبر الصحيح: «إِنَّ اللَّهَ وَتَرْتُ يُحِبُّ الْوَتَرَ» فما أحب إلا نفسه، وأي عناية وقرب أعظم من أن أنزلك منزلة نفسه في حبه إياك إذا كنت من أهل الوتر في جميع أفعالك التي تطلب العدد والكمية، وقد أمرك الله تعالى على لسان رسوله ﷺ فقال: «أَوْتِرُوا يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ» وأهل القرآن هم أهل الله وخاصته، وكذلك إذا اكتحلت فاكتحل وترأ في كل عين واحدة أو ثلاثة فإن كل عين عضو مستقل بنفسه، وكذلك إذا طعمت فلا تنزع يدك إلا عن وتر، وكذلك شربك الماء في حسواتك إياه اجعله وترأ، وإذا أخذك الفواق اشرب من الماء سبع حسوات فإنه ينقطع عنك، هذا تجربته بنفسه، وإذا تنفست في شربك فتنفس ثلاث مرات وأزل القدم عن فيك عند التنفس هكذا أمرك رسول الله ﷺ فإنه أبرا وأمرأ وأروى. وإذا تكلمت بالكلمة لتفهم السامع فأعدها عليه ثلاث مرآت وترأ حتى تفهم عنك، فهكذا كان يفعل رسول الله ﷺ، فإني ما أوصيك إلا بما جرت السنة الإلهية عليه، وهذا هو عين الاتباع الذي أمرك الله تعالى به في القرآن فقال: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] فهذه محبة الجزاء. وأما محبته الأولى التي ليست جزاء فهي المحبة التي وفقك بها للاتباع، فحبك قد جعله الله بين حبين إلهيين: حب منة وحب جزاء، فصارت المحبة بينك وبين الله وترأ حب المنة وهو الذي أعطاك التوفيق للاتباع، وحبك إياه وحبته إياك جزاء من كونك اتبعت ما شرعه لك ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] وبهذه الآية ثبتت عصمة رسول الله ﷺ، فإنه لو لم يكن معصوماً ما صحّ التأسي به، فنحن نتأسى برسول الله ﷺ في جميع حركاته وسكناته وأفعاله وأحواله وأقواله ما لم ينه عن شيء من ذلك على التعيين في كتاب أو سنة، مثل نكاح الهبة خالصة لك من دون المؤمنين، ومثل وجوب قيام الليل عليه والتهجد فهو ﷺ يقومه فرضاً نحن نقومه تأسياً وندباً فاشتركتنا في القيام، يقول أبو هريرة: أوصاني خليلي ﷺ بثلاث فأوتر في وصيته وفيها أن لا أنام إلا على وتر. وورد في الحديث الصحيح: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ» فإن الله وتر يحب الوتر. وقد تقدم في هذا الكتاب في باب سؤالات الترمذي الحكيم وهو آخر أبواب فصل المعارف في حب الله التوابين والمتطهرين والشاكرين

والصابرين والمحسنين وغيرهم ممّا ورد أن الله يحب إتيانه، كما وردت أشياء لا يحبها الله قد ذكرناها في هذا الكتاب فأغنى عن إعادتها.

وصية: عليك بمراقبة الله عزّ وجلّ فيما أخذ منك وفيما أعطاك فإنه تعالى ما أخذ منك إلا لتصبر فيحبك فإنه يحب الصابرين، وإذا أحبك عاملك معاملة المحب محبوبه فكان لك حيث تريد إذا اقتضت إرادتك مصلحتك، وإذا لم تقتض إرادتك مصلحتك فعل بحبه إياك معك ما تقتضيه المصلحة في حَقِّك، وإن كنت تكره في الحال فعله معك فإنك تحمد بعد ذلك عاقبة أمرك، فإن الله غير متهم في مصالح عبده إذا أحبه، فميزانك في حبه إياك أن تنظر إلى ما رزقك من الصبر على ما أخذه منك ورزأك فيه من مال أو أهل، أو ما كان ممّا يعزّز عليك فراقه، وما من شيء يزول عنك من المألوفات إلا ولك عوض منه عند الله إلا الله كما قال بعضهم: [البسيط]

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا فَارَقْتَهُ عِوَضٌ وليس لله إن فَارَقْتَّ مِنْ عِوَضٍ

فإنه لا مثل له، وكذلك إذا أعطاك وأنعم عليك، ومن جملة ما أنعم به عليك وأعطاك الصبر على ما أخذه منك، فأعطاك لتشكر كما أخذ منك لتصبر، فإنه تعالى يحب الشاكرين، وإذا أحبك حب الشاكرين غفر لك. قال رسول الله ﷺ في رجل رأى غصن شوك في طريق الناس فنحاه: «فَشَكَرَ اللَّهُ فَعَلَهُ فَعَفَرَ لَهُ» فإن الإيمان بضع وسبعون شعبة أدناها إمطة الأذى عن الطريق وهو ما ذكرناه، وأرفعها قول: لا إله إلا الله، فالمؤمن الموفق يبحث عن شعب الإيمان فيأتيها كلها، ويحثه عن ذلك من جملة شعب الإيمان، فذلك هو المؤمن الذي حاز الصفة وملاً يديه من الخير، وما شكرك الله بسبب أمر أتيته ممّا شرع لك الإتيان به إلا لتزيد في أعمال البرّ، كما أنك إذا شكرته على ما أنعم به عليك زادك من نعمه لقوله: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] ووصف نفسه بأنه يشكر عباده فهو الشكور فزاده كما زادك لشكرك، ومع هذا فاعتقد أن كل شيء عنده بمقدار وكل شيء في الدنيا يجري إلى أجل مسمّى عند الله، فما ثم شيء في العالم إلا وهو لله فإن أخذه منك فما أخذه إلا إليه، وإن أعطاك فما أعطاك إلا منه، فالأمر كله منه وإليه، وكفى بك إذا علمت أن الأمر على ما أعلمت أن تكون مع الله تشهده في جميع أحوالك من أخذ وعطاء فإنك لن تخلو في نفسك من أخذ وعطاء في كل نفس أول ذلك أنفاسك التي بها حياتك، فيأخذ منك نفسك الخارج بما خرج من ذكر بقلب أو لسان، فإن كان خيراً ضاعف لك أجره، وإن كان غير ذلك فمن كرمه وعفوه يغفر لك ذلك ويعطيك نفسك الداخل بما شاء وهو وارد وقتك، فإن ورد بخير فهو نعمة من الله فقابلها بالشكر، وإن كان غير ذلك ممّا لا يرضي الله فأسأله المغفرة والتجاوز والتوبة، فإنه ما قضى بالذنوب على عباده إلا ليستغفروه فيغفر لهم ويتوبوا إليه فيتوب عليهم. وورد في الحديث: «لَوْ لَمْ تَذُنُّوا لَجَاءَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُذُنُّونَ وَيَتُوبُونَ فَيَغْفِرُ اللَّهُ لَهُمْ وَيَتُوبُ عَلَيْهِمْ» حتى لا يتعطل حكم من الأحكام الإلهية في الدنيا. ورد في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لِلَّهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أُعْطِيَ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا انْتَهَى أَجَلُهُ انْقَضَى وَجَاءَ

عَظِيمُهُ» وإنما قال رسول الله ﷺ هذا معرفاً إيانا بما هو الأمر عليه لنسلم الأمر إليه فنزق درجة التسليم والتفويض مع بذل المجهود فيما يحب منا أن نرجع إليه فيه بحسب الحال إن كان في المخالفة فبالتوبة والاستغفار، وفي الموافقة بالشكر وطلب الإقامة على طاعة الله وطاعة رسوله، ونجد عزاء في نفوسنا بمعرفتنا أن كل شيء عند الله في الدنيا يجري إلى أجل مسمى، وللصابرين حمد يخصهم وهو الحمد لله على كل حال، وللشاكرين حمد يخصهم وهو الحمد لله المنعم المفضل، كذا كان يحمد رسول الله ﷺ ربه عز وجل في حالة السراء والضراء، والتأسي برسول الله ﷺ في ذلك أولى من أن تستنبط حمداً آخر، فإنه لا أعلى مما وضعه العالم المكمل الذي شهد الله له بالعلم به وأكرمه برسالته واختصاصه وأمرنا بالإقتداء به واتباعه، فلا تحدث أمراً ما استطعت فإنك إذا سنت سنة لم يجيء مثلها عن رسول الله ﷺ وهي حسنة فإن لك أجرها وأجر من عمل بها، وإذا تركت تسنيها اتباعاً لكون رسول الله ﷺ لم يستها فإن أجرك في اتباعك ذلك أعني ترك التسنين أعظم من أجرك من حيث ما سنتت بكثير، فإن النبي ﷺ كان يكره كثرة التكليف على أمته، وكان يكره لهم أن يسألوا في أشياء مخافة أن ينزل عليهم في ذلك ما لا يطيقونه إلا بمشقة، ومن سن فقد كلف وكان النبي ﷺ أولى بذلك ولكن تركه تخفيفاً، فلهذا قلنا: الاتباع في الترك أعظم أجراً من التسنين، فاجعل بالك لما ذكرته لك. ولقد بلغني عن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه أنه ما أكل البطيخ فقيل له في ذلك فقال: ما بلغني كيف كان رسول الله ﷺ يأكله، فلما لم تبلغ إليه الكيفية في ذلك تركه، وبمثل هذا ما تقدم علماء هذه الأمة على سائر علماء الأمم هكذا هكذا وإلا فلا لا، فهذا الإمام علم وتحقق معنى قوله تعالى: عن نبيه ﷺ: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] وقوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] والاشتغال بما سن من فعل وقول وحال أكثر من أن نحيط به، فكيف أن تفرغ لنسن؟ فلا تكلف الأمة أكثر مما ورد.

وصية: عليك بأداء الأوجب من حق الله وهو أن لا تشرك به شيئاً من الشرك الخفي الذي هو الاعتماد على الأسباب الموضوعية والركون إليها بالقلب والطمأنينة بها وهي سكون القلب إليها وعندها، فإن ذلك من أعظم رزية دينية في المؤمن وهو قوله والله أعلم من باب الإشارة: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦] يعني والله أعلم به هذا الشرك الخفي الذي يكون معه الإيمان بوجود الله والنقص في الإيمان بتوحيد الله في الأفعال لا في الألوهة، فإن ذلك هو الشرك الجلي الذي يناقض الإيمان بتوحيد الله في ألوهته لا الإيمان بوجود الله. ورد في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أَتَدْرُونَ مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟ أَنْ يَعْبُدُوهُ لَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً» فأتى بلفظة شيء وشيء نكرة فدخل فيه الشرك الجلي والخفي. ثم قال: «أَتَدْرُونَ مَا حَقُّهُمْ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ؟ أَنْ لَا يَعَذِّبَهُمْ» فاجعل بالك من قوله: أن لا يعذبهم فإنهم إذا لم يشركوا بالله شيئاً لم يتعلق لهم خاطر إلا بالله إذ لم يكن لهم توجه إلا إلى الله، وإذا أشركوا بالله الشرك الناقض للإسلام أو الشرك الخفي الذي هو النظر إلى الأسباب المعتادة فإن الله قد عذبهم بالاعتماد عليها لأنها معرضة للفقْد، ففي

حال وجودها يتعذبون بتوهم فقدها وبما ينقص منها، وإذا فقدوها تعذبوا بفقدائها فهم معذبون على كل حال في وجود الأسباب وفقدائها، وإذا لم يشركوا بالله شيئاً من الأسباب استراحوا ولم يبالوا بفقدائها ولا بوجودها، فإن الذي اعتمدوا عليه وهو الله قادر على إتيان الأمور من حيث لا يحتسبون كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٣.٢] ولقد قال في ذلك بعضهم نظماً وهو: [المتقارب]

وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ كما قال من أمره مَخْرَجًا
وَيَرْزُقْهُ مِنْ غَيْرِ حُسْبَانِهِ وإن ضَاقَ أَمْرُ بِهِ فَرَجًا

فمن علامة التحقق بالتقوى أن يأتي رزقه من حيث لا يحتسب، وإذا أتاه من حيث يحتسب فما تحقق بالتقوى ولا اعتمد على الله، فإن معنى التقوى في بعض وجوهه أن تتخذ الله وقاية من تأثير الأسباب في قلبك باعتمادك عليها والإنسان أبصر بنفسه وهو يعلم من نفسه بمن هو أوثق وبما تسكن إليه نفسه ولا يقول: إن الله أمرني بالسعي على العيال وأوجب علي النفقة عليهم فلا بد من الكد في الأسباب التي جرت العادة أن يرزقهم الله عندها، فهذا لا يناقض ما قلناه، فنحن إنما نهيناك عن الاعتماد عليها بقلبك والسكون عندها ما قلنا لك لا تعمل بها، ولقد نمت عند تقيدي هذا الوجه ثم رجعت إلى نفسي وأنا أنشد بيتين لم أكن أعرفهما قبل ذلك وهما: [السريع]

لَا تَعْتَمِدْ إِلَّا عَلَى اللَّهِ فَكُلُّ أَمْرٍ بِيَدِ اللَّهِ
وَهَذِهِ الْأَسْبَابُ حِجَابُهُ فَلَا تَكُنْ إِلَّا مَعَ اللَّهِ

فانظر في نفسك فإن وجدت أن القلب سكن إليها فاتهم إيمانك واعلم أنك لست ذلك الرجل، وإن وجدت قلبك ساكناً مع الله واستوى عندك حالة فقد السبب المعين وحالة وجوده ولكن مع الفقد يكون ذلك فاعلم أنك ذلك الرجل الذي آمن ولم يشرك بالله شيئاً وإنك من القليل فإن رزقك من حيث لا تحتسب، فذلك بشرى من الله أنك من المتقين، ومن سر هذه الآية أن الله وإن رزقك من السبب المعتاد الذي في خزانتك وتحت حكمك وتصريفك وأنت متق أي قد اتخذت الله وقاية فإنه الواقى إنك مرزوق من حيث لا تحتسب، فإنه ليس في حسابك أن الله يرزقك، ولا بد مما بيدك ومن الحاصل عندك، فما رزقك إلا من حيث لا تحتسب، وإن أكلت وارتزقت من ذلك الذي بيدك فاعلم ذلك فإنه معنى دقيق، ولا يشعر به إلا أهل المراقبة الإلهية الذين يراقبون بواطنهم وقلوبهم، فإن الوقاية ليست إلا لله تمنع العبد من أن يصل إلى الأسباب بحكم الاعتماد عليها لاعتماده على الله عز وجل، وهذا هو معنى قوله: ﴿يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢] فهذا مخرج التقوى في هذه الآية وهي وصية الله عبده وإعلامه بما هو الأمر عليه.

وصية: احذر يا ولي أن تريد علواً في الأرض والزم الخمول، وإن أعلى الله كلمتك فما أعلى إلا الحق، وإن رزقك الرفعة في قلوب الخلق فذلك إليه عز وجل، والذي يلزمك التواضع والدلة والانكسار فإنه إنما أنشأك من الأرض فلا تعلق عليها فإنها أمك، ومن تكبر

على أمه فقد عقها وعقوق الوالدين حرام، ثم إنه قد ورد في الحديث أن حقاً على الله أن لا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه، فإن كنت أنت ذلك الشيء فانتظر وضع الله إياك، وما أخاف على من هذه صفته إلا أن الله تعالى إذا وضعه يضعه في النار، وذلك إذا رفع ذلك الشيء نفسه لا إذا رفعه الله فذلك ليس إليه إلا أنه لا بد أن يراقب الله فيما أعطاه من الرفعة في الأرض بولاية وتقدم يخدم من أجله ويغشى بابه ويلزم ركابه فلا يبرح ناظراً في عبوديته وأصله فإنه خلق من ضعف ومن أصل موصوف بأنه ذلول، ويعلم أن تلك الرفعة إنما هي للرتبة والمنصب لا لذاته، فإنه إذا عزل عنها لم يبق له ذلك الوزن الذي كان يتخيله وينتقل ذلك إلى من أقامه الله في تلك المنزلة فالعلو للمنزلة لا لذاته، فمن أراد العلو في الأرض فقد أراد الولاية فيها وقد قال رسول الله ﷺ في الولاية: «إِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَسْرَةٌ وَنَدَامَةٌ» فلا تكن من الجاهلين، فالذي أوصيك به أنك لا تريد علواً في الأرض، وإن أعطاك الله لا تطلب أنت من الله إلا أن تكون في نفسك صاحب ذلة ومسكنة وخشوع فإنك لن تحصل ذلك إلا أن يكون الحق مشهوداً لك، وليس مدار الخلق والأكابر إلا على أن يحصل لهم مقام الشهود فإنه الوجود المطلوب.

وصية: وعليك بالاغتسال في كل يوم جمعة واجعله قبل رواحك إلى صلاة الجمعة، وإذا اغتسلت فانو فيه أنك تؤذي واجباً فإنه قد ورد في الصحيح: «إِنْ غُسِلَ الْجُمُعَةَ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ» وقد ورد عن رسول الله ﷺ: «حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَغْتَسِلَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ» فيجمع بين الحديتين بغسل الجمعة وذلك أن الله خلق سبعة أيام وهي أيام الجمعة فإذا انقضت جمعة دارت الأيام فهي الجديدة الدائرة فلا تنصرف عنك دورة إلا عن طهارة تحدثها فيها إكراماً لذاتها وتقديساً وتنظيفاً، كما جاء في السواك: «إِنَّهُ مَطْهَرَةٌ لِلنَّفْسِ وَمَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ» وكذلك الغسل في الأسبوع مطهرة للبدن ومرضاة للرب أي أن العبد فعل فعلاً يرضي الله به من حيث أن الله أمره بذلك فامتثل أمره.

وصية: إياك والمرء في شيء من الدين وهو الجدل فلا يخلو من أحد أمرين: إما أن تكون محقاً أو مبطلاً كما يفعل فقهاء زماننا اليوم في مجالس مناظراتهم ينون في ذلك تلقيح خواطرهم، فقد يلتزم المناظر في ذلك مذهباً لا يعتقده وقولاً لا يرتضيه وهو يجادل به صاحب الحق الذي يعتقد فيه أنه حق ثم تخدعه النفس في ذلك بأن تقول له: إنما تفعل ذلك لتلقيح خاطر لا لإقامة الباطل، وما علم أن الله عند لسان كل قائل، وأن العامي إذا سمع مقالته بالباطل وظهوره على صاحب الحق وهو عنده أنه فقيه عمل العامي المقلد على ذلك الباطل لما رأى من ظهوره على صفة الحق وعجز صاحب الحق عن مقاومته فلا يزال الإثم يتعلق به ما دام هذا السامع يعمل بما سمع منه، ولهذا ورد في الخبر عن رسول الله ﷺ الثابت أنه قال: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رِبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقّاً وَبَيْتٍ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَارِحاً» ومنه المرء في الباطل، وكان رسول الله ﷺ يمزح ولا يقول إلا حقاً.

وصية: وعليك بحسن الأخلاق وإتيان مكارمها وتجنب سفاسفها فإن النبي ﷺ يقول: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ» وأنه ﷺ قد ضمن بيتاً في أعلى الجنة لمن حسن خلقه. ولما كانت الأخلاق الحسنة عبارة عن أن نفعل مع المتخلق معه الذي يصرف أخلاقه معه في معاملته إياه، وعلمنا أن أغراض الخلق متقابلة، وأنه إن أرضى زبداً أسخط عدوه عمراً ولا بد من ذلك، فمن المحال أن يقوم في خلق كريم يرضي جميع الخلائق، ولما رأينا أن الأمر على هذا الحد وأدخل الله نفسه مع عباده في الصحبة كما ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال لربه: «أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ» وقال: «وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ» وقال: «إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا» [التوبة: ٤٠] وقال: «إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى» [طه: ٤٦] قلنا: فلا نصرف مكارم الأخلاق إلا في صحبة الله خاصة، فكل ما يرضي الله نأتيه وكل ما لا يرضيه نجتنبه، وسواء كانت المعاملة والخلق ممّا يخص جانب الحق أو تتعدى إلى الغير، وأنها إن تعدت إلى الغير فإنها ممّا يرضي الله، وسواء عندك سخط ذلك الغير أو رضي، فإنه إن كان مؤمناً رضي بما يرضي الله وإن كان عدو الله فلا اعتبار له عندنا فإن الله يقول: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ» [الحجرات: ١٠] وقال: «لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوُا إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ» [المتحنة: ١] فحسن الخلق إنما هو فيما يرضي الله فلا تصرفه إلا مع الله سواء كان ذلك في الخلق أو فيما يختص بجناب الله، فمن راعى جناب الله انتفع به جميع المؤمنين وأهل الذمة، فإن الله حقاً على كل مؤمن في معاملة كل أحد من خلق الله على الإطلاق من كل صنف من ملك وجان وإنسان وحيوان ونبات وجماد ومؤمن وغير مؤمن، وقد ذكرنا ذلك في رسالة الأخلاق لنا كتبنا بها إلى بعض إخواننا سنة إحدى وتسعين وخمسمائة وهي جزء لطيف غريب في معناه فيه معاملة جميع الخلق بالخلق الحسن الذي يليق به، وحسن الخلق بحسب أحوال من تصرفها فيه ومعه هذا أمر عام والتفصيل فيه لك بالواقع فانظر فيه فإنه أكثر من أن تحصى آحاده لما في ذلك من التطويل والله الموفق لا رب غيره. وكذلك تجنب سفاسف الأخلاق ولا تعرف مكارم الأخلاق من سفاسفها إلا حتى تعرف مصارفها، فإذا علمت مصارفها علمت مكارمها وسفاسفها وهو علم خفي شريف، فلا يفوتك علم مصارف الأخلاق فإن ذلك يختلف باختلاف الوجوه.

وصية: وعليك بالهجرة ولا تقم بين أظهر الكفار فإن في ذلك إهانة دين الإسلام وإعلاء كلمة الكفر على كلمة الله، فإن الله ما أمر بالقتال إلا لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، وإياك والإقامة أو الدخول تحت ذمة كافر ما استطعت. واعلم أن المقيم بين أظهر الكفار مع تمكنه من الخروج من بين ظهرانيهم لا حظ له في الإسلام، فإن النبي ﷺ قد تبرأ منه ولا يتبرأ رسول الله ﷺ من مسلم، وقد ثبت عنه أنه ﷺ قال: «أَنَا بَرِيءٌ مِنْ مُسْلِمٍ يَقِيمُ بَيْنَ أَظْهَرِ الْمُشْرِكِينَ» فما اعتبر له كلمة الإسلام. وقال الله تعالى فيمن مات وهو بين أظهر المشركين: «إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمُ الْكَلْبَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ» [النساء: ٩٧] قال الله لهم: «أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَارِجُوا فِيهَا فَأَوَّلَيْتُمْ مَا بَدَأْتُمْ بِهِمْ وَسَاءَتْ

مَصِيرًا ﴿ ولهذا حجرنا في هذا الزمان على الناس زيارة بيت المقدس والإقامة فيه لكونه بيد الكفار، فالولاية لهم والتحكم في المسلمين والمسلمون معهم على أسوأ حال نعوذ بالله من تحكم الأهواء، فالزائرون اليوم البيت المقدس والمقيمون فيه من المسلمين هم من الذين قال الله فيهم: ﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف: ١٠٤] وكذلك فلتهاجر عن كل خلق مذموم شرعاً قد ذمه الحق في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ .

وصية: وعليك باستعمال العلم في جميع حركاتك وسكناتك، فإن السخي الكامل السخاء من يسخر بنفسه على العلم، فكان بحكم ما شرع الله له فعلم وعمل وعلم من لم يعلم، وقد أثنى رسول الله ﷺ على من قبل العلم وعمل به وعلمه وذم نقيض ذلك فثبت عنه ﷺ أنه قال: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَّاءَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبٌ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَفَتَحَ اللَّهُ بِهِ النَّاسَ فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا وَأَصَابَ مِنْهَا طَائِفَةٌ إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلًّا، وَكَذَلِكَ مَنْ فُقِدَ فِي دِينِ اللَّهِ وَفُتِعَ بِمَا بَعَثَنِي بِهِ فَعَلِمَ وَعَمِلَ وَعَلِمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا مَثَلُ الْقِيعَانِ الَّتِي لَمْ تُمْسِكْ مَاءً وَلَا أَنْبَتَتْ كَلًّا» فكن يا أخي ممن علم وعمل وعلم، ولا تكن ممن علم وترك العمل فيكون كالسراج أو كالشمعة تضيء للناس وتحرق نفسك، فإنك إذا عملت بما علمت جعل الله لك فرقاناً ونوراً وورثك ذلك العمل علماً آخر لم تكن تعلمه من العلم بالله وبما لك فيه منفعة عند الله في آخرتك، فاجهد أن تكون من العلماء العاملين المرشدين .

وصية: وعليك بالتوّدّد لعباد الله من المؤمنين بإفشاء السلام وإطعام الطعام والسعي في قضاء حوائجهم . واعلم أن المؤمنين أجمعهم جسد واحد كإنسان واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى، كذلك المؤمن إذا أصيب أخوه المؤمن بمصيبة فكانه هو الذي أصيب بها فيتألم لتألمه، ومتى لم يفعل ذلك المؤمن مع المؤمنين فما ثبتت أخوة الإيمان بينه وبينهم، فإن الله قد واخى بين المؤمنين كما واخى بين أعضاء جسد الإنسان، وبهذا وقع المثل من النبي ﷺ في الحديث الثابت وهو قوله ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحَمَى وَالسَّهْرِ» . واعلم أن المؤمن كثير بأخيه، وأن المؤمن لما كان من أسماء الله مع ما ينضاف إلى ذلك من خلقه على الصورة ثبت النسب، والمؤمن أخو المؤمن لا يسلمه ولا يخذله، فمن كان مؤمناً بالله من حيث ما هو الله مؤمن فإنه يصدقه في فعله وقوله وحاله وهذه هي العصمة، فإن الله من كونه مؤمناً يصدقه في ذلك ولا يصدق الله إلا الصادق فإن تصديق الكاذب على الله محال فإن الكذب عليه محال وتصديق الكاذب كذب بلا شك، فمن ثبت إيمانه بالله من كون الله مؤمناً فإن هذا العبد لا شك أنه من الصادقين في جميع أموره مع الله لأنه مؤمن بالله مؤمن به أيضاً، فتنبه لما دلتك عليه ووصيتك به في الإيمان بالله من كونه مؤمناً تتتفع، فإني قد أريتك الطريق الموصل إلى نيل ذلك، واعتصم بالله ﴿ وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [آل عمران: ١٠١] فإن الله على صراط مستقيم وليس إلا ما شرعه لعباده .

وصية: لا تكثرث لما يصيبك الله به من الرزايا في مالك ومن يعزّ عليك من أهلك ممّا يستمى في العرف رزية ومصاباً وقل: إنا لله وإنا إليه راجعون عند نزولها بك، وقل فيها كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما أصابتنى من مصيبة إلا رأيت أن الله عليّ فيها ثلاث نعم: النعمة الواحدة حيث لم تكن المصيبة في ديني، والنعمة الثابتة حيث لم يكن ما هو أكبر منها فدفع الله بها ما هو أعظم منها، والنعمة الثالثة ما جعل الله فيها من الأمر بالكفارة لما كنا نتوقاه من سيئات أعمالنا. واعلم أن المؤمن في الدنيا كثير الرزايا لأن الله يحب أن يطهره حتى ينقلب إليه طاهراً مطهراً من دنس المخالفات التي كتب الله عليه في الدنيا أن يقام فيها، فلا يزال المؤمن مرزاً في عموم أحواله، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ في ذلك: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الْخَامَةِ مِنَ الرُّزْعِ تَضْرَعُهَا الرِّيحُ مَرَّةً وَتَعَادِلُهَا أُخْرَى حَتَّى تَهِيحَ».

وصية: عليك بتلاوة القرآن وتدبره، وانظر في تلاوتك إلى ما حمد فيه من النعوت والصفات التي وصف الله بها من أحبه من عباده فاتصف بها، وما ذمّ الله في القرآن من النعوت والصفات التي اتصف بها من مقته الله فاجتنبها، فإن الله ما ذكرها لك وأنزلها في كتابه عليك وعرفك بها إلا لتعمل بذلك، فإذا قرأت القرآن تكن أنت القرآن لما في القرآن، واجتهد أن تحفظه بالعمل كما حفظته بالتلاوة فإنه لا أحد أشدّ عذاباً يوم القيامة من شخص حفظ آية ثم نسيها، كذلك من حفظ آية ثم ترك العمل بها كانت عليه شاهدة يوم القيامة وحسرة، وإنه قد ثبت عن رسول الله ﷺ في أحوال من يقرأ القرآن ومن لا يقرؤه من مؤمن ومنافق فقال ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَفْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الْأَثْرَجَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ» يعني بها التلاوة والقراءة فإنها أنفاس تخرج، فشبهها بالروائح التي تعطيها الأنفاس وطعمها طيب يعني به الإيمان ولذلك قال: «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا» فنسب الطعم للإيمان ثم قال: «وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَفْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الثَّمَرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ» مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ مُؤْمِنٌ ذُو إِيمَانٍ «وَلَا رِيحَ لَهَا» من حيث إنه غير تال في الحال التي لا يكون فيها تالياً وإن كان من حفاظ القرآن. ثم قال: «وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَفْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الرِّيحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ» لأن القرآن طيب وليس سوى أنفاس التالي والقارىء في وقت تلاوته وحال قراءته «وَطَعْمُهَا مُرٌّ» لأن النفاق كفر الباطن لأن الحلاوة للإيمان لأنها مستلذة. ثم قال: «وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَفْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ طَعْمُهَا مُرٌّ وَلَا رِيحَ لَهَا» لأنه غير قارىء في الحال. وعلى هذا المساق كل كلام طيب فيه رضى الله صورته من المؤمن والمنافق صورة القرآن في التمثيل غير أن القرآن منزلته لا تخفى، فإن كلام الله لا يضاهيه شيء من كل كلام مقرب إلى الله فينبغي للذاكر إذا ذكر الله متى ذكره أن يحضر في ذكره ذلك ذكراً من الأذكار الواردة في القرآن، فيذكر الله به ليكون قارئاً في الذكر، وإذا كان قارئاً فيكون حاكياً للذكر الذي ذكر الله به نفسه، وإذا كان كذلك فقد أنزل نفسه فيه منزلة ربه منه وهو قوله: «فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ» [التوبة: ٦] وقوله: إن الله قال على لسان عبده: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ» ويقال للقارىء يوم القيامة: اقرأ وارق ورقيه في الدنيا في أيام التكليف في قراءته أن يرقى من تلاوته إلى تلاوته بأن يكون الحق هو الذي يتلو

على لسان عبده كما يكون سمعه الذي به يسمع وبصره الذي به يبصر ويديه اللتين بهما يبطن ورجليه اللتين بهما يسعى، كذلك هو لسانه الذي به ينطق ويتكلم، فلا يحمد الله ولا يسبحه ولا يهلله إلا بما ورد في القرآن عن استحضار منه، لذلك فيرقى من قراءته بنفسه إلى قراءته بربه، فيكون الحق هو الذي يتلو كتابه فيرتفع يوم القيامة في الآية التي ينتهي إليها في قراءته ويقف عندها إلى الدرجة التي تليق بتلك الآية التي يكون الحق هو التالي لها بلسان هذا العبد عن حضور من العبد التالي لذلك، فإن أفضل الكلام كلام الله الخاص المعروف في العرف.

وصية: وعليك بمجالسة من تنتفع بمجالسته في دينك من علم تشهده منه أو عمل يكون فيه أو خلق حسن يكون عليه، فإن الإنسان إذا جلس من تذكره مجالسته الآخرة فلا بد أن يتحلى منها بقدر ما يوفقه الله لذلك، وإذا كان الجليس له هذا التعدي فاتخذ الله جليساً بالذكر والذكر القرآن وهو أعظم الذكر، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ الذَّكْرُ ﴾ [الحجر: ٩] يعني القرآن، وقال: «أَنَا جَلِيسٌ مِّنْ ذِكْرِنِي» وقال ﷺ: «أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ» وخاصة الملك جلساؤه في أغلب أحوالهم والله له الأخلاق وهي الأسماء الحسنى الإلهية، فمن كان الحق جليسه فهو أنيسه، فلا بد أن ينال من مكارم أخلاقه على قدر مدة مجالسته، ومن جلس إلى قوم يذكرون الله فإن الله يدخله معهم في رحمته، فهم القوم الذين لا يشقى جليسهم فكيف يشقى من كان الحق جليسه؟ وقد ورد في الحديث الثابت: «إِنَّ الْجَلِيسَ الصَّالِحَ كَصَاحِبِ الْمِسْكِ إِنْ لَمْ يُصْبِكْ مِنْ شَرِّهِ أَصَابَكَ مِنْ دُخَانِهِ» وهو أنه من خالط أصحاب الريب ارتيب فيه، وذلك لما غلب على الناس من سوء الظن بالناس لخبث بواطنهم.

وهنا فائدة أنبهك عليها أغفلها الناس وهي تدعو إلى حسن الظن بالناس ليكون محلك ظاهراً من السوء، وذلك أنك إذا رأيت من يعاشر الأشرار وهو خير عندك فلا تسيء الظن به لصحبته الأشرار بل حسن الظن بالأشرار لصحبتهم ذلك الخير، واجعل المناسبة في الخير لا في الشر فإن الله ما سأل أحداً قط يوم القيامة عن حسن الظن بالخلق ويسأله عن سوء الظن بالخلق، ويكفيك هذا نصحاً إن قبلت ووصية إن قلت بها، والذاكر ربه حياته متصلة دائماً لا تنقطع إلا بالموت فهو حي وإن مات بحياة هي خير وأتم من حياة المقتول في سبيل الله إلا أن يكون المقتول في سبيل الله من الذاكرين فهي حياة الشهيد وحياة الذاكر، فالذاكر حي وإن مات، والذي لا يذكر الله ميت وإن كان في الدنيا من الأحياء فإنه حي بالحياة الحيوانية وجميع العالم حي بحياة الذكر، فمثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت كذا مثله رسول الله ﷺ، وأما ما ادعيت أنه الذاكر أفضل من الشهيد الذي لا يذكر الله فلما صح عن رسول الله ﷺ في قوله: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ» أَوْ كَمَا قَالَ «بِخَيْرٍ لَّكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَيَضْرِبَ رِقَابَكُمْ وَتَضْرِبُونَ رِقَابَهُمْ؟ ذَكَرَ اللَّهُ» فذكر ضرب الرقاب وهو الشهادة وذكر العبد ربه أفضل من قتل الشهيد، وثبت عنه أن الذاكر حي فخرج من ذلك أن حياة الذاكر خير من حياة الشهيد إذاء لم يكن ذاكر ربه عز وجل.

وصية: وعليك بإقامة حدود الله في نفسك وفيمن تملكه فإنك مسؤول من الله عن ذلك، فإن كنت ذا سلطان تعين عليك إقامة حدود الله فيمن ولأك الله عليه: «فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» وليس سوى إقامة حدود الله فيهم، وأقل الولايات ولايتك على نفسك وجوارحك فأقم فيها حدود الله إلى الخلافة الكبرى فإنك نائب الله على كل حال في نفسك فما فوقها، وقد ورد الحديث الثابت في الذي يقيم حدود الله والواقع فيها؛ فمثلهما رسول الله ﷺ يقوم استهموا على سفينته فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين أسفلها إذا استقوا مروا على من فوقهم فقالوا: إنا نخرق في نصيبنا لا نؤذي من فوقنا فإن تروكهم وما أرادوا هلكوا جميعاً. فإذا خطر لك يا وليي خاطر يأمرك بالخير فذلك لمة الملك ثم يأتي بعد ذلك خاطر ينهاك عن ذلك الخير أن تفعله فذلك لمة الشيطان، ولا تعرف الخير والشر إلا بتعريف الشرع، وإذا خطر لك خاطر يأمرك بفعل الشر فذلك لمة الشيطان، فإذا أعقبه خاطر ينهاك عن فعل ذلك الشر فذلك لمة الملك، وأنت السفينة إن انخرقت هلكت وهلك جميع من فيك، فعليك بعلم الشريعة فإنك لن تعلم حدود الله حتى تقوم بها أو تعرف من يقع فيها ممن قام بها إلا أن تعلم علم الشريعة فتعين عليك طلب علم الشريعة لإقامة حدود الله.

وصية: وعليك بالصدقة فإن الله قد ذكر المتصدقين والمتصدقات وهي فرض ونفل، فالفرض منها يسمى زكاة والنفل منها يسمى تطوعاً، وبالفرض منها يزول عنك اسم البخل، وبصدقة التطوع منها تنال الدرجات العلى، وتتصف بصفة الكرم والجود والإيثار والسخاء، وإياك والبخل، ثم إنه عليك في مالك حق زائد على الزكاة المفروضة وهو إذا رأيت أخاك المؤمن على حالة الهلاك بحيث إنك إذا لم تعطه من فضل مالك شيئاً هلك هو وعائلته إن كانت له عائلة، فيتعين عليك أن تواسيه إما بالهبة أو بالقرض فلا بد من العطاء وذلك العطاء صدقة، حتى أني سمعت بعض علمائنا بإشبيلية يقول في حديث: هل علي غيرها؟ يعني في الزكاة المفروضة، قال: لا إلا أن تطوع، قال لي ذلك الفقيه فيجب عليك فاستحسنت ذلك منه رحمه الله، وإنما سمي الله الإنسان متصدقاً وسمى ذلك العطاء صدقة فرضاً كان أو نفلاً، لأنه أعطى ذلك عن شدة لكونه مجبولاً على البخل فإن الله يقول فيه: ﴿وَإِذَا سَأَلَ الْمَخْتَرُ مَنْوعًا﴾ [المعارج: ٢١] فقال ﷺ في فضل الصدقة وزمانها: «أَنْ تَصَّدَّقَ وَأَنْتَ صَاحِبٌ شَهِيجٌ تَخَافُ الْفَقْرَ وَتَأْمَلُ الْحَيَاةَ وَالْغِنَى» يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩] أي الناجون لأن الإنسان إذا كان له مال ويأمل الحياة فإنه يخاف أن يفقر ويذهب ما بيده من المال بطول حياته لنوائب الزمان وأمله بطول حياته، فيؤديه ذلك إلى البخل بما عنده من المال والإمساك عن الصدقة والتوسعة على المحتاجين مما آتاه الله من الخير، فهو يكنزه ولا ينفقه ولا يؤدي زكاته حتى يكوى به جنبه وجبينه وظهره كما قال تعالى فيهم: ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَفَرْتُمْ أَنْتُمْ سَاءَ فِدْوُوا مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [التوبة: ٣٥] فلهذا العطاء عن شدة سميت صدقة، يقال: رمح صدق أي صلب، وقد ضرب رسول الله ﷺ مثلاً في البخل والمتصدق فقال ﷺ: «مَثَلُ الْبَخِيلِ

وَالْمُتَّصِدِّقُ كَمَا تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ انْبَسَطَتْ عَلَيْهِ حَتَّى تَجْرُبَ نَيْبَهُ وَتَغْفُوَ أَثْرَهُ وَجَعَلَ الْبَخِيلُ كُلَّمَا هَمَّ بِصَدَقَةٍ قَلَصَتْ وَأَخَذَتْ كُلَّ حَلْفَةٍ مَكَانَهَا» فإياك والبخل فإنه يردك ويوردك الموارد المهلكة في الدنيا والآخرة، ولا يجعلك تتكزّم وتتصدّق إلا استعمال العلم، فإنك إذا علمت أن رزقك لا يأكله ولا يقتات به ولا يحيى به غيرك، ولو اجتمع أهل السموات والأرض على أن يحولوا بينك وبين رزقك ما أطاقوا، وإذا علمت أن رزق غيرك فيما أنت مالكة لا بد أن يصل إليه حتى يتغذى به ويحيى، وأن أهل السموات والأرض لو اجتمعوا على أن يحولوا بينه وبين رزقه الذي هو في ملكك ما أطاقوا، فادفع إليه ماله إذا خطر لك خاطر الصدقة تتصف بالكرم والثناء الجميل، وأنت ما أعطيته إلا ما هو له بحق في نفس الأمر عند الله وأنت محمود، فإذا علمت هذا هان عليك إخراج ما بيدك ولحقت بأهل الكرم وكتبت في المتصدقين، إن أخرجت ذلك عن تردد ومكابدة واتبعت نفسك ورأيت بذلك أن لك فضلاً على من أوصلته تلك الراحة فإياك أن تجهل على أحد كما تحب أن لا يجهل عليك، وقد كان رسول الله ﷺ يقول في تعوذاته: «وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ» فمن حكم فيك بالعلم فقد أنصفك .

وصية: وعليك بالجهاد الأكبر وهو جهادك هواك فإنه أكبر أعدائك، وهو أقرب الأعداء إليك الذين يلونك فإنه بين جنبيك والله يقول سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَقُولُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ [التوبة: ١٢٣] ولا أكفر عندك من نفسك فإنها في كل نفس تكفر نعمة الله عليها من بعد ما جاءتها، فإنك إذا جاهدت نفسك هذا الجهاد خلص لك الجهاد الآخر في الأعداء الذي إن قتلت فيه كنت من الشهداء الأحياء الذين عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله مستبشرين بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم، وقد علمت فضل المجاهد في سبيل الله في حال جهاده حتى يرجع إلى أهله بما اكتسبه من أجر أو غنيمة إنه كالصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صلاة ولا من صيام حتى يرجع المجاهد، وقد علمت بالحديث الصحيح أن الصوم لا مثل له وقد قام الجهاد مقامه ومقام الصلاة، وثبت هذا عن رسول الله ﷺ وهذا في الجهاد الذي فرضه الله تعالى المعين ويعصي الإنسان بتركه لا بد من ذلك، ولا يزال العبد العالم الناصح نفسه المستبرئ لدينه في جهاد أبداً لأنه مجبول على خلاف ما دعاه إليه الحق، فإنه بالأصالة متبع هواه الذي هو بمنزلة الإرادة في حق الحق، فيفعل الحق ما يريد فإنه كلنا عبيده، ولا تحجير عليه، ويريد الإنسان أن يفعل ما يهوى وعليه التحجير فما هو مطلق الإرادة، فهذا هو السبب الموجب في كونه لا يزال مجاهداً أبداً، ولذلك طلب أصحاب الهمم أن يلحقوا بدرجات العارفين بالله حتى تكون إرادتهم إرادة الحق أي يريدون جميع ما يريد الحق وهو ما هم الخلق عليه فيريدونه من حيث إن الله أراد إيجاده، ويكرهون منه بكرهه الحق ما كرهه الحق ووصف نفسه بأنه لا يرضاه، فهو يريد ولا يرضاه، ويريد ويكرهه في عين إرادته إن أراد أن يكون مؤمناً وإن لم يكن كذلك، وإلا فقد انسلخ من الإيمان نعوذ بالله من ذلك فإنه غاية الحرمان، وهذا هو الحق الممقوت كما نقول في الغيبة أنها الحق المنهي عنه .

وصية: وعليك بإسباغ الوضوء على المكاره وذلك في زمان البرد، واحذر من الالتذاذ باستعمال الماء البارد في زمان الحرّ فتسبغ الوضوء لالتذاذك به في زمان الحرّ، فتتخيل أنك ممن أسبغ الوضوء عبادة وأنت ما أسبغته إلا لوجود الالتذاذ به لما أعطاه الحال والزمان من شدة الحرّ، فإذا أسبغته في شدة البرد صار لك عادة. وقال رسول الله ﷺ: «الْحَيْثُ عَادَةٌ» فاصحب تلك النية في زمان الحرّ فإن غلبتك النفس على الإسباغ بما تجده من اللذة المحسوسة في ذلك فاعلم أن الإلتذاذ هنا إنما وقع بدفع ألم الحرّ وإزالته، فانو في ذلك دفع الألم عن نفسك، ألا ترى قاتل نفسه كيف حرّم الله عليه الجنة؟ فحق النفس على صاحبها أعظم من حق الغير عليه، فكذلك يؤجر في دفع الألم عن نفسه، وأن الله يرفع بإسباغ الوضوء على المكاره درجة العبد ويمحو الله به الخطايا، قال ﷺ: «أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِمَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ» فهذا محو الخطايا فإنه تنظيف وتطهير. ثم قال: «وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ» فإنه سلوك في صعود ومشى. ثم قال تمام الحديث وهو: «وَأَنْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ» والرباط الملازمة من ربطت الشيء وبالانتظار قد أزم نفسه، فربط الصلاة بالصلاة المنتظرة بمراقبة دخول وقتها ليؤديها في وقتها، وأي لزوم أعظم من هذا؟ فإنه يوم واحد مقسم على خمس صلوات ما منها صلاة يؤديها فيفرغ منها إلا وقد أزم نفسه مراقبة دخول وقت الأخرى إلى أن يفرغ اليوم ويأتي يوم آخر فلا يزال كذلك فما ثم زمان لا يكون فيه مراقباً لوقت أداء صلاة لذلك أكده بقوله ثلاث مرات. فانظر إلى علم رسول الله ﷺ بالأمر حتى أنزل كل عمل في الدنيا منزلته في الآخرة وعين حكمه وأعطاه حقه، فذكر وضوء ومشياً وانتظاراً، وذكر محواً ورفع درجة ورباطاً ثلاث ثلاث، هذا يدل على شهوده مواضع الحكم، ومن هنا وأمثاله قال عن نفسه: «أَنَّهُ أُوتِيَ جَوَامِعَ الْكَلِمِ».

وصية: وعليك بمراعاة كل مسلم من حيث هو مسلم، وساو بينهم كما سوى الإسلام بينهم في أعيانهم، ولا تقل هذا ذو سلطان وجاه ومال وكبير وهذا صغير وفقير وحقير، ولا تحقر صغيراً ولا كبيراً في ذمته، واجعل الإسلام كله كالشخص الواحد والمسلمين كالأعضاء لذلك الشخص، وكذلك هو الأمر، فإن الإسلام ماله وجود إلا بالمسلمين، كما أن الإنسان ماله وجود إلا بأعضائه وجميع قواه الظاهرة والباطنة، وهذا الذي ذكرناه هو الذي راعاه رسول الله ﷺ فيما ثبت عنه من قوله في ذلك: «الْمُسْلِمُونَ تَكَافَأُوا دِمَائِهِمْ وَبَدَنُهُمْ وَأَدْنَاهُمْ وَهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ» وقال: «الْمُسْلِمُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ إِنْ اشْتَكَى عَيْنَهُ اشْتَكَى كُلُّهُ وَإِنْ اشْتَكَى رَأْسَهُ اشْتَكَى كُلُّهُ» ومع هذا التمثيل فأنزل كل واحد منزلته كما أنك تعامل كل عضو منك بما يليق به وما خلق له، فتغض بصرك عن أمر لا يعطيه السمع، وتفتح سمعك لشيء لا يعطيه للبصر، وتصرف يدك في أمر لا يكون لرجلك وهكذا جميع قواك، فتنزل كل عضو منك فيما خلق له كذلك، وإن اشترك المسلمون في الإسلام وساويت بينهم فاعط العالم حقه من التعظيم والإصغاء إلى ما يأتي به، واعط الجاهل حقه من تذكيرك إياه وتنبهه على طلب

العلم والسعادة، واعط الغافل حقه بأن توقظه من نوم غفلته بالتذكر لما غفل عنه مما هو عنه به غير مستعمل علمه وكذلك الطائع والمخالف، واعط السلطان حقه من السمع والطاعة فيد هو مباح لك فعله وتركه، فيجب عليك بأمره ونهيه أن تسمع له وتطيع، فيعود لأمر السلطان ونهيه ما كان مباحاً قبل ذلك واجباً أو محظوراً بالحكم المشروع من الله في قوله: ﴿وَأُولَى الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] واعط الصغير حقه من الرفق به والرحمة له والشفقة عليه، واعط الكبير حقه من الشرف والتوقير فإن من السنة رحمة الصغير وتوقير الكبير ومعرفة شرفه، ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ شَرَفَ كَبِيرِنَا» وفي حديث: «وَيُوقَرُ كَبِيرِنَا» وعليك برحمة الخلق أجمع ومرعاتهم كانوا ما كانوا فإنهم عبيد الله وإن عصوا. وخلق الله وإن فضل بعضهم بعضاً فإنك إذا فعلت ذلك أو جرت فإنه ﷺ قد ذكر أنه في كل ذي كبد رطبة أجر ألا ترى إلى الحديث الوارد في البغي أن بغياً من بغايا بني إسرائيل وهي الزانية مرت على كلب قد خرج لسانه من العطش وهو على رأس بئر فلما نظرت إلى حاله نزعته خفها وملأته بالماء من البئر وسقت الكلب فشكر الله فعلها فغفر لها بكلب. وأخبرني الحسن الوجيه المدرس بملطية الفارسي عن والي بخارى وكان ظالماً مسرفاً على نفسه فرأى كلباً أجرب في يوم شديد البرد وهو ينتفض من البرد فأمر بعض شاكريته فاحتمل الكلب إلى بيته وجعله في موضع حار وأطعمه وسقاه ودفي الكلب فرأى في النوم أو سمع هاتفاً الشك مني يقول له: يا فلان كنت كلباً فوهبناك لكلب فما بقي إلا أيام يسيرة ومات فكان له مشهد عظيم لشفقته على كلب وأين المسلم من الكلب؟ فافعل الخير ولا تبال فيمن تفعله تكن أنت أهلاً له، ولتأت كل صفة محمودة من حيث ما هي من مكارم الأخلاق تتحلى بها وكن محلاً لها لشرفها عند الله وثناء الحق عليها، فاطلب الفضائل لأعيانها، واجتنب الرذائل العرفية لأعيانها، واجعل الناس تبعاً لا تقف مع ذمهم ولا حمدهم إلا أنك تقدم الأولى فالأولى إن أردت أن تكون مع الحكماء المتأدبين بأداب الله التي شرعها للمؤمنين على السنة الرسل عليهم السلام.

واعلم أن المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً وما في العالم إلا مؤمن لأن ما في العالم إلا من هو ساجد لله إلا بعض الثقيلين من الجن والإنس، فإن في الإنسان الواحد منهم كثيراً ممن يسبح الله ويسجد لله وفيه من لا يسجد لله وهو الذي حق عليه العذاب، انظر في قوله: ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا﴾ [النساء: ١٣٦] فسمّاهم مؤمنين وأمرهم بالإيمان، فالأول عموم الإيمان فإن الله قال في حق قوم: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَطْلِ﴾ [العنكبوت: ٥٢] والثاني خصوص الإيمان وهو المأمور به، والأول إقرار منهم من غير أن يقترب به تكليف بل ذلك عن علم، وأيسره في بني آدم حين أشهدهم علي أنفسهم كما قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي ءَادَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢] فخاطبهم بالمؤمنين حين أياه بهم، ثم أمرهم بالإيمان في هذه الحالة الأخرى وما تعرض للتوحيد المطلق رحمة بهم فإنه القائل: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِإِلَهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦] الشرك

الخفيّ وقد ذكرناه فلذلك قال لهم: ﴿ءَامَنُوا بِاللَّهِ﴾ [النساء: ١٣٦] ولم يقل بتوحيد الله، فمن آمن بوجود الله فقد آمن، ومن آمن بتوحيده فما أشرك، فالإيمان إثبات والتوحيد نفي شريك، ومن أسماء الله المؤمن وهو يشدّ من المؤمن المخلوق، قال ﷺ: «يَرْحَمُ اللَّهُ أَخِي لَوْ طَأَّ لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ» وهو الاسم المؤمن، فالمؤمن يشدّ من المؤمن فافهم.

وصية: كن عمري الفعل فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: من خدعنا في الله انخدعنا له، فاحذر يا أخي إذا رأيت أحداً يخدعك في الله وأنت تعلم بخداعه إياك فمن كرم الأخلاق أن تنخدع له ولا توجد أنك عرفت بخداعه وتباله له حتى يغلب على ظنه أنه قد أثر فيك بخداعه ولا يدري أنك تعلم بذلك، لأنك إذا أقمت في هذه الصفة فقد وفيت الأمر حقه، فإنك ما عاملت إلا الصفة التي ظهر لك بها، والإنسان إنما يعامل الناس لصفاتهم لا لأعيانهم، ألا تراه لو كان صادقاً غير مخادع لوجب عليك أن تعامله بما ظهر لك منه وهو ما يسعد إلا بصدقه كما أنه يشقى بخداعه ونفاقه فإن المخادع منافق، فلا تفضحه في خداعه وتجاهل له وانصنع له باللون الذي أراده منك أن تنصّب له به، وادع له وارحمه عسى الله أن ينفعه بك ويوجب فيه صالح دعائك، فإنك إذا فعلت هذا كنت مؤمناً حقاً فإن المؤمن غر كريم لأن خلق الإيمان يعطي المعاملة بالظاهر، والمنافق خب لئيم أي لئيم على نفسه حيث لم يسلك بها طريق نجاتها وسعادتها، كن رداء وقميصاً لأخيك المؤمن وحطه من ورائه واحفظه في نفسه وعرضه وأهله وولده فإنك أخوه بنص الكتاب العزيز، واجعله مرآة ترى فيها نفسك، فكما تزيل عنك كل أذى تكشفه لك المرأة في وجهك كذلك فلتزل عن أخيك المؤمن كل أذى يتأذى به في نفسه فإن نفس الشيء وجهه وحقيقته.

وصية: واحفظ حق الجار والجوار وقدم الأقرب داراً إليك فالأقرب وتفقد جيرانك ممّا أنعم الله به عليك فإنك مسؤول عنهم وادفع عنهم ما يتضررون به كان الجيران ما كانوا، وما سميت جاراً له وجاراً لك إلا لميلك إليه بالإحسان وميله إليك ودفع الضرر مشتق من جار إذا مال فإن الجور الميل، فمن جعله من الجور الذي هو الميل إلى الباطل والظلم في العرف فهو كمن يسمّى اللديغ سليماً في النقيض، وفي هذا فغلبت حق الجوار كان الجار ما كان كأنه يقول، وإن كان الجار من أهل الجور أي الميل إلى الباطل بشرك أو كفر فلا يمنعك ذلك منه عن مراعاة حقه فكيف بالمؤمن؟ فحق الجار إنما هو على الجار، وأعجب ما رويته في ذلك عن بعض شيوخنا فذكر من مناقب بعض الأعراب أن جرّاداً نزل بفناء بيته فخرجت الأعراب إليه بالعدد ليقتلوه ويأكلوه فقال لهم صاحب البيت: ما تبتغون؟ فقالوا له: نبتغي قتل جارك يريدون الجرّاد فقال لهم: بعد أن سميتوه جاري فوالله لا أترك لكم سبيلاً إليه وجرد سيفه يذب عنه مراعاة لحق الجوار. فهذا كما سئل مالك بن أنس عن أكل خنزير البحر فقال: هو حرام فقيل له: إنه سمك من حيوان البحر الذي أحلّ الله أكله لنا فقال لهم مالك: أنتم سميتوه خنزيراً ما قلتم ما تقول في سمك البحر فاهجر ما نهاك الله عنه وقد نهاك عن أذى الجار فاهجر أذاه ﴿أَدْفَعْ يَأْتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا

يُلْقِنَهَا ﴿٣٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿﴾ [فصلت: ٣٤-٣٥] وفيما روينا من الأخبار في سبب نزول هذه الآية أن أعرابياً جاء إلى رسول الله ﷺ من المشركين من فصحاء العرب وقد سمع أن الله قد أنزل عليه قرآناً عجز عن معارضته فصحاء العرب فقال له: يا رسول الله هل فيما أنزل عليك ربك مثل ما قلته؟ فقال له رسول الله ﷺ: «وما قلت؟» فقال الأعرابي: قلت: [الطويل]

وَحَيِّ ذَوِي الْأَضْغَانِ تَسْبِي عُقُولَهُمْ
وَأَنْ جَهَرُوا بِالْقَوْلِ فَاغْفُ تَكْرُمًا
فَإِنَّ الَّذِي يُؤْذِيكَ مِنْهُ اسْتِمَاعُهُ
وَإِنَّ الَّذِي قُرْبَى الْقُرْبَى فَقَدْ تَرَفَعِ النَّفْلُ
وَإِنْ سَتَرُوا عَنْكَ الْمَلَامَةَ لَمْ تُبَلِّ
وَإِنَّ الَّذِي قَد قِيلَ خَلْفَكَ لَمْ يَقُلْ

فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿﴾ [فصلت: ٣٥-٣٤] فقال الأعرابي: هذا والله هو السحر الحلال، والله ما تخيلت ولا كان في علمي أنه يزداد أو يؤتى بأحسن مما قلته، أشهد أنك رسول الله، والله ما خرج هذا إلا من ذي آل، فمثل هؤلاء عرفوا إعجاز القرآن، أترى يا وليي يكون هذا الأعرابي فيما وصف به نفسه بأكرم من الله في هذا الخلق في تحمّل الأذى وإظهار البشر والمخالفات عن العقوبة والعفو مع القدرة وتهوين ما يقبح على النفس والتغافل عمّن أراد التستر عنك بما يشينه لو ظهر به، بل والله أكرم منه وأكثر تجاوزاً وعفواً وحلماً وأصدق قبلاً، فإن هذا القول من العربي وإن كان حسناً فما يدري عند وقوع الفعل ما يكون منه والحق صادق القول بالدليل العقلي، فما يأمر بمكرمة إلا وهي صفته التي يعامل بها عباده، ولا ينهى عن صفة مذمومة لئيمة إلا وهو أنزه عنها، لا إله إلا هو العزيز الحكيم الغفور الرحيم، انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، فنصرة الظالم من حيث ما هو مظلوم، فإن الشيطان ظلمه بما وسوس إليه به في صدره من ظلم غيره فتنصره بأن تعينه على دفع ما ألقى الشيطان عنده من تزيينه ظلم الغير حتى سمّي بظالم، فما نصرته إلا لكونه مظلوماً لمن وسوس في صدره وحال بينه وبين الهدى الذي هو له ملك فابتاعه منه الشيطان بالضلالة فاشترى الضلالة بالهدى فسّمّي ظالماً، فإذا أمنت له أنت بنصحك وأفتيته أن هذا البيع مفسوخ لا يجوز شرعاً فلا ينعقد وإن صفقته خاسرة وتجارته بائرة فقد نصرته مع كونه ظالماً فرجع عن ظلمه وتاب وذلك هو فسوخ البيع، يقول الله في مثل هؤلاء: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتْ بِمِحْرَتِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ ﴿البقرة: ١٦﴾ فإياك أن تحذل من استنصر بك وقد قال مع غناه عنك: ﴿إِنْ نَصْرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧] فطلب منكم أن تنصروه وما هو إلا هذا، ولا تظلمه فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، ومن كان سعيه في ظلمة لا يدري متى يقع في مهواه أو ما يؤذيه في طريقه من هوام يكون في أذاه هلاكه، وأوصيتك لا تحقر أحداً من خلق الله فإن الله ما احتقره حين خلقه: [البسيط]

لَا تُحْقِرَنَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ لَهُمْ
قَدْرًا وَلَوْ جُمِعَتْ لَكَ الْمَقَامَاتُ
فلا يكون الله يظهر العناية بإيجاد من أوجده من عدم وتحقره أنت فإن في ذلك تسفيه

من أوجده واحتقاره نعوذ بالله أن نكون من الجاهلين، فإن هذا من أكبر الكبائر، فالكل نعم الله يتغذى بها عباد الله كانوا ما كانوا، قال ﷺ: «لا تحقرن إحدائكن ما تهديه ليجارتها ولو فزسن شاة فإن الاحتقار جهل مخض» ولا تكن لعاناً ولا سباباً ولا سخاباً فإن لعن المؤمن مثل قتله سواء، لقي عيسى عليه السلام خنزيراً فقال له: انج بسلام، فقيل له في ذلك فقال عليه السلام: «ما أريد أن أعود لساني إلا قول الخير»، كن حديثاً حسناً، وفي ذلك قلت: [الرمل]

إنما الناس حديث كلهم	فلتكن خير حديث يسمع
وإذا شأكتك منهم شوكة	فلتكن أقوى مجن يدفع
وإذا ما كنت فيهم هكذا	أنت والله إمام ينفع
إنما الشمعة تؤذي نفسها	وهي للناظر نور يسطع
إنما اللوم الذي تعرفه	نعمة في يد شخص يمنع

وصية: إياك والخيلاء، وارفع ثوبك فوق كعبك أو إلى نصف ساقك، روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أزره المؤمن إلى نصف ساقه» أو كما قال. ولعلي بن أبي طالب في ذلك: [المجتث]

تقصيرك الثوب حقا أنقى وأبقى وأثقى
فأما قوله أنقى فلارتفاعه عن القاذورات التي تكون في الطرق والنجاسات. وأما قوله أبقى فإن الثوب إذا طال حك في الأرض بالمشي فيسارع إليه التقطيع فيقل عمر الثوب فإنه يخلق بالعجلة إذا طال بما يصيب الأرض منه. وأما قوله أثقى فإنه مشروع أعني تقصير الثوب إلى نصف الساق، والمتقي من جعل الشرع له وقاية وجنة يتقي به ما يؤذيه من شياطين الإنس والجن وأن الله لا ينظر لمن يجر ثوبه خيلاء، وإياك أن تسأل الناس تكثراً وعندك ما يغنيك في حال سؤلك، فإن المسألة خدوش أو خموش في وجهك يوم القيامة، فإذا اضطرت ولم تقدر على شغل فسل قوتك ولا تتعدها إذا لم يرزقك الله يقيناً وثقة به وكفارة ذلك السؤال عدم تكثرك واقتصارك في المسألة على بلغة وقتك فإن مسألة المؤمن حرق النار، ومعنى ذلك أن المؤمن يجد عند سؤاله مخلوقاً مثله في دفع ضرورته مثل حرق النار في قلبه من الحياء في ذلك حيث لم ينزل مسألته ودفع ضرورته بربه الذي بيده ملكوت كل شيء، وهو الذي يسخر له هذا المسؤول منه حتى يعطيه، ومن وجد ذلك تعزراً وتكبراً حيث التجأ إلى مخلوق مثله فذلك من شرف همته من حيث لا يشعر، وشرف الهمة أحسن من ذناء الهمة فإن العبد يتعزز على عبد مثله، كما أن فخره وشرفه في فقره إلى سيده وسؤاله في دفع ضروراته وملماته وقضاء مهماته.

وصية: إذا رأيت أنصارياً أو أنصارية وإن كان عدواً لك فلتحبه الحب الشديد، واحذر أن تبغضه فتخرج من الإيمان، فإن النبي ﷺ لقي امرأة من الأنصار في طريقه فقال لها: «إنكم لمن أحب خلق الله إلي» وثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار». واعلم أن كل من نصر دين الله في أي زمان كان فهو من الأنصار وهو

داخل في حكم هذا الحديث . واعلم أن الأنصار لدين الله رجلا ن : الواحد نصر دين الله ابتداء من نفسه من غير أن يعرف وجوب ذلك عليه ، ورجل عرف نصرته الدين عليه بقوله : ﴿يَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾ [الصف : ١٤] فأمرهم بنصرة الله فأدى واجباً في نصرته فله أجر النصره وأجر أداء الواجب بما نواه من امثال أمر الله في ذلك وتعين عليه . ولو كفاه غيره مؤنة ذلك فلا يتأخر عن أمر الله ، ونصرة الله قد تكون بما يعطي من العلم المظهر للحق الدافع للباطل فهو جهاد معنوي محسوس فكونه معنوياً لأن الباطن يقبله فإن العلم متعلقه النفس ، وأما كونه محسوساً فما يتعلق بذلك من العبارة عنه باللسان أو الكتابة فيحصل للسامع أو الناظر بطريق السمع من المتكلم أو بطريق النظر من الكتابة ، وجهاد العدو نصرته محسوسة ما هي معنوية فإنه ما نال العدو من المقاتل له شيئاً في الباطن برده عن اعتقاده كما ناله من العالم إذا علمه وأصغى إليه ووفقه الله للقبول وفتح عين فهمه لما يورده عليه العالم في تعليمه وهي أعظم نصرته وهو أعظم أنصاري لله ، يقول النبي ﷺ : «لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ» وقد طلعت الشمس على كل عالم عامل بخير فأنت خير منه إذا نصرت بتعليم العلم دين الله في نفس هذا المخاطب . وعليك بصدق الحديث وأداء الأمانة وصدق الوعد فاجتنب الكذب والخيانة وخلف الوعد ، وإذا خاصمت أحداً فلا تفجر عليه فإن علامة المنافق وآيته إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان وإذا خاصم فجر ، وأعظم الخيانة أن تحدث أخاك بحديث يرى أنك صادق فيه وأنت على غير ذلك ، وإن الإنسان إذا كذب الكذبة تباعد منه الملك ثلاثين ميلاً من نتن ما جاء به ، وكذلك الشيطان إذا أمر ابن آدم بالمعصية فعصى تبرأ منه الشيطان خوفاً من الله تعالى ، فاعمل على ذوق هذه الروائح المعنوية واستنشاقها ، فإن له حجباً على أنفك تمنعك من إدراك أنتن ذلك ، فلا يكن الشيطان مع كفره أدرك للأمر وأخوف من الله منك ، واعتبر في تبريه من ذلك فإنها خميرة من الله في قلبه إلى زمان ما يظهر حكمها فيه مع كونه مجبولاً على الإغواء كما هو مجبول على التبري والخوف من الله ، أخبر الله عنه أنه يقول للإنسان اكفر فإذا كفر يقول الشيطان : ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحشر : ١٦] فما أخذ الشيطان قط يعلمه لشرف علمه وإنما يؤخذ لصدق الحق فيما قاله فيما شرعه فيمن سنّ سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها ، فالشيطان يوم القيامة يحمل أثقال غيره فإنه في كل إغواء يتوب عقيبته ثم يشرع في إغواء آخر فيؤخذ بعمل غيره لأنه من وسوسته ، والإنسان الذي لا يتوب إذا سنّ سنة سيئة يحمل ثقلها وأثقال من عمل بها فيكون الشيطان أسعد حالاً منه بكثير ، وإياك أن تخلف وعدك ولتخلف إعادك ولكن سم إخلاف إعادك تجاوزاً حتى لا تتسمى بأنك مخلف ما أوعدت به من الشر وهذه شبهة المعتزلة وغاب عنها قوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾ [إبراهيم : ٤] وما تواطؤوا عليه أعني الأعراب إذا أوعدت أو وعدت بالشرّ التجاوز عنه وجعلت ذلك من مكارم الأخلاق فعاملهم الحق بما تواطؤوا عليه ، فزلت هنا المعتزلة زلة عظيمة أوقعها في ذلك استحالة الكذب على الله تعالى في خبره ، وما علمت أن مثل هذا لا يسمّى كذباً في

العرف الذي نزل به الشرع فحجبههم دليل عقلي عن علم وضع حكمي، وهذا من قصور بعض العقول ووقوفها في كل موطن مع أدلتها ولا ينبغي لها ذلك، ولتنظر إلى المقاصد الشرعية في الخطاب ومن خاطب وبأي لسان خاطب وبأي عرف أوقع المعاملة في تلك الأمة المخصوصة، يقول بعض الأعراب في كرم خلقه: [الطويل]

وَإِنِّي إِذَا أَوْعَدْتُهُ أَوْ وَعَدْتُهُ لِمُخْلِيفِ إِيْعَادِي وَمُنْجِزِ مَوْعِدِي

لكن لا ينبغي أن يقال مخلف بل ينبغي أن يقال إنه عفو متجاوز عن عبده.

وصية: وعليك بالبذاذة فإنها من الإيمان وهي عدم الترفه في الدنيا وقد ورد قوله: «أخشوشنوا» وهي من صفات الحاج وصفة أهل يوم القيامة فإنهم شعث غبر حفاة فإن ذلك كله أنفى للكبر وأبعد من العجب والزهو والخيلاء والصلف وهي أمور ذمها الشرع وكرهاها وهي مذمومة في العرف عند الناس وعند الله، ولذلك جعل النبي ﷺ البذاذة من الإيمان وألحقها بشعبه، فإن النبي ﷺ يقول: «الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق» ولا شك أن الزهو والعجب والكبر أدى في طريق سعادة المؤمن، ولا يماط هذا الأذى إلا بالبذاذة فلماذا جعلها رسول الله ﷺ من الإيمان.

وصية: وعليك بالحياء فإن الله حيي والحياء من الإيمان، والحياء خير كله، وإن الله يستحي من ذي الشبهة يوم القيامة، فإن العبد إذا اتصف بالحياء من الله ترك كل ما لا يرضي الله وما يشينه عند الله تعالى وعند رسول الله ﷺ، والحياء معناه الترك قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي﴾ يقول إن الله لا يترك ﴿أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَّا قَوْحَهَا﴾ في الصغر لقول من ضل بهذا المثل من المشركين الذين تكلموا فيه فإن الله قال: ﴿يُضِلُّ بِهِ﴾ أي بهذا المثل ﴿كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفٰسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦] فإنهم حاروا فيه والضلالة الحيرة، ورأوا عزة الله وجلاله وكبرياءه وحقارة البعوضة في المخلوقات، فاستعظموا جلال الله أن ينزل في ضرب المثل لعباده هذا النزول وذلك لجهلهم بالأمر، فإنه لا فرق بين أعظم المخلوقات وهو العرش المحيط وبين الذرة في الخلق والبعوضة وإخراجها من العدم إلى الوجود، فما هي حقيرة إلا من صغر جسمها إذا أضفته إلى ذي الجسم الكبير، بل الحكمة في البعوضة أتم والقدرة أنفذ، فإن البعوضة على صغرها خلقها الله على صورة الفيل على عظمه، فخلق البعوضة أعظم في الدلالة على قدرة خالقها من الفيل لأهل النظر والاعتبار، ولهذا لم يصف نفسه بالحياء في ذلك لما فيها من الدلالة على تعظيم الحق. ثم إن مواطن الحياء التي في الإنسان كثيرة، فإن الحياء صفة يسري نفعها ممن قامت به في أكثر الأشياء ولهذا قال: الحياء خير كله والحياء لا يأتي إلا بخير وهو أن لا يفعل الإنسان ما يخجل فيه إذا عرف منه بأنه فعله، وقد علم المؤمن أن الله يعلم ويرى كلما يتحرك فيه العبد فيلزمه الحياء منه لعلمه بذلك، ولإيمانه أنه لا بد أن يقرره يوم القيامة على ما عمله فيخجل فيؤذيه ذلك إلى ترك العمل فيه وذلك هو الحياء، فمن هنا لا يأتي إلا بخير والله أحق أن يستحي منه.

وصية: وعليك بالنصيحة على الإطلاق فإنها الدين، خرج مسلم في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الدَّيْنُ النَّصِيحَةُ»، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ» واعلم أن الناصح الخيط والمنصحة الإبرة والناصح الخائض والخائض هو الذي يؤلف أجزاء الثوب حتى يصير قميصاً أو ما كان ينتفع به بتأليفه إياه وما ألفه إلا بنصحه، والناصح في دين الله هو الذي يؤلف بين عباد الله وبين ما فيه سعادتهم عند الله، ويؤلف بين الله وبين خلقه وهو قوله: النصيحة لله، وفيه تنبيه في الشفاعة عند الله إذا رأى العبد الناصح أن الله يريد مؤاخضة العبد على جريمته فيقول لله: يا رب إنك نذبت إلى العفو عبادك وجعلت ذلك من مكارم الأخلاق وهو أولى من جزاء المسيء بما يسؤه، وذكرت للعبد أن أجر العافين عن الناس فيما أسأؤوا إليهم فيه مما توجهت عليهم به الحقوق على الله، فأنت أحق بهذه الصفة لما أنت عليه من الجود والكرم والامتنان ولا مكروه لك، فأنت أهل العفو والتكرم بالتجاوز عن هذا العبد المسيء المتعدي حدودك عن إساءته وإسبال ذيل الكرم عليه واتصاف الحق بالجود، والعفو عن الجاني أعظم من المؤاخضة على الإساءة، فإن المؤاخضة والعقوبة جزاء وما في الجزاء على الشرّ فضل إلا إذا كان في الدنيا لما في إقامة الحدود من دفع المضرة العامة، وما في ذلك من المصالح التي تعود على الناس مثل قوله عز وجل: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩] وأما في الآخرة فما ثم ما يندفع بجزاء المسيء ما يندفع به في الدنيا فكان العبد إذا قال هذا يوم القيامة أو حيث قاله الله بطريق الشفاعة كأنه ناصح للمقام الإلهي في أن يثني عليه إذا عفا عن المسيء بالكرم والطول والفضل فإن في ذلك عين الامتنان، فهذا معنى قوله: «الدَّيْنُ النَّصِيحَةُ لِلَّهِ» أي في حق الله فإنه يسعى في أن يثني على الله إذا عفا بما يكون ثناء حسناً، ولا سيما وقد ورد في الحديث الثابت: «إِنَّهُ لَا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيَّ لِلَّهِ مِنْ أَنْ يُمَدَّحَ» فكما أنه مدح في الدنيا بما نصب من الحدود التي درأ بها المضار عن عباده إذا أقامها أئمة المسلمين على المذنبين كذلك يمدح بالعفو والتجاوز في الدار الآخرة لأنه هنالك ما تمشي هذه المصلحة التي نصبت من أجلها إقامة الحدود التي لا يتمكن الشفاعة فيها كحد السارق والزاني وحقوق الله على الإطلاق، وأما ما هو حق للعبد فإن الله قد نذب فيه إلى العفو والتجاوز، فالعفو من وليّ الدم أو قبول الدية، فإن المظلوم هو المقتول وقد مات فالطالب قد تقدم كالشاكلي الذي يمشي إلى السلطان رافعاً على من ظلمه، فجعل الدية كالإحسان لوليّ الدم لعل ذلك الشاكلي إذا بلغه إحسانه لذوي رحمه يسكت عنه ولا يطالبه عند الله الحكم العدل بشيء من دمه.

وأما النصيحة لرسول الله ﷺ ففي زمانه إذا رأى منه الصاحب أمراً قد قرّر خلافه والإنسان صاحب غفلات فينبه الصاحب رسول الله ﷺ على ذلك حتى يواصل فعله بالقصد فيكون حكماً مشروعاً أو فعله عن نسيان فيرجع عنه، فهذا من النصح لرسول الله ﷺ مثل سهوه في الصلاة فالواجب عليه في الرباعية أن يصلّيها أربعاً فسلم من اثنتين فقليل له في ذلك فهذه نصيحة لرسول الله ﷺ فرجع وأتم صلاته وسجد سجدة السهو، وكان ما قد روي في

ذلك وأمثال هذا، ولهذا أمر الله عز وجل نبيه ﷺ بمشاورة أصحابه فيما لم يوح إليه فيه، فإذا شاورهم تعين عليهم أن ينصحوه فيما شاورهم فيه على قدر علمهم، وما يقتضيه نظرهم في ذلك أنه مصلحة، كنزوله يوم بدر على غير ماء فنصحوه وأمره أن يكون الماء في حيزه ﷺ ففعل، ونصح عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قتل أسارى بدر حين أشار بذلك. وأما بعد رسول الله ﷺ فلم تبق له نصيحة، ولكن إذا كانت هذه اللام لام الأجلية بقيت النصيحة، فهذا قد بينا ما في نصيحة رسول الله ﷺ أن المشير الناصح قد جمع بين رسول الله ﷺ وبين الرأي الذي فيه المصلحة، كما يجمع الناصح الذي هو الخائض بالخياطة بين قطعة الكتم والبدن في الثوب.

وأما النصيحة لأئمة المسلمين وهم ولاة الأمور منا القائمون بمصالح عباد الله الدينية والحكام وأهل الفتاوى في الدين من العلماء يدخلون في أئمة المسلمين أيضاً، فإن كان الحاكم عالماً كان وإن لم يكن من العلماء بتلك المسألة سأل من يعلم عن الحكم فيها فيتعين على المفتي أن ينصح ويفتيه بما يراه أنه حق عنده ويذكر له دليله على ما أفتاه به فيخلصه عند الله، فهذه هي النصيحة لأئمة المسلمين. ولما لم تفرض العصمة لأئمة المسلمين وعلم أنهم قد يخطؤون ويتبعون أهوائهم تعين على أهل الدين من العلماء بالدين أن ينصحوا أئمة المسلمين ويردوهم عن اتباع أهوائهم في الناس فيؤلفون بين ما هو الدين عليه وبينهم، فمثل هذا هو النصح لأئمة المسلمين فيعود على الناس نفع ذلك.

وأما النصيحة لعامتهم فمعلومة وهي أن يشير عليهم بما لهم فيه المصلحة التي لا تضرهم في دينهم ولا دنياهم، فإن كان ولا بد من ضرر يقوم من ذلك إما في الدين أو في الدنيا فيرجحوا في النصيحة ضرر الدنيا على ضرر الدين فيشرون عليهم بما يسلم لهم فيه دينهم فإن الله يقول: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨] وقال: دين الله يسر. وقال: ﴿فَأَنْقُزُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] وإن أضر دنياهم ومهما قدروا على دفع الضرر في الدين والدنيا معاً بوجه من الوجوه وعرفوه تعين عليهم في الدين أن ينصحوه في ذلك وبينوه، والمستفتي بالخيار في ذلك بحسب ما يوفقه الله إليه، والذي أقول به أن النصيحة تعم إذ هي عين الدين وهي صفة الناصح فتسري منفعتها في جميع العالم كله من الناصح الذي يستبرئ لدينه ويطلب معالي الأمور فيرى حيواناً قد أضر به العطش وقد حاد ذلك الحيوان عن طريق الماء فيتعين عليه أن يرده إلى طريق الماء ويسقيه إن قدر على ذلك فهذا من النصيحة الدينية، وكذلك لو رأى من ليس على ملة الإسلام يفعل فعلاً من سفاسف الأخلاق تعين على الناصح أن يرده عن ذلك مهما قدر إلى مكارم الأخلاق، وإن لم يقدر عليه تعين عليه أن يبين له عيب ذلك فربما انتفع بتلك النصيحة ذلك الشخص بما له في ذلك من الثناء الحسن، وينتفع بتلك النصيحة من اندفع عنه ضرر هذا الذي أراد أن يضره، وإن لم يكن مسلماً ذلك المدفوع عنه فيتعين على صاحب الدين نصح عباد الله مطلقاً، ولهذا يتعين على السلطان أن يدعو عدوه الكافر إلى الإسلام قبل قتاله، فإن أجاب وإلا دعاه إلى الجزية إن كان من أهل كتاب، فإن

أجاب إلى الصلح بما شرط عليه قبل منه يقول الله: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١] فيبقى على المسلمين إن كانت المنفعة للمسلمين في ذلك فإن أبوا إلا القتال قاتلهم وأمر المسلمين بقتالهم، على أن تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، إلا أنه من التزم النصح قل أولياؤه فإن الغالب على الناس اتباع الأهواء ولذلك يقول رسول الله ﷺ: «مَا تَرَكَ الْحَقُّ لِعُمَرَ مِنْ صَدِيقٍ» وكذلك قال أويس القرني: قولك الحق لم يترك لك صديقاً. ولنا في ذلك: [الكامل]

لَمَّا لَزِمْتُ النَّصْحَ وَالتَّخْقِيقَ لَمْ يَشْرُكَا لِي فِي الْوُجُودِ صَدِيقًا
ويحتاج الناصح إلى علم كثير من علم الشريعة لأنه العلم العام الذي يعم جميع أحوال الناس وعلم زمانه ومكانه، وما ثم إلا الحال والزمان والمكان، وبقي للناصح علم الترجيح إذا تقابلت هذه الأمور فيكون ما يصلح الزمان يفسد الحال أو المكان، وكذلك كل واحد منها فينظر في الترجيح فيفعل بحسب ما يترجح عنده وذلك على قدر إيمانه، مثال ذلك: أن يعلم أن الزمان قد أعطى بحاله في أمرين هما صالحان في حق شخص وضاق الزمان عن فعلهما معاً فيعدل إلى أولهما فيشير به على المستشير، وكذلك إذا عرف من حال شخص المخالفة واللجاج وأنه إذا دلّه على أمر فيه مصلحته يفعل بخلافه، فمن النصيحة أنه لا ينصحه بل يشير عليه بخلاف ذلك إذا علم أن الأمر محصور بين أن يفعل ذلك أو هذا الذي فيه المصلحة وشأنه المخالفة واللجاج فيشير عليه بما لا ينبغي فيخالفه فيفعل ما ينبغي والأولى عندي تركه، ولقد جرى لي مع أشخاص أظهرنا لهم أن في فعلهم ذلك الخير الذي نريده منهم نكائتنا وهم يريدون نكائتنا فأشرنا عليهم أن لا يفعلوا ذلك ولهم في فعله الخير العظيم لهم فلم يفعلوا وفعلوا ما نهيتهم عنه أن يفعلوه، فهذه نصيحة خفية لا يشعر بها كل أحد، وهذا يسمى علم السياسة فإنه يسوس بذلك النفوس الجموحة الشاردة عن طريق مصلحتها فلذلك قلنا: إن الناصح في دين الله يحتاج إلى علم كثير وعقل وفكر صحيح وروية حسنة واعتدال مزاج وتؤدة، وإن لم تكن فيه هذه الخصال كان الخطأ أسرع إليه من الإصابة، وما في مكارم الأخلاق أدق ولا أخفى ولا أعظم من النصيحة، ولنا فيه جزء سميناه كتاب النصائح ذكرنا فيه ما لا يعول عليه وما يعول عليه ولكن أكثره فيما لا يعول عليه ممّا يعول الناس عليه ولكن لا يعلمون.

وصية: وعليك بمراعاة حالك في الزمان بين الصلاتين: وأنت لا تخلو أبداً أن تكون بين صلاتين فإن الأمر دور والزمان الذي بين الظهر والعصر زمان بين صلاتين، وكذلك بين العصر والمغرب وبين المغرب والعشاء وبين العشاء والصبح وبين الصبح والظهر، ودار الدور وجاء الكور، وإذا خرج وقت صلاة دخل وقت صلاة لأخرى إلا صلاة الصبح فإنه لا يدخل وقت صلاة الظهر بخروج وقت صلاة الصبح بلا خلاف وكذلك العتمة والصبح بخلاف، إلا أنه لا يدخل وقت الظهر إلا بعد خروج وقت الصبح لا بدّ من ذلك، فلا يدخل وقت صلاة حتى يخرج وقت التي قبلها، فالداخلة أبداً على أثر الخارجة، وقد يكون بعد طلوع الشمس

وقت أداء الصبح بوجه إلى أن تزول الشمس فيدخل وقت الظهر وذلك أن الإنسان قد يصلي الركعة الأولى من الصبح مثلاً قبل طلوع الشمس ويقول الشارع فيه إنه أدرك الصبح فتطلع الشمس عليه وقد شرع في الركعة الثانية من الصبح فلو أطالها إلى حد الزوال لجاز وذلك وقتها وهو مؤد لها، فما خرج وقت صلاة الصبح في حق هذا حتى دخل وقت الظهر، وهكذا في جميع الصلوات، فإن أوقات هذه الصلوات فيها خلاف بين العلماء، فلهذا ذكرناها تنبيهاً على أن فيها خلافاً، فيجوز على هذا أن تكون صلاة على أثر صلاة ولا لغو بينهما، فقد جعل أن بين الصلاتين زماناً لا صلاة فيه، ذلك الزمان هو زمان اللغو أو تركه، وإنما قلنا زمان اللغو أو تركه للحديث الثابت: «صَلَاةٌ عَلَىٰ أَثَرِ صَلَاةٍ لَا لَغْوٌ بَيْنَهُمَا كِتَابٌ فِي عِلِّيِّينَ» ويدخل في هذا الحديث صلاة النافلة بعد النافلة والنافلة بعد الفريضة والفريضة بعد النافلة والفريضة بعد الفريضة، واللغو من الكلام هو الساقط لا دخول له في الميزان وهو المباح، فيقول رسول الله ﷺ في الرجل يصلي الصلاة ثم يتبعها بصلاة أخرى ولم يفعل بين هاتين الصلاتين في الزمان الذي لا يكون فيه مصلياً فعلاً مباحاً من قول وعمل، بل كان مشتغلاً بما يدخل الميزان من أمر مندوب إليه من ذكر أو غير ذكر ثم يصلي الصلاة الأخرى فإن ذلك كتاب في عليين لأنه لم يفعل بين الصلاتين لغواً أصلاً وهذا عزيز الوقوع، فإن أحمد أحوال الناس اليوم من يتصرف في المباح فلا عليه ولا له، والغالب من أحوال الناس التصرف في المكروه أو المحظور، فلهذا أوصيتك بمراعاة الزمان الذي بين الصلاتين وما رأيت أحداً نبه عليه إلا إن كان، وما وصل إلينا إلا رسول الله ﷺ ومنه أخذنا ذلك.

وصية: وعليك بالصلاة المكتوبة حيث ينادى بها مع الجماعة، فإن المساجد ما اتخذت إلا لإقامة الصلاة المكتوبة فيها وما ينادى إلا إلى الإتيان إليها فإن ذلك سنة رسول الله ﷺ، والمراد بذلك الاجتماع على إقامة الدين وأن لا تفرق فيه، ولهذا اختلف الناس في صلاة الفذ المكتوبة إذا قدر على الجماعة هل تجزيه أم لا؟ ومن ترك سنة رسول الله ﷺ ضلّ بلا شك لأنه ﷺ ما سنّ إلا ما هو المهداة ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣٢] فحافظ على المكتوبة والأرض كلها مسجد، فحيث ما قامت الجماعة من الأرض فما قامت إلا في مسجد، ولهذا ينبغي لمن صلى في جماعة في مسجد بيته أن يؤذن لها وإن كانت الإقامة أذاناً، وإنما سميت إقامة لقيام المصلي إلى الصلاة عند هذا الأذان الخاص ففرق بين الأذنين بالإقامة والأذان معناه الإعلام وابقوا اسم الأذان على الأول المعلم بدخول الوقت، فالأذان الأول للإعلام بدخول الوقت والأذان الثاني الذي هو الإقامة للإعلام بالقيام إلى الصلاة فزاد على الأذان بقوله: قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة.

وصية: وعليك بالمحافظة على صلاة الأوابين وهي الصلاة في الأوقات المغفول عنها عند العامة وهي ما بين الضحى إلى الزوال، وما بين الظهر والعصر، وما بين المغرب والعشاء الآخرة، والتهجد وهو أن ينام من أول الليل بعد صلاة العشاء الآخرة ثم يقوم إلى الصلاة ثم ينام ثم يقوم إلى الصلاة إلى أن يطلع الفجر فإذا طلع الفجر فاركع ركعتي الفجر ثم اضطجع

على شقك الأيمن من غير نوم ثم قم إلى صلاة الصبح، واجعل وترك ثلاث عشرة ركعة في تهجدك فإن هذا كان وتر رسول الله ﷺ، وأطل الركعتين الأوليين من التهجد ثم اللتين بعدهما أقل منهما في الطول والركعة الأولى من كل ركعتين على قدر الثانية من اللتين تقدمتهما، والركعة الثانية من كل ركعتين على النصف من الركعة الأولى منهما أو قريب من ذلك إلى أن توتر بركعة واحدة إن شئت أن لا تجلس إلا في آخر ركعة من وتر صلاتك وهي الإحدى عشر وإن شئت جلست في كل ركعتين، ولا تسلم إلا في آخر ركعة مفردة، وإن شئت خمست وسبعت وتسعت كل ذلك مباح لك، ولا تثلث من أجل التشبه بصلاة المغرب، وقد ورد في النهي عن ذلك خبر، وكذلك في الركعة الواحدة وتسمى البتراء، فاجتنب مواقع الخلاف ما استطعت واهرب إلى محل الإجماع مع أنه ثبت أنه أوتر بثلاث فإن أوترت بثلاث فلا تجلس إلا في آخرها وتسلم حتى تفرق في الشبه بينها وبين المغرب، وإذا قمت إلى الصلاة بالليل وتوضأت فاركع ركعتين خفيفتين ثم بعدهما اشرع في صلاة الليل كما رسمت لك، وعند قيامك للتهجد امسح عينيك من النوم بيديك ثم اتل: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخِثَلَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠] الآيات بكمالها، ثم قم فتوضأ واستفتح صلاتك بركعتين خفيفتين ثم اشرع في قيام الليل على ما وصفته لك في باب الصلاة من هذا الكتاب وأذكاره فانظره فيه وانظر اعتباره إن شاء الله، وقد ثبت أن صلاة الأوابين حين ترمض الفصال، واجتنب الصلاة عند الاستواء وبعد العصر حتى تغرب الشمس وبعد الصبح حتى تطلع الشمس، وحافظ على الصلاة في جماعة فإنها تزيد على صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة، وحافظ على أربع ركعات في أول النهار عند الإشراق كما قال: ﴿يُسَبِّحَنَّ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ [ص: ١٨] والسبحة صلاة النافلة بقول عبد الله بن عمر وهو عربي في النافلة في السفر: لو كنت مسبحاً أتممت، ثم صلاة الضحى ثمان ركعات بعد صلاة الإشراق ثم أربع ركعات قبل الظهر وبعد الزوال ثم أربع ركعات بعد صلاة الظهر ثم أربع ركعات قبل صلاة العصر ثم ست ركعات بعد المغرب ثم ثلاث عشرة ركعة وترك من الليل فيها ركعتي الفجر، وتبقى إحدى عشرة ركعة هي صلاة الليل، هذا لا بد منه لمن يريد اتباع السنة والافتداء، وفي رواية ركعتين قبل المغرب ثم إن زدت فأنت وذلك فإن الصلاة خير موضوع، فمن شاء فليستقل ومن شاء فليستكثر فإنه يناجي ربه، والحديث مع الله والاستكثار منه أشرف الأحوال، وأما الوصية بالصدقة والصوم فقد تقدم في باب الزكاة وباب الصيام وكذلك الحج من هذا الكتاب.

وصية: وعليك بالورع في المنطق كما تتورع في المأكل والمشرب، والورع عبارة عن اجتناب الحرام والشبهات، وأما الشبهة فما حاك في صدرك ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الإثم ما حاك في صدرك» قال بعض العلماء من أهل الله: ما رأيت أسهل علي من الورع كل ما حاك له في نفسي شيء تركته. وقد ورد في الخبر: «دَعُ مَا يُرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا يُرِيْبُكَ» وورد أيضاً: «اسْتَفْتِ قَلْبَكَ وَإِنْ أَفْتَاكَ الْمُفْتُونَ» يعني بالحل وتجد أنت في نفسك وقفة في ذلك

فاجتنبه فهو أولى بك ولا تحرمه، وعليك بالهدى الصالح وهو هدى الأنبياء وهو اتباع آثارهم الذي أمر رسول الله ﷺ باتباعهم في قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبُهِدْتُهُمْ أَتَدْرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٠] وكذلك سمت الصالح والاقتصاد في أمورك كلها فإن النبي ﷺ قد ثبت عنه أن الهدى الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة وتحفظ من العجلة إلا في المواطن التي أمرك رسول الله ﷺ بالعجلة فيها والمسارة إليها مثل الصلاة لأول ميقاتها وإكرام الضيف وتجهيز الميت والبركر إذا أدركت بل وكل عمل للأخرة فالمسارة إليه أولى من التؤدة فيه، واجعل التسوية والتؤدة في أمور الدنيا فإنه ما فاتك من الدنيا ما تندم عليه بل تفرح بفوته، وما فاتك من أمور الآخرة فإنك تندم عليه، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «التؤدة في كل شيء إلا في عمل الآخرة» وقد ذكر مسلم أن رسول الله ﷺ قال للأشج أشج عبد القيس: «إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ» قَالَ: وَمَا هُمَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الْحِلْمُ وَالْأَنَاءَةُ» أراد الحلم عمن جنى عليك والأناة في أمور الدنيا وأغراض النفس، وإن كان لك عائلة فكذلك عليهم فإن الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، وكن خير الرعاة في كل ما استرعاك الله فيه على الإطلاق، فالسلطان راع وكل راع مسؤول عن رعيته ما فعل فيهم هل اتقى الله فيهم أو لم يتق، والرجل راع على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده، والعبد راع على مال سيده، ولا تغفل عن الصلاة على رسول الله ﷺ إذا ذكرته أو ذكر عندك تأمن من البخل فإنه ثبت عنه ﷺ أنه قال: «الْبَخِيلُ مَنْ أَدْمُ دُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ» ولو لم يكن في ذلك إلا إطلاق البخل عليك وهو من أدم الصفات وأرداها، ومعنى البخل هنا بخله على نفسه فإنه قد ثبت فيمن صلى على النبي ﷺ مرة صلى الله عليه عشراً، فمن ترك الصلاة على النبي ﷺ فقد بخل على نفسه حيث حرمها صلاة الله عليه عشراً إذا صلى هو واحدة فما زاد.

وصية: الله الله أن تعود في شيء خرجت عنه الله تعالى، ولا تعقد مع الله عقداً ولا عهداً ثم تنقضه بعد ذلك وتحله ولا تفي به ولو تركته لما هو خير منه فإن ذلك من خاطر الشيطان فافعله وافعل الخير الآخر الذي أخطره لك الشيطان حتى لا تفي بالأول، فإن غرضه أن توصف بوصف الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه، وعليك بصلة الرحم فإنها شجنة من الرحمن وبها وقع النسب بيننا وبين الله، فمن وصل رحمه وصله الله، ومن قطع رحمه قطعه الله، وإذا استشرت في أمر فقد أمتك المستشار فلا تخنه، فإن كان في نكاح فإن شئت أن تذكر ما تعرفه فيمن سئلت عنه مما يكرهه لو سمعه فإن ذلك الذكر ليس بغيبية يتعلق بها دم، فإن كنت من أهل الورع الأشداء فيه ويحوك في نفسك شيء من هذا الذكر فلا تذكر ما تعرف فيه من القبيح وقل كلاماً مجملًا مثل أن تقول: ما تصلح لكم مصاهرته من غير تعيين ويكفي هذا القدر من الكلام، فإن كنت تعلم من قرائن الأحوال أن هذا الأمر الذي تدمته به في نظرك لا يقدر عند القوم الذين يطلبون نكاحه فما خنتهم إذا لم تذكر لهم ما يقبح عندك فإنه ليس بقبيح عندهم وهم مقدمون عليه، وهذا موقوف على معرفة أحوال الناس، ومثل هذا الكلام في

الأسانيد في حديث رسول الله ﷺ كان أحمد بن حنبل يقول ليحيى بن معين: تعال نعتب في الله، والمستشار مؤتمن، وإياك والأكل والشرب في أواني الذهب والفضة، وإياك والجلوس على مائدة يدار عليها الخمر ولا حرام أصلاً، واجتنب لباس الحرير والذهب إن كنت رجلاً وهو حلال للمرأة، وإذا رأيت رؤيا تحزنك واستيقظت فاتفل عن يسارك ثلاث مرات وقل: أعوذ بالله من شر ما رأيت، وتحول عن جنبك الذي كنت عليه في حال رؤياك إلى الجنب الآخر، ولا تحدث بما رأيت فإنها لا تضرّك، فحافظ على مثل هذا تربرهانه، فإن كثيراً من الناس وإن استعاذوا يتحدثون بما رأوه، وقد ورد أن الرؤيا معلقة من رجل طائر فإذا قالها سقطت لما قيلت له، وعليك باستعمال الطيب فإنه سته، واستعمل منه إن كنت ذكراً ما ظهر ريحه وخفي لونه، وإن كنت امرأة فاستعمل منه ما ظهر لونه وخفي ريحه، فإن الحديث النبوي بهذا ورد، وعليك بالسواك لكل صلاة وعند كل وضوء وعند دخولك إلى بيتك فإنه مطهرة للفم ومرضاة للرب، وقد ورد: «إِنَّ صَلَاةَ بِسَوَاكِ تَفْضُلُ سَبْعِينَ صَلَاةً بِغَيْرِ سَوَاكِ» ذكره ابن زنجويه في كتاب الترغيب في فضائل الأعمال، وإياك واليمين الغموس فإنها تغمس صاحبها في الإثم فإن الناس اختلفوا في كفارتها فمنهم من ألحقها في الكفارة بالإيمان، ومنهم من قال إنها لا كفارة فيها وهي اليمين التي تقطع بها حقاً للغير وجب عليك، وفي هذا فقه عجيب دقيق لمن نظر وتفقه في وجوب الحق متى يكون وبأي صفة يكون، وما منعي أن أبينه للناس إلا سد الذريعة حتى لا يتأول فيه الجاهل فيجاوز القدر الذي نذكره فيقع في الإثم وهو لا يشعر، فإن الفقهاء أغفلوا هذا الوجه الذي أومأنا إليه وما ذكروه، وإياك والمرء في القرآن فإنه كفر بنص الحديث وهو الخوض فيه بأنه محدث أو قديم أو هل هذا المكتوب في المصاحف والملتو المتلفظ به عين كلام الله أو ما هو عين كلام الله، فالكلام في مثل هذا والخوض فيه هو الخوض في آيات الله، وهذا هو المرء والجدال في القرآن الداخل في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [الأنعام: ٦٨] فسماه حديثاً وليس إلا القرآن، فلو أراد آيات غير القرآن لقال فيها بضمير الآية أو الآيات، فليس للذكورية هنا دخول إلا إذا أراد آيات القرآن، والقرآن خبر الله والخبر عين الحديث، وقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ [الحجر: ٩] والذكر الحديث.

وصية: اكظم التثاؤب ما استطعت فإنه من الشيطان، وإياك أن تصوت فيه فإن ذلك صوت الشيطان، والعطاس في الصلاة من الشيطان أيضاً، وفي غير الصلاة العطاس ليس من الشيطان، وإياك والطرق وهو الضرب بالحصى، قال الشاعر: [الطويل]

لَعَمْرُكَ مَا يَدْرِي الصَّوَّارِبُ بِالْحَصَى وَلَا زَاجِرَاتُ الطَّيْرِ مَا اللَّهُ صَانِعُ

وكذلك العيافة والطيرة، وعليك بالفأل والطيرة شرك، وإياك والبصاق في المسجد فإن غفلت فادفنها فذلك كفارتها، وإياك أن تستقبل القبلة ببصاقتك ولا بخلائك، ولا تستدبرها أيضاً ببول ولا غائط فإن ذلك من آداب النبوة، وإذا أردت أن تأكل فاغسل يديك قبل الأكل وبعده، وزد المضمضة منه في الغسل بعده، وعليك بالإحسان إذا ملكت يمينك من جارية

وإنا الله ملككم وعلامة ولا تكلفهما فوق طاقتهما وإن كلفتهما فأعنهما فإنهما من إخوانكم، وإنما الله ملككم رقابهم، الكل بنو آدم فهم إخواننا فراع الله فيهم واعلم أنك مسؤول عنهم يوم القيامة، وإذا عاقبت أحدهم على جناية فاعلم أن الله يوم القيامة يوقف العبد وسيده بين يديه ويحاسبه على جنايته وعلى عقوبته على ذلك، فإن خرجت رأساً برأس كان وإن كانت العقوبة أكثر من الجناية اقتصر للعبد من السيد فتحفظ ولا تزدد في العقوبة على ثلاثة أسواط فإن كثرت فإلى عشرة، ولا تزدد إلا في إقامة حد من حدود الله فذلك حد الله لا تتعداه، وإن عفوت عن العبد في جنايته فهو أولى بك وأحوط لك، وإذا جئت إلى بيت قوم فاستأذن ثلاث مرات فإن أذن لك وإلا فارجع، ولا تنظر في بيت أخيك من حيث لا يعرف بك فإنك إذا نظرت فقد دخلت، وإنما جعل الإذن من أجل البصر، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا﴾ [النور: ٢٧] وقال: ﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ أَنْجِعُوا فَأَنْجِعُوا﴾ [النور: ٢٨] وثبت في الحديث الاستئذان ثلاث فإن أذن لك وإلا فارجع، وإياك أن تتخذ الجرس في عنق دابتك فإن الملائكة تنفر منه، وقد ورد بذلك الحديث النبوي وكان بمكة رجل من أهل الكشف يقال له ابن الأسعد من أصحاب الشيخ أبي مدين صحبه ببجاية فكان يوماً بالطواف وهو يشاهد الملائكة تطوف مع الناس فنظر إليهم وإذا هم قد تركوا الطواف وخرجوا من المسجد سراعاً فلم يدر ما سبب ذلك حتى بقيت الكعبة ما عندها ملك، وإذا بالجمال بالأجراس في أعناقها قد دخلت المسجد بالروايا تسقي الناس فلما خرجوا رجعت الملائكة، وقد ثبت أن الجرس مزامير الشيطان، والذي أوصيك به أن تحافظ على أن تشتري نفسك من الله بعق رقبتك من النار بأن تقول: لا إله إلا الله سبعين ألف مرة فإن الله يعتق رقبتك بها من النار أو رقبة من تقولها عنه من الناس، ورد في ذلك خبر نبوي. ولقد أخبرني أبو العباس أحمد بن علي بن ميمون بن أب التوزري عرف بالقسطلاني بمصر قال في هذا الأمر: إن الشيخ أبا الربيع الكفيف المالقي كان على مائدة طعام وكان قد ذكر هذا الذكر وما وهبه لأحد وكان معهم على المائدة شاب صغير من أهل الكشف من الصالحين فعندما مد يده إلى الطعام بكى فقال له الحاضرون: ما شأنك تبكي؟ فقال: هذه جهنم أراها وأرى أمي فيها وامتنع من الطعام فأخذ في البكاء، قال الشيخ أبو الربيع: فقلت في نفسي: اللهم إنك تعلم أنني قد هللت بهذه السبعين ألفاً وقد جعلتها عتق أم هذا الصبي من النار هذا كله في نفسي، فقال الصبي: الحمد لله أرى أمي قد خرجت من النار وما أدري ما سبب خروجها، وجعل الصبي يبتهج سروراً وأكل مع الجماعة، قال أبو الربيع: فصح عندي هذا الخبر النبوي بكشف هذا الصبي، وصح عندي كشف هذا الصبي بالخبر، وقد عملت أنا على هذا الحديث ورأيت له بركة في زوجتي لما ماتت.

وعليك بإصلاح ذات البين وهو الفراق فإن الإصلاح بين الناس من الخير المعين في الكتاب، وإذا كان الله قد رغب بل أمر المسلمين إذا جنح الكفار إلى السلم أن يجنحوا لها فأحرى الصلح بين المتهاجرين من المسلمين، وإياك وإفساد ذات البين فإنها الحالقة والبين هنا

هو الوصل، ومعنى قول النبي ﷺ الحالقة أنها تحلق الحسنات كما يحلق الحلاق الشعر من الرأس، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ نَقَطَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤] بالرفع يعني الوصل، والبين في اللسان من الأضداد كالجون، يا وليي أطعم عبدك مما تأكل وألبسه مما تلبس وراع قدره وانظر فيما ثبت فيهم من رسول الله ﷺ بقوله: «إِخْوَانُكُمْ حَوْلُكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ» فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس، واغتنم صحة البدن والفراغ من شغل الدنيا واستعن بهاتين النعمتين اللتين أنعم الله عليك بهما على طاعة الله فإنه ما أصح بدنك ولا فرغك من هموم الدنيا إلا لطاعته والقيام بحدوده وإلا كانت الحجة عليك لله، فاحذر أن يكون الله خصمك، ولتقل في كل يوم عند كل صباح مائة مرة: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم فإن هذا الذكر لا يبقى عليك ذنباً.

وصية: عليك بحفظ جوارحك فإنه من أرسل جوارحه أتعب قلبه، وذلك أن الإنسان لا يزال في راحة حتى يرسل جوارحه، فربما نظر إلى صورة حسنة تعلق قلبه بها ويكون صاحب تلك الصورة من المنعة بحيث لا يقدر هذا الناظر على الوصول إليها فلا يزال في تعب من حبها يسهر الليل ولا يهنا له عيش، هذا إذا كان حلالاً فكيف به إن كان أرسله فيما لا يحل له النظر إليه؟ فلماذا أمرنا بتقييد الجوارح، فإن زنى العيون النظر وزنى اللسان النطق بما حرم عليه، وزنى الأذن الاستماع إلى ما حجر عليه، وزنى اليد البطش، وزنى الرجل السعي، وكل جارحة تصرفت فيما حرم عليها التصرف فيه فذلك التصرف منها على هذا الوجه الحرام هو زناها، فاللسان يقول بغضهم هو الذي أوردني الموارد المهلكة، وقال ﷺ: «وَهَلْ يُكَبُّ النَّاسُ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ فِي النَّارِ إِلَّا حَصَائِدَ أَلْسِنَتِهِمْ؟» قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤] يعني بها فتقول اليد: بطش بي في كذا يعني في غير حق فيما حرم عليه البطش فيه، وتقول الرجل كذلك، واللسان والبصر وجميع الجوارح كذلك ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦] خرج مسلم عن محمد بن أبي عمر عن سفيان عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال: قالوا يا رسول الله هل نرى يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَا رَبِّكُمْ فَيَلْقَى الْعَبْدَ فَيَقُولُ: أَيُّ قُلٍّ، أَلَمْ أَكْرَمَكَ وَأَسْوَدَكَ وَأَزَوَّجَكَ وَأَسَخَّرَ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ وَأَدْرَكَ تَرَأْسَ وَتَرْبَعٍ؟ فَيَقُولُ: بَلَى يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَطَنَنْتَ أَنْكَ مُلَاقِي؟ فَيَقُولُ: آمَنْتُ بِكَ وَبِكِتَابِكَ وَبِرُسُلِكَ وَصَلَّيْتُ وَصُمْتُ وَتَصَدَّقْتُ وَبَيْتَنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ فَيَقُولُ هَا هُنَا إِذَنْ قَالَ ثُمَّ يَقَالُ لَهُ الْآنَ نَبَعْتُ شَاهِدًا عَلَيْكَ وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ مِنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ فَيُخْتَمُ عَلَيَّ فِيهِ، وَيَقَالُ لِفَخْذِهِ انْطِقِي فَيَنْطِقُ فَيَخْذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ وَذَلِكَ لِيَعْدَرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ الَّذِي سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ» وقد ورد في الحديث الثابت في أمر الدنيا: «إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ حَتَّى تُكَلِّمَ الرَّجُلَ بِمَا فَعَلَ أَهْلُهُ فَيَخْذُهُ وَعَذْبَةُ سَوْطِهِ» وقد قيل في التفسير: إن الميت الذي أحياه الله في بني إسرائيل في حديث البقرة في قوله: ﴿أَضْرِبُوهُ بَعْضَهَا﴾ [البقرة: ٧٣] قال: ضرب بفخذه وأن الله ما عين ذلك البعض فاتفق أن ضربه بالفخذ، فاحذر يا أخي يوماً تشهد فيه عليك الجلود

والجوارح، وأنصف من نفسك وعامل جوارحك بما تشكرك به عند الله، ولقد رأينا ذلك عياناً في الدنيا في زمان الأحوال التي كنا فيها أعني نطق الجوارح إذا أراد العبد أن يصرفها فيما لا يجوز شرعاً تقول له الجارحة: يا هذا لا تفعل لا تجبرني على فعل ما حجر عليك فعله فإني شهيد عليك يوم القيامة فاجعلني شاهداً لك لا عليك واصحبي بالمعروف وهو في غفلة لا يسمع، فإذا وقع منه الفعل تقول الجارحة: يا رب قد نهيتك كما نهيتك فلم يسمع، اللهم إني أبرأ إليك ممّا وصل إليه من مخالفتك بي، وعلى كل حال لإرسال الجوارح يؤدي إلى تعب القلب، فإن الله خلقك لك واصطفى منك لنفسه قلبك وذكر أنه يسعه إذا كان مؤمناً تقياً ذا ورع، فإذا شغلته بما تصرفت فيه جوارحك كنت ممن غصب الحق فيما ذكر أنه له منك، وأي ظلم أعظم من ظلم الحق؟ فلا تجعل الحق خصمك فإن الله الحجة البالغة كما ذكر عن نفسه وبكل وجه أشهدني الله حجته على خلقه كيف تقوم، وذلك في أن العلم يتبع المعلوم، إن فهمت فأكثر من هذا التصريح ما يكون.

وصية: وعليك بالأذان لكل صلاة أو تقول ما يقول المؤذن إذا أذن، وإذا أذنت فارفع صوتك فإن المؤذن يشهد له يوم القيامة مدى صوته من رطب ويابس، ولو علم الإنسان ما له في الأذان ما تركه قال ﷺ: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا عَلَيْهِ لَاسْتَهَمُوا، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لَاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبَوًّا» فإن لم يؤذن وسمع الأذان فليقل مثل ما يقول المؤذن سواء، وإن قال ذلك عند كل كلمة إذا فرغ المؤذن منها قالها هذا السامع بحضور وخشوع، ولقد أذنت يوماً فكلما ذكرت كلمة من الأذان كشف الله عن بصري فرأيت ما لها مد البصر من الخير فعابنت خيراً عظيماً لو رآه الناس العقلاء لذهلوا لكل كلمة، وقيل لي هذا الذي رأيت ثواب الأذان، وإنما ارتضينا ووصينا أن يقول السامع مثل ما يقول المؤذن عند فراغ كل كلمة لما رويناه من حديث الترمذي عن ابن وكيع عن إسماعيل بن محمد بن جحادة يبلغ به النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ صِدْقَةً رَبُّهُ وَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَأَنَا أَكْبَرُ. وَإِذَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَخَدَهُ يَقُولُ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَأَنَا وَخَدِي. وَإِذَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَخَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ قَالَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَخَدِي لَا شَرِيكَ لِي. وَإِذَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ قَالَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا لِي الْمُلْكُ وَلِي الْحَمْدُ. وَإِذَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ قَالَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِي». قال: وكان يقول: «مَنْ قَالَهَا فِي مَرَضِهِ لَمْ تَطْعَمَهُ النَّارُ».

ويكفي العاقل في الأمر بالأذان أمر النبي ﷺ من سمع المؤذن يؤذن أن يقول مثل قوله فهو أذان فما رغبه فيه إلا وله أجره فإنه معلم لذلك نفسه وذاكر ربه بصورة الأذان فما أمره إلا بما له فيه خير كثير، وليؤذن على أكمل الروايات وأكثرها ذكراً، فإن الأجر يكثر بكثرة الذكر. قال تعالى: ﴿وَالذَّكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] وقال: ﴿أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١] وقد ورد أن الإنسان إذا كان بأرض فلاة فدخل الوقت وليس معه أحد قام فأذن

فإذا أذن صَلَّى خلفه من الملائكة كأمثال الجبال، ومن كانت جماعته مثل أولئك يؤمنون على دعائه كيف يشقى، وإنما وصينا بمثل هذا لغفلة الناس عن مثله، فالعاقل من لا يغفل عن فعل ما له فيه الخير الباقي عند الله عز وجل فإن ذلك من رحمتك بنفسك، فإن الله جعل رحمتك بنفسك أعظم من رحمتك بغيرك، كما جعل أذاك نفسك أعظم في الوزر من أذاك بغيرك، قال في قاتل الغير إذا لم يقتل به أمره إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء أخذه. وقال في القاتل نفسه: حرمت عليه الجنة. وقال ﷺ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ» فمن رحم نفسه يسلك بها سبيل هداها ويحول بينها وبين هواها، فرحمه الله رحمة خاصة خارجة عن الحد والمقدار، فإنه رحم أقرب جار إليه وهي نفسه، ورحم صورة خلقها الله على صورته فجمع بين الحسينيين مراعاة قرب الجوار ومراعاة الصورة، وأي جار سوى نفسه فهو أبعد منها ولذلك أمر الداعي إذا دعا أن يبدأ بنفسه أولاً مراعاة لحقها، والسر الآخر أن الداعي لغيره يحصل في نفسه افتقار غيره إليه ويذهل عن افتقاره وربما يدخله زهو وعجب بنفسه لذلك وهو داء عظيم فأمره رسول الله ﷺ أن يبدأ لنفسه بالدعاء فتحصل له صفة الافتقار في حق نفسه فتزيل عنه صفة الافتقار صفة العجب والمنة على الغير، وفي أثر ذلك يدعو للغير على افتقار وطهارة. فلهذا ينبغي للعبد أن يبدأ بنفسه في الدعاء ثم يدعو لغيره فإنه أقرب إلى الإجابة لأنه أخلص في الاضطرار والعبودية، ومثل هذا النظر مغفول عنه لا أحد أعظم من الوالدين وأكبر بعد الرسل حقاً منهما على المؤمن، ومع هذا أمر الداعي أن يقدم في الدعاء نفسه على والديه فقال نوح عليه السلام: «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ» [نوح: ٢٨] وقال الخليل إبراهيم عليه السلام في دعائه: «وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ» [إبراهيم: ٣٥] فقدم نفسه «رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ» [إبراهيم: ٤٠-٤١] فبدأ بنفسه وقال: «أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْتَدَةً» [الأنعام: ٩٠] وإنما أوصيتك بالأذان لما فيه عند الله يوم القيامة، فإن المؤذنين أطول الناس أعناقاً في ذلك اليوم يقول تمتد أعناقهم دون الناس لينظروا ما أثابهم الله به وما أعطاهم من الجزاء على أذانهم هذا إن كان من الطول، فإن كان من الطول الذي هو الفضل والعنق الجماعة فهم أفضل الناس جماعة، ومن رواه بكسر الهمزة فهو أفضلهم سيراً لما يروونه من الخير الذي لهم على الأذان فإن المؤذن يحافظ على الأوقات فهو يسرع إلى الإعلام بدخول وقت الصلاة فإنه مراعاة ذلك.

وصية: وإن كنت والياً فاقض بالحق بين الناس «وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» [ص: ٢٦] وسبيل الله هو ما شرعه لعباده في كتبه وعلى السنة رسله «الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ تُنْفَخُ الْأَسْبَابُ» [ص: ٢٦] يعني به. والله أعلم يوم الدنيا حيث لم يحاسبوا نفوسهم فيه، فإن النسيان الترك، يقول رسول الله ﷺ: «حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا» ولقد أشهدني الله في هذا مشهداً عظيماً بإشبيلية سنة ست وثمانين وخمسمائة ويوم الدنيا أيضاً هو يوم الدين أي يوم الجزاء لما فيه من إقامة الحدود «لِيُذَيَّبَهُمْ بَعْضُ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ»

[الروم: ٤١] وهذا عين الجزاء وهو أحسن في حق العبد المذنب من جزاء الآخرة، لأن جزاء الدنيا مذكر وهو يوم عمل والآخرة ليست كذلك، ولهذا قال في الدنيا: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١] يعني إلى الله بالتوبة، فيوم الجزاء أيضاً يوم الدنيا كما هو يوم الآخرة، وهو في يوم الدنيا أنفع، فاقض بالحق فإن الله قد قضى في الدنيا بالحق بما شرعه لعباده وفي الآخرة بما قال، فإن القضاة في الدنيا ثلاث: واحد في الجنة، واثنان في النار. والذي أوصيك به إذا فتح الله عين بصيرتك ورزقك الرجوع إليه المسمى توبة فانظر أي حالة أنت عليها من الخير لا تزل عنها، إن كنت والياً أثبت على ولايتك، وإن كنت عزباً أثبت على ذلك، وإن كنت ذا زوجة فلا تطلق واثبت على ذلك مع أهلك، واشرع في العمل بتقوى الله في الحالة التي أنت عليها من الخير كانت ما كانت، فإن الله في كل حال باب قربة إليه تعالى، فاقرع ذلك الباب يفتح لك ولا تحرم نفسك خيره، وأقل الأحوال أنك في الحال التي كنت عليها في زمان مخالفتك إذا ثبت عليها عند توبتك تحمدك تلك الحالة فإن فارتقتها كانت عليك لا لك فإنها ما رأت منك خيراً، وهذا معنى دقيق لطيف لا ينتبه له كل أحد فإنها لا تشهد لك إلا بما رآته منك، فإذا رأت منك خيراً شهدت لك به، ولا يفوتك ما ذكرته لك من نيل ما فيها من الخير المشروع، وأعني بذلك كل حال أنت عليها من المباحات فإن توبتك إنما كان رجوعك عن المخالفات، وإياك أن تتحرك بحركة إلا وأنت تنوي فيها قربة إلى الله، حتى المباح إذا كنت في أمر مباح فانو فيه القربة إلى الله من حيث إيمانك به أنه مباح ولذلك أتيت فتؤجر فيه، ولا بد حتى المعصية إذا أتيتها انو المعصية فيها فتؤجر على الإيمان بها أنها معصية، ولذلك لا تخلص معصية المؤمن أبداً من غير أن يخالطها عمل صالح وهو الإيمان بكونها معصية وهم من الذين قال الله فيهم: ﴿وَأَخْرُونَ أَعْرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَأَخْرَسَيْنَا﴾ [التوبة: ١٠٢] فهذا معنى المخالطة، فالعمل الصالح هنا الإيمان بالعمل السيء أنه سيء، وعسى من الله واجبة فترجع عليهم بالرحمة فيغفر لهم تلك المعصية بالإيمان الذي خلطها به، فمتعلق عسى هنا رجوعه سبحانه عليهم بالرحمة لا رجوعهم إليه فإنه ما ذكر لهم توبة كما قال في موضع آخر ثم تاب عليهم ليتوبوا، وهنا جاء بحكم آخر ما فيه ذكر توبتهم بل فيه توبة الله تعالى عليهم. والذي أوصيك به أنك لا تنقل مجلساً ولا تبلغ ذا سلطان حديثاً إلا خيراً، خرج الترمذي حديثاً عن حذيفة أو غيره أنا الشاك أن رجلاً مرّ عليه فقيل له عنه إن هذا يبلغ الأمراء الحديث فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ» قال أبو عيسى: والقنات النمام. وإذا حدثك إنسان وتراه يلتفت يميناً وشمالاً يحذر أن يسمع حديثه أحد فاعلم أن ذلك الحديث أمانة أودعك إياه فاحذر أن تخونه في أمانته بأن تحدث بذلك عند أحد فتكون ممن أدى الأمانة إلى غير أهلها فتكون من الظالمين. وقد ثبت أن المجالس بالأمانة. وأما وصيتي لك أن لا تبلغ ذا سلطان حديثاً بشر فإن ذلك نسيمة قال تعالى في ذمه: ﴿مَشَامَ بَنِيهِمْ﴾ [القلم: ١١]. ومن الوصايا الحذر من الطعن في الأنساب، فلا تحل بين شخص وبين أبيه صاحب الفراش فإن ذلك كفر بنص الشارع فيه، وعليك بمراعاة الأوقات في الدعاء مثل الدعاء عند

الأذان وعند الحرب وعند افتتاح الصلاة فإن المطلوب من الدعاء إنما هو الإجابة فيما وقع السؤال فيه من الله وأسباب القبول كثيرة وتنحصر في الزمان والمكان والحال، ونفس الكلمة التي تذكر الله بها من الذكر حين تدعوه في مسألته فإنه إذا اقترن واحد من هذه الأربعة بالدعاء أوجب الدعاء، وأقوى هذه الأربعة الاسم ثم الحال. وعليك بمراعاة حق الله وحق الخلق أن توجه لهم عليك حق فإن الله يؤتيك أجرك مرتين: من حيث ما أديته من حقه ومن حيث ما أديت من حق من تعين عليك له حق من خلق الله، وإن كانت لك جارية فأدبتها وأحسن أدبها فإن لك في ذلك أجراً عظيماً، ثم إن أعتقتها فلك في العتق الأجر العظيم العام لذاتك، فإن تزوجت بها فلك أجر آخر أعظم من أنك لو تزوجت بغيرها. فإذا رأيت غازياً فأعنه بطائفة من مالك، وكذلك المكاتب، وكذلك الناكح يريد بنكاحه عصمة دينه والعفاف، فإنك إذا فعلت ذلك وأعتتهم فإنك نائب الله في عونهم فإن عون هؤلاء حق على الله بنص الخبر، فمن أعانهم فقد أذى عن الله ما أوجه الله على نفسه لهم فيكون الله يتولى كرامته بنفسه، فما دام المجاهد في سبيل الله مجاهداً بما أعنته عليه فإنك شريكه في الأجر ولا ينقضه شيء، وكذلك إعانة الناكح حتى أنه لو ولد له ولد فكان صالحاً فإن لك في ولده وفي عقبه أجراً وافراً تجده يوم القيامة عند الله وهو أعظم من المكاتب والمجاهد، فإن النكاح أفضل نوافل الخيرات وأقربه نسبة إلى الفضل الإلهي في إيجاده العالم ويعظم الأجر بعظم النسب.

واعلم أن الإنسان مجبول على الفاقة والحاجة فهو مجبول على السؤال، فإن رزقك الله يقيناً فلا تسأل إلا الله تعالى في طلب نفع يعود عليك أو دفع ضرر نزل بك، فإذا سألك أحد بالله لا بقرابة ولا بشيء غير الله عز وجل فأعطه مسألته بحيث لا يعلم بذلك أحد إلا هو خاصة، ولا بد لك في مثل هذه الأعطية أن تعرفها له فإنه يجبر في نفسه ما انكسر منها عند سؤاله، فإذا لم يعلم أن سؤاله نفع انكسر فلا بد أن تجيبه إلى مسألته على علم منه، فإن علمت بحاله من غير سؤال منه فمثل هذا تعمل أن تعطيه مسألته بالحال من غير أن يعلم أنك أعطيته فإنه يخجل بلا شك ولا سيما إن كان من أهل المروءات والبيوت وممن لم تتقدم له عادة بذلك، وفرق بين الحالتين فإن الفرق بينهما دقيق، فإن السائل الأول يخجل إذا لم يعلم أنك أعطيته، والثاني يخجل إذا علم أنك أعطيته، والمقصود رفع الخجل عن صاحب الفاقة وعليك بذكر الله بين الغافلين عن الله بحيث لا يعلمون بك، فتلك خلوة العارف بربه وهو كالمصلي بين النائمين. وإياك ومنع فضل الماء من ذي الحاجة إليه، واحذر من المن في العطاء فإن المن في العطاء يؤذن بجهل المعطي من وجوه: منها رؤيته نفسه بأنه رب النعمة التي أعطى والنعمة إنما هي خلقاً وإيجاداً. والثاني: نسيانه منة الله عليه فيما أعطاه وملكه من نعمه وأحوج هذا الآخر لما في يده. والثالث: نسيانه أن الصدقة التي أعطها إنما تقع بيد الرحمن والآخر ما يعود عليه من الخير في ذلك فلنفسه أحسن ولنفسه سعى، فكيف له بالمنة على ذلك الآخر أنه ما أوصل إليه إلا ما هو له، إذ لو كان رزقه ما أوصله إليه فهو مؤد أمانة من حيث لا يشعر، فجهله بهذه الأمور كلها جعله يمتن بالعطاء على من أوصل إليه راحة

وأبطل عمله فإن الله يقول: ﴿ لَا تُبْطِلُوا صِدْقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴾ [البقرة: ٢٦٤] وقال الله: ﴿ يَمْشُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُم بِلِ اللَّهِ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الحجرات: ١٧]. وإياك أن تتقدم قوماً في الصلاة إماماً وهم يكرهون تقدمك عليهم في صلاة وفي غيرها غير أن هنا دقيقة وهي أن تنظر ما يكرهون منك، فإن كرهوا منك ما كره الشرع منك فهو ذلك، وإن كرهوا منك ما أحبه الشرع منك فلا تبال بكرهاتهم فإنهم إذا كرهوا ما أحب الشرع فليسوا بمؤمنين، وإذا لم يكونوا مؤمنين فلا مراعاة لهم، ولتتقدم شاؤوا أم أبوا، فمن ذلك الصلاة إذا كنت أقرأ القوم فأنت أحق بالإمامة بهم أو ذا سلطان فإن الله قدمك عليهم، ومع هذا فينبغي للناصح نفسه أن لا يتصف بصفة يكره منها تقدمه في أمر ديني وليسع في إزالة تلك الصفة عن نفسه ما استطاع، وحافظ على الصلاة لأول ميقاتها ولا تؤخرها حتى يخرج وقتها، وإياك أن تتعبد حرّاً وتسترقه بشبهة ولا ترى أن لك فضلاً على أحد ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الحديد: ٢١] وتعبد الحرّ على نوعين: إما أن تأخذ من هو حرّ الأصل فنتبعه، وإما أن تعتق عبداً ولا تمكنه من نفسه وتتصرف فيه تصرف السيد لعبده وليس لك ذلك إلا بإذنه أو إجازته، فإني رأيت كثيراً من الناس من يعتق المملوك ولا يمكنه من كتاب عتقه ويستعبده مع حرّيته، والسيد إذا أعتق عبده ما له عليه حكم إلا الولاء، فإذا أعتقت عبداً فلا تستخدمه إلا كما تستخدم الحرّ إما برضاه وإما بالإجازة كالحرّ سواء فإنه حرّ. ثبت عن رسول الله ﷺ الوعيد الشديد فيمن تعبد محرّره، وفيمن اعتبد حرّاً، وفيمن باع حرّاً فأكل ثمنه. والذي أوصيك به إذا استأجرت أجيراً واستوفيت منه فأعطه حقه ولا تؤخره.

وصية: إذا كنت جنباً ولم تغتسل فتوضأ إن كان لك ماء وإلا فميمم، وإذا أردت أن تعاود فتوضأ بينهما وضوءاً، وإذا أردت أن تنام وأنت جنب فتوضأ وإن لم تكن جنباً فلا تنم إلا على طهارة، وإذا أردت أن تأكل أو تشرب وأنت جنب فتوضأ، وإياك والتضمخ بالخلوق فإن الله لا يقبل صلاة أحد وعلى جسده شيء من خلوق، وثبت أن الملائكة لا تقربه ولا تقرب الجنب إلا أن يتوضأ، كما أنه قد ثبت أن الملائكة لا تقرب جيفة الكافر، فإياك أن تنزل نفسك بترك الوضوء في الجنابة منزلة جيفة الكافر في بعد الملك منك فإنهم المطهرون بشهادة الله في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ لَقَوْمٌ كَرِيمٌ ﴾ (٧٧) في كِتَابِ مَكُونٍ (٧٨) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) [الواقعة] يعني بالكتاب المكنون الذي هو ﴿ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴾ (١٢) مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كَرَامٍ بَرَرَةٍ (١٦) [عبس]. وإياك والغدر وهو أن تعطي أحداً عهداً ثم تغدر به فإن رسول الله قبل إسلام المغيرة وما قبل غدرته بصاحبه مع كون صاحبه كافراً فكيف حال من يغدر بمؤمن؟ فإن الله قد أوعد على ذلك الوعد الشديد، وليس من مكارم الأخلاق ولا ممّا أباحتها الشريعة. إياك وعقوق الوالدين إن أدركتهما، فأشقى الناس من أدرك والديه ودخل النار قال: ﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُمٌّ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ (٢٣) وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤] وقال في الوالدين إذا كانا كافرين: ﴿ وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ [القمان: ١٥] وقال: ﴿ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ﴾ [القمان: ١٤] ورجح الأم وقدمها في

الإحسان والبرّ على أبيك، ثبت أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: «مَنْ أُبْرُ؟ قَالَ لَهُ: أُمَّكَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: مَنْ أُبْرُ؟ قَالَ: أُمَّكَ ثَلَاثَ مَرَاتٍ ثُمَّ قَالَ فِي الرَّابِعَةِ: مَنْ أُبْرُ؟ قَالَ: أُمَّكَ ثُمَّ أَبَاكَ» فقدم الأمّ على الأب في البرّ وهو الإحسان، كما قدم الجار الأقرب على الأبعد، ولكل حق وإن لم يكن لك أمّ وكانت لك خالة فبرّها فإنها بمنزلة الأم فإن النبي ﷺ أوصى ببرّ الخالة. يا أخي وما أوصيتك في هذه الوصية بشيء أستنبطه من نفسي فإني لا أحكم على الله بأمر في حق أحد فما أوصيتك في هذه الوصية إلا بما أوصاك به الله تعالى أو رسوله ﷺ إما معيماً فأذكره على التعيين وإما مجملاً فأفصله لك غير ذلك ما أقول به. وإياك يا أخي أن تزكي على الله أحداً فإن الله قد نهاك عن ذلك في قوله: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي أمثالكم ﴿هُوَ أَغْلَبُ بَيْنَ أُمَّتِي﴾ [النجم: ٣٢] ولكن قل أحسبه كذا أو أظنه كذا كما أمرك به رسول الله ﷺ قال: «وَلَا أَرْكِي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا» فإنه من الأدب مع الله عدم التحكم عليه في خلقه إلا بتعريفه وإعلامه وما هذا من قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشمس: ٩] فإن ذلك تحلية النفس وتطهيرها من مذام الأخلاق إتيان مكارمها.

واعلم أن الإيمان بضع وسبعون شعبة أدناها إمطة الأذى عن الطريق وأعلاها لا إله إلا الله وما بينهما هو على قسمين من الله عمل وترك أي مأمور به ومنهي عنه، فالمنهي عنه هو الذي يتعلق به الترك وهو قوله لا تفعل، والمأمور به هو الذي يتعلق به العمل وهو قوله افعل: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧] وقال ﷺ: «مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» وأطلق ولم يقيد. وقال في الأمر: «وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ» فهذا من رحمته بأمته وهو لا ينطق عن الهوى، فهذا من رحمة الله تعالى بعباده، وأمر بما وجب به الإيمان على نوعين: فرض ومندوب، والنهي على قسمين: نهي حظر ونهي كراهة. والفرض على نوعين: فرض كفاية وفرض عين، وكذلك الواجب أقول فيه واجب موسع وواجب مضيق، فالواجب الموسع موسع بالزمان وموسع بالتخيير وهو الواجب المخير مثل كفارة المتمتع وإتيان ما يؤتى من هذا كله وترك ما يترك من هذا كله هو الإيمان الذي فيه سعادة العباد، فالبضع والسبعون من الإيمان هو الفرض منه من عمل وترك، وأما غير الفرض كالمندوبات والمكروهات فيكاد لا ينحصر عند أحد فابحث عليها في الكتاب والسنة. فمن شعب الإيمان: الشهادة بالتوحيد وبالرسالة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والوضوء والغسل من الجنابة والغسل يوم الجمعة والصبر والشكر والورع والحياء والأمان والنصيحة وطاعة أولي الأمر والذكر وكف الأذى وأداء الأمانة ونصرة المظلوم وترك الظلم وترك الاحتقار وترك الغيبة وترك النميمة وترك التجسس والاستئذان وغض البصر والاعتبار وسماع الأحسن من القول واتباعه والدفع بالتي هي أحسن وترك الجهر بالسوء من القول والكلمة الطيبة وحفظ الفرج وحفظ اللسان والتوبة والتوكل والخشوع وترك اللغو والإشتغال بما يعني وترك ما لا يعني، وحفظ العهد والوفاء بالعقود والتعاون على البر والتقوى وترك التعاون على الإثم والعدوان، والتقوى والبرّ والقنوت والصدق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

وإصلاح ذات البين وترك إفساد ذات البين وخفض الجناح واللين وبرّ الوالدين وترك العقوق والدعاء والرحمة بالخلق وتوقير الكبير ومعرفة شرفه ورحمة الصغير، والقيام بحدود الله وترك دعوى الجاهلية فإن النبي ﷺ يقول: «دَعْوُهَا فَإِنَّهَا مُتَنَبِّئَةٌ» والتوّدّد والحب في الله والبغض في الله والتؤدّة والحلم والعفاف والبذاذة وترك التدابر وترك التحاسد وترك التباغض وترك التناجش وترك شهادة الزور وترك قول الزور وترك الهمز واللمز والغمز وشهود الجماعات، وإفشاء السلام والتهادي وحسن الخلق والسمت الصالح وحسن العهد وحفظ السرّ والنكاح والإنكاح وحب الفأل وحب أهل البيت وترك الطيرة وحب النساء وحب الطيب وحب الأنصار، وتعظيم الشعائر وتعظيم حرّامات الله، وترك الغش وترك حمل السلاح على المؤمن، وتجهيز الميت والصلاة على الجنائز وعبادة المريض وإماطة الأذى، وأن تحب لكل مؤمن ما تحب لنفسك، وأن يكون الله ورسوله أحب إليك ممّا سواهما، وأن تكره أن تعود في الكفر، وأن تؤمن بملائكة الله وكتبه ورسوله وبكل ما جاءت به الرسل من عند الله إلى ما لا يحصى كثرة يأتي إن شاء الله من ذلك في هذه الوصية ما يذكرني الله به ويجريه على خاطري وقلمي، ومن تتبع كتاب الله وحديث رسوله ﷺ يجد ما ذكرناه وزيادة ممّا لم نذكره، وكلما ورد فله أوقات تخصه وأمكنة ومحال وأحوال، والجامع للخير كله في ذلك أن تنوي في جميع ما تعمله أو تتركه القربة إلى الله بذلك العمل أو الترك وإن فاتتك النية فاتك الخير كله فكثير ما بين تارك بنية القربة إلى الله من حيث إن الله أمره بترك ذلك وبين تارك له بغير هذه النية، وكذلك في العمل ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ﴾ [البينة: ٥] والإخلاص هي النية والعبادة عمل وترك، والإخلاص مأمور به شرعاً.

وصية: إذا كنت إمام قوم فدعوت فلا تخص نفسك بالدعاء دونهم فإنك إن فعلت ذلك فقد خنتهم، وفيه من مذام الأخلاق بتبخيل الحق وتحجير الرحمة التي وسعت كل شيء وإيثار نفسك على غيرك، وإن الله ما مدح في القرآن إلا من أثر على نفسه؛ سمع رسول الله ﷺ رجلاً من الأعراب يقول: اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً، فقال رسول الله ﷺ: «لَقَدْ حَجَرَ هَذَا وَاسِعاً» يريد قوله تعالى: ﴿وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] والذي أوصيك به إياك أن تصلي وأنت حاقن حتى تخفف، وإذا حضر الطعام وأقيمت الصلاة فابدأ بالطعام ثم تصلي بعد ذلك إن كنت ممن يتناول بعد الصلاة فحينئذ تفعل ذلك وارغب في دعاء الوالدين ودعاء المسافرين، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب، وعليك بالاستحداد وهو حلق العانة وتقليم الأظفار ونتف الإبط وقص الشارب وإعفاء اللحية وردّ السلام وتشميت العاطس وإجابة الداعي وعليك بالعدل في أمورك كلها والمحافظة على عبادة الله، وكسر الشهوتين وتعاهد المساجد للصلاة والبكاء من خشية الله والاعتصام بحبل الله، وعليك بمحباب الله ومراضيه فاتبعها فمناها تعاهد المساجد، وعليك بصيام داود عليه السلام فهو أحب الصيام إلى الله وأفضله وأعدله وهو صيام يوم وفطر يوم وقد ذكرنا ما يختص من الأسرار والفوائد بالصوم في باب الصوم من هذا الكتاب، وكذلك في الطهارة والصلاة والزكاة

والحج فلتنظر هناك، وأحب الصلاة إلى الله بالليل صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وذلك هو التهجد، وإن كان لك ولد فسمه عبد الله أو عبد الرحمن وكنه أبا محمد أو سمّه محمداً وكنّه بأبي عبد الله أو أبي عبد الرحمن، وإذا عملت عملاً من الخير فداوم عليه وإن قلّ فهو أفضل فإن الله لا يملّ حتى تملوا، فإن في قطع العمل وعدم المداومة عليه قطع الوصل مع الله، فإن العبد لا يعمل عملاً إلا بنية القربة إلى الله وحينئذ يكون عملاً مشروعاً فمتى تركه فقد ترك القربة إلى الله، ومن أراد أنه لا يزال في حال قربة من الله دائماً فعليه بالحضور الدائم مع الله في جميع أفعاله وتروكه، فلا تعمل عملاً إلا وهو به مؤمن بما لله فيه من الحكم، ولا يترك عملاً إلا وهو مؤمن بما في تركه من الحكم لله، فإذا كان هذا حاله فلا يزال في كل نفس مع الله، وهو الذي يحرم ما حرم الله ويحلّ ما أحلّ الله ويكره ما كره الله ويبيح ما أباح الله فهو مع الله في كل حال. واحذر من الإلحاد في آيات الله ومن الإلحاد في حرم الله إن كنت فيه، والإلحاد الميل عن الحق شرعاً ولذلك قال: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَاكِ﴾ [الحج: ٢٥] فذكر الظلم. وعليك بأفضل الصدقات، وأفضل الصدقات ما كان عن ظهر غنى، ومعنى عن ظهر غنى أن تستغني بالله عن ذلك الذي تعطيه وتصدق به وإن كنت محتاجاً إليه فإن الله مدح قوماً فقال: ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩] وذلك أنهم لم يؤثروا على أنفسهم مع الخصاصة حتى استغنوا بالله، فإن نزلت عن هذه الدرجة فلتكن صدقتك بحيث أن لا تتبعها نفسك فلتغن أولاً نفسك بأن تطعمها فإذا استغنت عن الفاضل فتصدق بالفضل فإنك ما تصدقت إلا بما استغنيت عنه، وتلك هي الصدقة عن ظهر غنى في حق هذا، والأول أفضل. وعليك بصيام رجب وشعبان وإن قدرت على صومهما على التمام فافعل فإنه ورد: «أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ صِيَامُ شَهْرِ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ» وهو رجب فإنه يقال له شهر الله هذا الاسم له دون الأشهر كلها، وكان رسول الله ﷺ يكثّر صوم شعبان، يقول الراوي: ربما صامه كله وحافظ على صوم سرره ولا يفوتنك إن فاتك صومه. وأفطر السادس عشر من شعبان ولا بدّ حتى تخرج من الخلاف فإنه أولى فإن فطره جائز بلا خلاف وصومه فيه خلاف فإن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا انْتَصَفَ شَعْبَانُ فَأَمْسِكُوا عَنِ الصَّوْمِ». وعليك بقول الحق في مجلس من يخاف ويرجى من الملوك ولا يعظم عندك على الحق شيء إلا ما أمرك الله بتعظيمه، وعليك بعمل البر في يوم النحر فإنه أعظم الأيام عند الله، ورد في ذلك خبر نبوي كثر فيه من ذكر الله ومن الصدقة، وكل فعل فيه لله رضى وتقدر عليه في هذا اليوم فلا تتخلف عنه فإنه أفضل من يوم عرفة ويوم عاشوراء وفيه خير كما قلنا أعط كل ذي حق حقه حتى الحق أعطه حقه، ولا ترى أن لك على أحد حقاً فتطلبه منه، فانصف من نفسك ولا تطلب النصف من غيرك، واقبل العذر ممّن اعتذر إليك، وإياك والاعتذار فإن فيه سوء الظن منك بمن اعتذرت إليه، فإن علمت أن في اعتذارك إليه خيراً له وصلاً في دينه فاعتذر إليه في حقّه من غير سوء ظن به بل قضاء حق له تعين عليك وأحقّ الحقوق حق الله.

وصية: وعليك بكثرة الدعاء في حال السجود فإنك في أقرب قربة إلى الله لما ثبت من

قوله ﷺ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ» فأكثرُوا الدعاء ولا قرب أقرب من قرب السجود، ولا دعاء إلا في القرب من الله، فإذا دعوت في السجود فادع في دوام الحال الذي أوجب لك القرب المطلوب من الله، فإنك تعلم أنه قريب من خلقه وهو معهم أينما كانوا، والمطلوب أن يكون العبد قريباً من الله وأن يكون مع الله في أي شأن يكون الله فيه، فإن الشؤون لله كالأحوال للخلق بل هي عين أحوال الخلق التي هم فيها، وعليك بصلة أهل وِدِّ أبيك بعد موته فإن ذلك من أبرِّ البرِّ، ورد في الحديث: «إِنَّ مِنْ أَبْرِّ الْبِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ» وأن ذلك من أحب الأعمال إلى الله وهو الإحسان إليهم، والتوَدُّدُ بالسلام والخدمة وبما تصل إليه يدك من الراحة والسعي في قضاء حوائجهم، وعليك بالتلطف بالأهل والقربة، ولا تعامل أحداً من خلق الله إلا بأحَبِّ المعاملة إليه ما لم تسخط الله فإن أرضاه ما يسخط الله فأرض الله. وابدأ بالسلام على من عرفت ومن لم تعرف، فإن عرفت من الذي تلقاه أنه يسلم عليك فاتركه يبدأ بالسلام ثم تردّ عليه فيحصل لك أجر الوجوب، فإن ردّ السلام واجب والابتداء به مندوب إليه، وأحب ما يتقرب به إلى الله ما افترضه على خلقه، وإذا علمت من شخص أنه يكره سلامك عليه وربما تؤديه تلك الكراهة إلى أنه لو سلمت عليه لم يرد عليك فلا تسلم عليه ابتداءً إيثاراً له على نفسك وشفقة عليه فإنك تحول بينه وبين وقوعه في المعصية إذا لم يرد عليك السلام، فإنه يترك أمر الله الواجب عليه، ومن الإيمان الشفقة على خلق الله فهذه النية اترك السلام عليه، وإن علمت من دينه أنه يرد السلام عليك فسلم عليه وإن كره، واجهر بالسلام عليه وابدأ به فإنك تدخل عليه ثواباً ببرد السلام وتسقط من كراهته فيك بسلامك عليه بقدر إيمانه ونفسه الصالحة إن كان ممّن جبل على خلق حسن، وعليك بالنظر إلى من هو دونك في الدنيا ولا تنظر إلى أهل الثروة والامتساع خوفاً من الفتنة فإن الدنيا حلوة خضرة محبوبة لكل نفس فإن النعيم محبوب للنفوس طبعاً، ولولا النعيم الذي يجده الزاهد في زهده ما زهد والطائع في طاعته ما أطاع، فإن أخوف ما خافه رسول الله ﷺ علينا ما يخرج الله لنا من زهرة الدنيا قال الله تعالى لنبيه: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾ [الحجر: ٨٨] زهرة الحياة الدنيا لفتنتهم فيه، ثم حَبِّبْ إليه رزق ربه الذي هو خير وأبقى وهو الحال الذي هو عليه في ذلك الوقت هو رزق ربه الذي رزقه فإنه تعالى لا يهتم في إعطائه الأصلح لعبده، فما أعطاه إلا ما هو خير في حقه وأسعد عند الله وإن قلّ فإنه ربما لو أعطاه ما يتمناه لعبد طغى وحال بينه وبين سعاده فإن الدنيا دار فتنة. وإذا كان لأحد عندك دين وقضيته فأحسن القضاء وزده في الوزن وارجح تكن بهذا الفعل من خير عباد الله بإخبار رسول الله ﷺ فهو من السنة وهو الكرم الخفي اللاحق بصدقة السر فإن المعطى إياه لا يشعر بأنه صدقة وهو عند الله صدقة سرّ في علانية ويورث ذلك محبة ووداً في نفس الذي أعطيته وتخفي نعمتك عليه في ذلك، ففي حسن القضاء فوائد جمّة وعليك يا أخي بالذّب والدفع عن أخيك المؤمن عن عرضه ونفسه وماله وعن عشيرتك بما لا تأثم به عند الله، فلا تبرح من يدك ميزان مراعاة حق الله في جميع تصرفاتك، ولا تتبع هواك في شيء يسخط الله فإنك لا تجد

صاحباً إلا الله فلا تفرط في حقّه وحقّه أحقّ الحقوق وأوجبها علينا، كما ثبت حق الله أحق أن يقضى، وإن عزمت على نكاح فاجهد في نكاح القرشيات، وإن قدرت على نكاح من هي من أهل البيت فأعظم وأعظم فإنه قد ثبت أنه خير نساء ركب الإبل نساء قريش، وعاشرهن بالمعروف واتفق الله فيهن، وأحقّ الشروط ما استحلتت به فروجهن وأحسن إليهن في كل شيء، وإياك أن تعذب ذا روح إذا كان في يدك حتى الأضحية إذا ذبحتها فحد الشفرة وأسرع وأرح ذبيحتك وادفع الألم عن كل من يتألم جهد استطاعتك كان ما كان الألم الحسي من كل حيوان وإنسان ومن النفسي ما تعلم أنه يرضي الله، واعلم أنه ممّا يرضي الله ما أباحه لك أن تفعله. وإذا رأيت أنصارياً من بني النجار فقدمه على غيره من الأنصار مع حبك جميعهم، وعليك بأحسن الحديث وهو كتاب الله فلا تنزل تالياً إياه بتدبر وتفكر عسى الله أن يرزقك الفهم عنه فيما تتلوه، وعلم القرآن تكن نائب الرحمن فإن ﴿الرَّحْمَنُ﴾ ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ ﴿يَخْلُقُ الْإِنْسَانَ﴾ ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ ﴿الرَّحْمَنُ﴾ وهو القرآن فإنه قال فيه: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾ وهو القرآن ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨] فعلم القرآن قبل الإنسان أنه إذا خلق الإنسان لا ينزل إلا عليه وكذلك كان فإنه نزل به الروح الأمين على قلب محمد ﷺ وهو ينزل على كل قلب تال في حال تلاوته فنزوله لا يبرح دائماً، فعلم الله القرآن كما علم الإنسان القرآن فخيركم من علم القرآن وعلمه واتفق شخّ الطبيعة فإن المفلح عند الله من يوق شخّ نفسه، وكن شجاعاً مقداماً على إتيان العزائم التي شرع الله لك أن تأتيها فتكن من أولي العزم، ولا تكن جباناً فإن الله أمرك بالاستعانة به في ذلك، وإذ كان الله المعين فلا تبال فإنه لا يقاومه شيء بل هو القادر على كل شيء فما ثم مع الإعانة الإلهية قوة تقاوي قوة الحق فإن الله يقول فيمن سأله الإعانة: «ولعبي ما سألت» في الخبر الصحيح: «فإذا قال العبد: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يقول الله هذه الآية بيني وبين عبدي ولعبي ما سألت، وإذا قال: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ إلى آخر السورة وهدايته من معونته يقول الله: هؤلاء لعبي ولعبي ما سألت». وخبره صدق وقد قال: «ولعبي ما سألت» فلا بد من إعانته، ولكن هنا شرط لا يغفل عنه العالم إذا تلى مثل هذا لا يتلوه حكاية فإن ذلك لا ينفعه فيما ذهبنا إليه وفيما أريد له، وإنما الله تعالى ما شرع له أن يقرأ القرآن ويذكره بهذا الذكر إلا ليعلمه كيف يذكره، فيذكره. ذكر طلب واضطرار وافتقار وحضور في طلبه من ربه ما شرع له أن يطلبه، فذلك هو الذي يجيبه الحق إذا سأله، فإن تلى حكاية فما هو سائل وإذا لم يسأل وحكى السؤال فإن الحق لا يجيب من هذه صفتة، ولا جزم أن التالين الغالب عليهم الحكاية لأنه لا ثمرة عندهم فهم يقرؤون القرآن بألسنتهم لا يجاوز تراقيهم وقلوبهم لاهية في حال التلاوة وفي حال سماعه. فإذا رأيت من يقدم على الشدائد في حق الله فاعلم أنه مؤمن صادق، وإذا رأيت قوي العزم في دين الله وفي غير دين الله فيعلم أنه قوي النفس لا قوي الإيمان بالأصالة، فإن المؤمن هو القوي في حق الله خاصة الضعيف في حق الهوى لا يساعد هواه في شيء إذا جاءه الهوى النفسي يطلب منه أن يعينه في أمر ما يريه من الضعف والخوف ما يقطع به يأسه منه فينتقم

الهُوى إذ لا يجد معونة من قبول المؤمن عليه فيعصم جوارحه من إمضاء ما دعاه إليه الهوى وسلطانة، فإذا جاءه وارد الإيمان وجد عنده من القوة والمساعدة بالله ما لا يقاومه شيء. فإن الله هو المعين له، فإن الإنسان خلق هلوياً من حيث إنسانيته، وأن المؤمن له الشجاعة والإقدام من حيث ما هو مؤمن كما حكى عن بعض الصحابة وأظنه عمرو بن العاص: «أن رسول الله ﷺ أخبره أنه لا بد له أن يلي مصر» فحضر في حصار بلد فقال لأصحابه: اجعلوني في كفة المنجنيق وارموا بي إليهم فإذا حصلت عندهم قالت حتى أفتح لكم باب الحصن فقبل له في ذلك فقال: إن رسول الله ﷺ ذكر لي أنني ألي مصر وإلى الآن ما وليتها ولا أموت حتى أليها، فهذا من قوة الإيمان، فإن العادة تعطي في كل إنسان أن شخصاً إذا رمي في كفة المنجنيق أنه يموت فالمؤمن أقوى الناس جأشاً. ومن أسمائه تعالى المؤمن وقد ورد أن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً من كونه مؤمناً، فالمؤمن المخلوق يستعين بالمؤمن الخالق فيشد منه ويقوي ما ضعف عنه من كونه مخلوقاً، فإن الله خلقه من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة فهي إشارة، وذلك إن كانت قوة الشباب تفسيراً فهي قوة الإيمان بما أمر من الإيمان به تنبيهاً فاعلم.

وصية: كن فقيراً من الله كما أنت فقير إليه فهو مثل قوله ﷺ: «وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ» ومعنى فقرك من الله أن لا يشم منك رائحة من روائح الربوبية بل العبودية المحضة، كما أنه ليس في جناب الحق شيء من العبودية ويستحيل ذلك عليه فهو رب محض فكن أنت عبداً محضاً، فكن مع الله بقيمتك لا بعينك، فإن عينك عليه روائح الربوبية بما خلقك عليه من الصورة بالدعوى وقيمتك ليست كذلك، بهذا أوصاني شياخي وأستاذي أبو العباس العريبي رحمه الله، فلقيمتك التصرف بالحال لا بالدعوى فكن أنت كذلك، فمتى قالت لك نفسك كن غنياً بالله فقد أمرتك بالسيادة فقل لها أنا فقير إلى الله وإلى ما أفقرني الله إليه فإن الله أفقرني إلى الملح أن يكون في عجبني.

وصية: عليك بالرباط فإنه من أفضل أحوال المؤمن، فكل إنسان إذا مات يختم على عمله إلا المرابط فإنه ينمى له إلى يوم القيامة ويأمن القبر ثبت هذا عن رسول الله ﷺ والرباط أن يلزم الإنسان نفسه دائماً من غير حد ينتهي إليه أو يجعله في نفسه، فإذا ربط نفسه بهذا الأمر فهو مرابط، والرباط في الخير كله ما يختص به خير من خير فالكل سبيل الله فإن سبيل الله ما شرعه الله لعباده أن يعملوا به، فما يختص بملازمة الثغور فقط ولا بالجهاد فإن رسول الله ﷺ قال في انتظار الصلاة بعد الصلاة: «إِنَّهُ رِبَاطٌ»، والله يقول في كتابه للمؤمنين: ﴿أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] يعني في ذلك كله أي اجعلوه وقاية تقوا به هذه العزائم، وذلك معونته في قوله: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ١٥٣] ﴿أَسْتَعِينُوا بِاللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٢٨] وقوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] فهذا معنى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] أي تكون لكم النجاة من مشقة الصبر والرباط.

وبنبغي لك إذا ناجيت رسول الله ﷺ وذلك زمان قراءتك الأحاديث المروية عنه ﷺ أن

تقدم بين يدي نجواك صدقة أي صدقة كانت فإن ذلك خير لك وأظهر بهذا أمرت، فإن الصدقات التي نصّ الشرع عليها كثيرة ولذلك ورد أنه يصبح على كل سلامي منا صدقة في كل يوم تطلع فيه الشمس، ثم أخبر ﷺ أن كل تهليلة صدقة وكل تكبيرة صدقة وكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وأمر بمعروف صدقة ونهي عن منكر صدقة، فانظر حالك عندما تريد قراءة الحديث النبوي فهي التي بقيت في العامة من مناجاة الرسول، فالذي يعين لك حالك عند ذلك من الصدقات تقدمها بين يدي قراءتك الحديث كانت ما كانت، فقد أوسع الله عليك في ذلك فلم يبق لك عذر في التخلف بعد أن أعلمك ﷺ بأنواع الصدقات فقدم منها بين يدي نجواك ما أعطاه حالك بلغ ما بلغ وحينئذٍ تشرع في قراءة الحديث النبوي. وإياك أن تحشر يوم القيامة مع المصوّرين الذين يصوّرون ذوات الأرواح من الحيوانات فإنك إن صورت صورة من صور الحيوانات تبعها روحها من عند الله من حيث لا تشعر بذلك في الدنيا، فإذا كان في الآخرة يجعل الله لكل مصوّر في النار بكل صورة صورة نفساً تعذبه في نار جهنم، فإن الخلق من اختصاص الله فمن نازعه في خلقه فإنه يعذبه بما خلق من ذلك والخلق لله لا إليه إذ لم يكن بإذن الله كخلق عيسى عليه السلام الطير من الطين بإذن الله ونفخ فيه الروح بإذن الله، فلو أذن الله للمصوّر في ذلك لكان طاعة فعل ذلك، فأعلم أن كل نفس بما كسبت رهينة.

وصية: واحذر أن تكفر أحداً من أهل القبلة بذنب فقد ثبت أنه من قال لأخيه كافر فقد باء به أحدهما إن كان كما قال وإلا رجعت عليه، ومعنى الرجوع عليه أنه هو الكافر فإنه من كفر مسلماً لإسلامه فهو كافر يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ﴾ فقال الله تعالى فيهم: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ﴾ [البقرة: ١٣] والسفيه هو الضعيف الرأي، يقولون إنهم ما آمنوا إلا لضعف رأيهم وعقلهم فجاز ذلك عليهم لقول الله: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ﴾ أي هم الذين ضعفت آراؤهم، فحال ذلك الضعف بينهم وبين الإيمان ﴿وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٣] فتحفظ من الكلام القبيح وهو أن تنسب صفة مذمومة لأخيك المؤمن وإن كانت فيه لا في حضوره ولا في غيبته، فإنك إن واجهته بذلك فقد عبرته، فما تأمن أن يعافيه الله من تلك الصفة وبتبليك بها وقد ورد: ﴿لَا تُظْهِرِ السَّمَاتَةَ بِأَخِيكَ فَيَعَافِيَهُ اللَّهُ وَيَبْتَلِيكَ﴾ وإن كان غائباً فهي غيبة وقد نهاك الله عن الغيبة فإنك إذا ذكرته بأمر هو فيه ممّا يسوءه لو قابلته به فقد اغتبتته، وإن نسبت إليه من القبيح ما ليس فيه فذلك البهتان، ولا بد أن تجني ثمرة غرسك إلا أن يعفو الله بإرضاء الخصم، وأن يعود عليك وبال ما نسبته إلى أخيك المؤمن بما ليس هو عليه، وكذلك خداع المؤمن فلا تكن ممن يخادع الله فإنك إن اعتقدت ذلك كنت من الجاهلين بالله حيث تخيلت أنك تلبس على الحق وأن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْكُمُ فَاصْبِرْتُمْ مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٢].
 ٢٢٣. وإن خادعت المؤمن فما تخادع إلا نفسك كما قال تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ اللَّهَ إِنَّمَا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩] في خداعهم ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فإنهم مؤمنون

أيضاً ﴿بِالْبَاطِلِ﴾ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٢] فوصفهم بالإيمان بالباطل. وقال في حديث الأنواء فيمن قال مطرنا بنوء كذا إنه كافر بي مؤمن بالكوكب فهذا قوله: ﴿يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ﴾ في خداعهم الذين آمنوا، وأما في خداعهم الله فإن الله هو خادعهم بخداعهم أي هو خداع الله بهم لكونهم اعتقدوا أنهم يخادعون الله، فإياك والجهل فإنه أقبح صفة يتصف بها الإنسان، فإن كنت يا وليّ ذا زوجة فأوصها بل لا تتركها ولا أختاً ولا بنتاً ولا أي امرأة كانت ممّن تحكم عليهم أو تعلم أنها تسمع منك فانصحها كانت من كانت أن لا تستعطر إذا خرجت يطيب يكون له ريح فإنه قد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ عَلَيَّ قَوْمٌ لِيَجِدُوا رِيحَهَا فِيَّ زَانِيَةً» وقد ورد مقيداً في ذلك: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ أَصَابَتْ بِخُورٍ فَلَا تَشْهَدْ مَعَنَا الْعِشَاءَ الْأَخِيرَةَ» وذلك لأن الليل آفاته كثيرة والظلمة ساترة وما تدري إذا أصاب الرجل ريحها الطيب في طريق المسجد ما يلقي منه إذا لم يتق الله فلماذا نهاها رسول الله ﷺ عن شهود العشاء الآخرة. وبالجملة فلا ينبغي للمرأة أن تخرج بطيب له رائحة في ليل ولا في نهار.

وإياك والاستهزاء والسخرية بأهل الله استهزاء بدين الله ولا تتخذهم ضحكة فإن وبال ذلك يعود عليك يوم القيامة فيسخر الله منك ويستهزئ بك وهو أن يريك بالفعل ما فعلته أنت هنا أعني في الدنيا بالمؤمن إذا لقيته تقول: أنا معك على طريق الهزء به والسخرية منه، فإذا كان يوم القيامة يجازيك الله عدلاً بقدر ما تراءيت به للمؤمنين من الإقبال عليهم والإيمان بما هم عليه أهل الله عز وجل، وقد رأينا على ذلك جماعة من المدرسين الفقهاء يسخرون بأهل الله المنتمين إلى الله المخبرين عن الله بقلوبهم ما يرد عليهم من الله فيها فيأمر من هذه صفته إلى الجنة حتى ينظر إلى ما فيها من الخير فيسرون كما يسر أهل الله في حال استهزائهم بهم ويتخيلون أنهم صادقون فيما يظهرون به إليهم. فإذا وفي الله جزاء عملهم وانفجرت لهم الجنة بخيرها أمر الله بهم أن يصرفوا عنها إلى النار فتصرفهم الملائكة إلى النار فذلك استهزاء الله بهم، كما أن هؤلاء المنافقين لما رجعوا إلى أهلهم قالوا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ﴾ [البقرة: ١١٤] وقال: ﴿سَخِرُوا مِنْهُ﴾ [هود: ٣٨] ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ [المطففين: ٣٤] كما كانوا في الدنيا يضحكون من المؤمنين لإيمانهم، وكذلك بعض المؤمنين يضحكون من أهل الله في الدنيا ولا سيما الفقهاء إذا رأوا العامة على الاستقامة يتحدثون بما أنعم الله عليهم في بواطنهم يضحكون منهم ويظهرون لهم القبول عليهم وهم في بواطنهم على خلاف ذلك، فلا أقل يا أخي إذا لم يكن منهم أن تسلم لهم أحوالهم فإنك ما رأيت منهم ما ينكره دين الله ولا ما يرد العلم الصحيح النقلي والعقلي ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ [٢٩] وإذا مروا بهم يتغامزون [المطففين: ٢٩-٣٠] هكذا والله رأيت فقهاء الزمان مع أهل الله يتغامزون عليهم ويضحكون منهم ويظهرون القبول عليهم وهم على غير ذلك، فاحذر من هذه الصفة ومن صحبة من هذه صفته لئلا يسرقك الطبع، فما أعظم حسرتهم يوم القيامة فهم ﴿الَّذِينَ

أَشْرَوْا الصَّلَاةَ بِالْهُدَى وَالْعَدَابَ بِالْمَغْفِرَةِ ﴿ [البقرة: ١٧٥] ﴾ وَالْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ﴿ [البقرة: ٨٦] ﴾ فَمَا رِيحَتْ جَنَّتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿ [البقرة: ١٦] .

وصية: واحذر يا أخي أن تكون من شرار الناس فيتقي الناس لسانك فإن من شرار الناس الذين يكرمون اتقاء ألسنتهم وأنت أعرف بنفسك في ذلك: أقبل رجل على رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ فيه قبل أن يصل إليه وقد رآه مقبلاً: «بئس ابن العشيرة» فلما وصل إليه بشَّ في وجهه وضحك له فلما انصرف قالت له عائشة: يا رسول الله قلت فيه ما قلت ثم بششت في وجهه فقال: «يا عائشة إن من شرِّ الناس من أكرمه النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ» فاحذر أن تكون ممن هذه صفتهم فتكون من شرِّ الناس بشهادة رسول الله ﷺ، وإن كانت لك زوجة فإياك إذا أفضيت إليها وكان بينك وبينها ما كان أن تنشر سرها فإن ذلك من الكبائر عند الله فإنه ثبت عن رسول الله ﷺ: «إن من شرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِي يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا» فذلك من الكبائر. وإياك أن تسبَّ أبا أحد أو أمه فيسبَّ أباك وأمك فإن ذلك من العقوق، وكذلك إذا جالست مشركاً فلا تسبَّ من اتخذه إلهاً مع الله، وإذا جالست من تعرف أنه يقع في الصحابة من الروافض فلا تتعرض ولا تعرض بذكر أحد من الصحابة التي تعلم أن جليست يقع فيهم بشيء من الثناء عليهم فإن لجاحه يجعله يقع فيهم فتكون أنت قد عرضتهم بذكرك إياهم للوقوع فيهم، يقول الله: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨] ونهى رسول الله ﷺ عن شتم الرجل والديه فقيل له: يا رسول الله وكيف يشتم الرجل والديه؟ فقال ﷺ: «يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ» وإن من الكبائر استطالة الرجل في عرض رجل مسلم بغير حق، هذا هو الثابت عن رسول الله ﷺ، وعليك بشهود العتمة والصبح في جماعة فإنه من شهد العشاء في جماعة فكأنما قام نصف ليله، ومن شهد الصبح في جماعة فكأنما قام ليله، وعليك بالشفقة على عباد الله مطلقاً بل على كل حيوان فإنه في كل ذي كبد رطبة أجر عند الله تعالى.

وصية: احذر أن ترجح نظرك على علم الله في خلقه بمن قدمه من الولاية في النظر في أمور المسلمين وإن جاروا فإن الله فيهم سراً لا تعرفه، وأن ما يدفع الله بهم من الشرور ويحصل بهم من المصالح أكثر من جورهم إن جاروا، وهذا كثير ما يقع فيه الناس يرجحون نظرهم على ما فعل الله في خلقه، ويأتيهم الشيطان فيعلق تسفيهم بالذين ولوه ويحول بينهم وبين الصحيح من كون الله ولاهم وينسيهم أمر النبي ﷺ: «أَنْ لَا تُخْرِجَ يَدًا مِنْ طَاعَةِ وَأَنْ لَا تُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ فَيَدْخُلَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ» من التأويل في هذه الأحاديث وأمثالها بما يخرجهم بذلك من الإسلام وينسيهم قوله ﷺ: «فَإِنْ جَارُوا فَلَكُمْ وَعَلَيْهِمْ وَإِنْ عَدَلُوا فَلَكُمْ وَلَهُمْ» وأن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن لو لم يكن في هذه المسألة إلا اعتراض الملائكة على الله تعالى في خلافة آدم عليه السلام لكان كافياً، وقد جعل رسول الله ﷺ من تمام الزكاة أن ينقلب المصدق وهو العامل الذي على الزكاة راضياً عنك وإن ظلمك، وهذا باب قد أغفله الناس وقد أغلقوه على أنفسهم فما يرى أحد إلا وله في ذلك نصيب ولا يعلم ما فيه عند الله،

وقد رأينا على ذلك براهين من الله كثيرة، ومتى ذممت ولا بدّ ذمّ الصفة بذمّ الله، ولا تذمّ الموصوف بها إن نصحت نفسك، ومتى حمدت فاحمد الصفة والموصوف معاً، فإن الله يحمدك على ذلك .

وصية: أوصيت بها في مبشرة أريتها سمعتها من كلام الله تعالى بلا واسطة في البقعة المباركة التي كلم الله فيها موسى عليه السلام من بلة على قدر الكف كلاماً لا يكيف ولا يشبه كلام مخلوق عين الكلام وهو عين الفهم من السامع، فمما فهمت منه كن سماء وحي وأرض ينبوع وجبل تسكين فإذا تحركت فلتكن حركة أحياء وسطينة بتحريك عن وحي سماوي ثم وقع في نفسي نظم فكنت أنشد: [مخلع البسيط]

جَعَلْتَ فِيّ الَّذِي جَعَلْتَا وَقُلْتَ لِي أَنْتَ قَدْ عَمِلْتَا
وَأَنْتَ تَدْرِي بِأَنْ كَوْنِي مَا فِيهِ غَيْرَ الَّذِي جَعَلْتَا
فَكُلُّ فِعْلٍ تَرَاهُ مِنِّي أَنْتَ إِلَهِي الَّذِي فَعَلْتَا

وصية: إذا قلت خيراً ودللت على خير فكن أنت أول عامل به والمخاطب بذلك الخير، وانصح نفسك فإنها أكد عليك فإن نظر الخلق إلى فعل الشخص أكثر من نظرهم إلى قوله، والاهتداء بفعله أعظم من الاهتداء بقوله، ول بعضهم في ذلك: [الكامل]

وَإِذَا الْمَقَالُ مَعَ الْفِعَالِ وَرَزْنَتُهُ رَجَحَ الْفِعَالُ وَخَفَّ كُلُّ مَقَالٍ

واجهد أن تكون ممن يهتدي بهديك فتلحق بالأنبياء ميراً فإن رسول الله ﷺ يقول: «لَأَنْ يَهْتَدِيَ بِهَذَاكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ» يقول الله تعالى في نقصان عقل من هذه صفته «أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَسَوْنَ أَكْثَرَ مِمَّا قُلْتُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ» [البقرة: ٤٤] فإذا تلى الإنسان القرآن ولا يرعوي إلى شيء منه فإنه من شرار الناس بشهادة رسول الله ﷺ فإن الرجل يقرأ القرآن والقرآن يلعنه ويلعن نفسه فيه يقرأ: «أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ» [هود: ١٨] وهو يظلم فيلعن نفسه ويقرأ: «لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ» [آل عمران: ٦١] وهو يكذب فيلعنه القرآن ويلعن نفسه في تلاوته، ويمرّ بالآية فيها ذمّ الصفة وهو موصوف بها فلا ينتهي عنها، ويمرّ بالآية فيها حمد الصفة فلا يعمل بها ولا يتصف بها فيكون القرآن حجة عليه لا له، قال ﷺ في الثابت عنه القرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبإيع نفسه فمعقتها أو موبقها، فإذا كنت يا أخي ممن يجلس مع الله بترك الأسباب فتحفظ من السؤال فلا تسأل أحداً، وإياك أن تقتدي بهؤلاء أصحاب الزنايل اليوم فإنهم من أدنى الناس همة وأخسهم قدراً عند الله وأكذبهم على الله، فإما يقين صادق وإما حرفة فيها عزّ نفسك فإن ذلك خير لك عند الله، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لَأَنْ يَخْتَزِمَ أَحَدُكُمْ حُرْمَةً مِنْ حَطْبٍ عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ رَجُلًا» وفي حديث: «أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ» فإما يقين صادق وإما شغل موافق .

وصية: عليك بإكرام الضيف فإنه قد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ» فإن كان الضيف مقيماً فثلاثة أيام حقّه عليك وما زاد فصدقة، فإن كان مجتازاً فيوم و ليلة جائزته . ولشيخنا أبي مدين في هذه المسألة حكاية عجيبة: كان

رضي الله عنه يقول بترك الأسباب التي يرتزق بها الناس وكان قوي اليقين ويدعو الناس إلى مقامه والاشتغال بالأهم فالأهم من عباد الله، فقيل له في ذلك أي في ترك الأسباب والأكل من الكسب وأنه أفضل من الأكل من غير الكسب، فقال رضي الله عنه: أستم تعلمون أن الضيف إذا نزل بقوم وجب بالنص عليهم القيام بحقه ثلاثة أيام إذا كان مقيماً؟ فقالوا نعم، فقال: فلو أن الضيف في تلك الأيام يأكل من كسبه أليس كان العار يلحق بالقوم الذين نزل بهم؟ فقالوا نعم، فقال: إن أهل الله رحلوا عن الخلق ونزلوا بالله أضيافاً عنده فهم في ضيافة الله ثلاثة أيام، وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون، فنحن نأخذ ضيافته على قدر أيامه، فإذا كملت لنا ثلاثة أيام من أيام الله من نزلنا عليه ولا نحترف ونأكل من كسبنا عند ذلك يتوجه اللوم وإقامة مثل هذه الحجة علينا. فانظر يا أخي ما أحسن نظر هذا الشيخ وما أعظم موافقته للسنة، فلقد نور الله قلب هذا الشيخ فحق الضيف واجب وهو من شعب الإيمان أعني إكرام الضيف، وكذلك من شعب الإيمان قول الخير أو الصمت عن الشر، يقول الله: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤] هذا في النجوى ومخاطبة الناس، وذكر الله أفضل القول، والتلاوة أفضل الذكر.

ومن الإيمان وشعبه اجتناب مجالس الشرب فإنه ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَتَعَدَّى عَلَى مَائِدَةٍ يُدَارُ عَلَيْهَا الْخَمْرُ» وعليك إذا عملت عملاً مشروعاً أن تحسنه فإنه من حسن عمله بلغ أمله، وحسن العمل أن تعمله كما شرع الله لك أن تعمله، وأن ترى الله تعالى في عملك إياه فإن رسول الله ﷺ فسّر الإحسان بما ذكرناه فقال في الثابت عنه: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه» وإذا أردت أن تأتي الجمعة فاغتسل لها فإن الغسل وإن كان واجباً عليك يوم الجمعة لمجرد اليوم فإنه قبل الصلاة للصلاة أفضل بلا خلاف، فإذا توضأت كما ذكرت لك في باب الوضوء من هذا الكتاب فامش إلى الجمعة، وعليك السكينة والوقار، ولا تفرق بين اثنين إلا أن ترى فرجة فتأوي إليها، وتقرب من الخطيب وأنصت لكلامه إذا خطب، ولا تمسح الحصى فإن مسح الحصى لغو، ولا تقل لمتكلم أنصت والإمام يخطب فإن ذلك من اللغو، وفرغ قلبك لما يأتي به من الذكر فإن المؤمن ينتفع بالذكرى، ولتلبس أحسن ثيابك وتمس من الطيب إن كان معك ولتهجر ما استطعت. وإن أردت الخروج من الخلاف في التهجير فتسعى إليها في أول ساعة من النهار تكن من أصحاب البدن وتدنو من الإمام ما استطعت، وإن كان لك أهل فلتجعلهم يغتسلون يوم الجمعة كما اغتسلت، وإن كنت جنباً فاغتسل غسلين: غسل الجنابة وغسل الجمعة فهو أولى، فإن لم تفعل فاغتسل للجنابة فعسى يجزيك عن غسل الجمعة، فإنه قد ثبت: «مَنْ غَسَلَ وَاغْتَسَلَ وَبَكَرَ وَابْتَكَّرَ» وعليك بالوضوء على الوضوء فإنه نور على نور، ولقيت على ذلك جماعة من الشيوخ ببلاد المغرب يتوضؤون لكل صلاة فريضة وإن كانوا على طهارة. وأما التيمم لكل فريضة فالدليل في وجوب ذلك أقوى من قياسه على الوضوء وإليه أذهب فإن نص القرآن في ذلك، ولولا أن رسول الله ﷺ شرع في الوضوء ما شرع من صلاة فريضتين

فصاعداً بوضوء واحد لكان حكم القرآن يقتضي أن يتوضأ لكل صلاة، وبالجملة فهو أحسن بلا خلاف فإن الوضوء عندنا عبادة مستقلة، وإن كان شرطاً في صحة عبادة أخرى فلا يخرج به ذلك عن أن يكون عبادة مستقلة في نفسه مراداً لعينه، وتحفظ أن تؤذي شخصاً قد صلى الصبح فإنه في ذمة الله فلا تحقر الله في ذمته، وما رأيت أحداً يدعي هذا القدر في معاملته الخلق وقد أغفله الناس، فإنه قد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ» إياك أن يتبعك الله بشيء من ذمته، وحافظ كل يوم على صلاة اثنتي عشرة ركعة فإنه قد ثبت الترغيب في ذلك عن رسول الله ﷺ، وحافظ على صلاة العصر فإنه من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله. وإذا قعدت في مسجد أو في مجلسك أو حيث كنت فاقعد على طهارة منتظراً دخول وقت الصلاة، واجعل موضع جلوسك مسجدك فإن الأرض كلها مسجد بالنص، وإن كان في المسجد المعروف في العرف كان أفضل، فإنه من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له نزلاً في الجنة كلما غدا أو راح. وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ مَشَى إِلَى بَيْتِ اللَّهِ لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ كَانَتْ خَطْوَاتِهِ إِحْدَاهُنَّ تَحُطُّ عَنْهُ خَطِيئَةً وَالْأُخْرَى تَرْفَعُ لَهُ دَرَجَةً»، وعليك من قيام الليل بما يزيل عنك اسم الغفلة، وأقل ذلك أن تقوم بعشر آيات فإنك إذا قمت بعشر آيات لم تكتب من الغافلين، هكذا ثبت عن المبلغ ﷺ عن الله، وحافظ في السنة كلها على القيام كل ليلة ولو بما ذكرت لك، ولا تهمل الدعاء في كل ليلة، واجعل من دعائك السؤال في العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة فإنك لا تدري متى تصادف ليلة القدر من سنتك، فإني قد أريتها مراراً في غير شهر رمضان فهي تدور في السنة وأكثر ما يكون في شهر رمضان، وأكثر ما تكون في ليلة وتر من الشهر وقد تكون في شفع، وقد أريتها في ليلة الثامن عشر من الشهر، وقد أريتها في العشر الوسط ومن رمضان، فإن زدت على عشر آيات في قيام الليل فأنت بحسب ما تزيد، فإن زدت إلى المائة كتبت من الذاكرين، وإن زدت إلى ألف آية كتبت من المقسطين. وعليك بصيام ستة أيام من شوال ولتجعلها من ثاني يوم من شوال متتابعات إلى أن تفرغ لتخرج بذلك من الخلاف، وإذا قضيت أيام رمضان من مرض أو سفر فاقضه متتابعاً كما أفطرته متتابعاً تخرج بذلك من الخلاف، فإن شهر رمضان متتابع الأيام في الصوم، وإن قدرت أن تشارك في فطرك صائماً أو تفطر صائماً فافعل فإن لك أجره أي مثل أجره، وعليك إن كنت مجاوراً بمكة بكثرة الطواف فإن طواف كل أسبوع يعدل عتق رقبة، فأعتق ما استطعت تلحق بأصحاب الأموال مع أجر الفقر، واجهد أن ترمي بسهم في سبيل الله، وإن تعلمت الرمي فاحذر أن تنساه فإن نسيان الرمي بعد العلم به من الكبائر عند الله. وكذلك من حفظ آية من القرآن ثم نسيها إما من محفوظه وإما ترك العمل بها فإنه لا يعذب أحد من العالمين يوم القيامة بمثل عذابه لأنه لا مثل للقرآن الذي نسيه، وعليك بتجهيز المجاهد بما أمكنك ولو برغيف إذا لم تكن أنت المجاهد، وأخلف الغزاة في أهلهم بخير تكتب معهم وأنت في أهلك، واحذر إن لم تغز أن لا تحدث نفسك بالغزو فإنك إن لم تغز ولا تحدث نفسك بالغزو كنت على شعبة من نفاق. واجهد في

إعطاء ما يفضل عنك لمعدم ليس ذلك من طعام أو شراب أو لباس أو مركوب، وعليك بتعلم علم الدين إن عملت به عملت على علم أو علمته أحداً من الناس كان ذلك التعليم عملاً من أعمال الخير قد أتيت، واسأل من الله ما تعلم أن فيه خيراً عند الله فإنه إن أعطاك ما سألت وإلاً أعطاك أجر ما سألت، فإنه قد ثبت عن رسول الله ﷺ ما يؤيد ما ذكرناه وذلك أنه قال: «مَنْ سَأَلَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ» وعليك بالإحسان إلى كل من تعول وادع إلى خير ما استطعت فإنك لن تدعو إلى خير إلا كنت من أهله، ومن أجابك إليه فلنك مثل أجره فيما أجابك من ذلك. ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْئاً» ولقد بلغني عن الشيخ أبي مدين أنه سن لأصحابه ركعتين بعد الفراغ من الطعام يقرأ في الأولى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [قريش: ١] وفي الآخرة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ومشت سنة في أصحابه. وقد ثبت أنه من دل على خير فله مثل أجر فاعله، وعليك بصلة الأرحام وحافظ على النسب الذي بينك وبين الله فإنه من الأرحام، وعليك بإنظار المعسر إلى ميسرة فإن الله يقول: ﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرٍ فَنظِرُهُ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠] وإن وضعت عنه فهو أعظم لأجرك فإنه قد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً أَوْ وَضَعَ عَنْهُ أَظْلَمَ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ» وأن الله يوم القيامة يتجاوز عمن يتجاوز عن عباده، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أيضاً أنه قال: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنَجِّيهَ اللَّهُ مِنْ كُرْبٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلْيُنْفَسْ عَنْ مُعْسِرٍ أَوْ يَضَعْ عَنْهُ».

واعلم أن من الإيمان أن تسرك حسنتك وتسوءك سيئتك، واحذر من الكبير والغل والرین، واستر عورة أخيك إذا أطلعك الله عليها فإن ذلك يعدل إحياء مؤودة، هكذا ورد النص في ذلك عن رسول الله ﷺ فإن مقادير الثواب لا يدرك بالقياس، وعليك بالسعي في قضاء حوائج الناس، وقد رأينا على ذلك جماعة من الناس يثابرون عليه وهو من أفضل الأعمال، وفرج عن ذي الكربة كربته، واستر على مسلم إذا رأته في زلة يطلب التستر بها ولا تفضحه، وأقل عشرة أخيك المسلم وخذ بيده كلما عثر وأقله بيعته إذا استقالك، فإن ذلك كله مرغوب فيه مندوب إليه مأمور به شرعاً، وهو من مكارم الأخلاق، وعليك بالزهد في الدنيا ولباس الخشن فإنه قد ورد: «أَنْتُمْ مَنْ تَرَكَ لُبْسَ ثَوْبٍ جَمَالٍ وَهُوَ يَفْدِرُ عَلَيْهِ كَسَاءُ اللَّهِ حُلَّةَ الْكِرَامَةِ» وهذا ثابت. وكن من الكاظمين الغيظ إذا قدرت على إنفاذه فإن الله قد أننى على الكاظمين الغيظ العافين عن الناس. وقال ﷺ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظاً وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ مَلَآءُ اللَّهِ أَمْناً وَإِيمَاناً» فمن الإيمان كظم الغيظ، واحم أخاك المؤمن ممن يريد ضره ما استطعت وبما قدرت عليه من ذلك، وإذا نزل بك ضر فلا تنزله إلا بالله ولا تسأل في كشفه إلا الله، وإن قلت بالأسباب فلا يغيب الله عن نظرك فيها فإن الله في كل سبب وجهاً، فليكن ذلك الوجه من ذلك السبب مشهوداً لك.

واعلم أنه ما من نبي إلا وقد أندر أمته الدجال، وأن رسول الله ﷺ كان يستعيد من فتنه الدجال تعليماً لنا أن نستعيد من ذلك، وفي الاستعادة من فتنته وجهان: الوجه الواحد

الإستعاذة من فتنته حتى لا تصدقه في دعواه وأن تعصم منه، ومن أراد أن يعصمه الله من ذلك فليحفظ عشر آيات من أول سورة الكهف فإنه يعصم بها من فتنة الدجال . والوجه الآخر أن تعصم من أن يقوم بك من الدعوى ما قام بالدجال فتدعي لنفسك دعوته فإنك مستعد لكل خير وشر يقبله الإنسان من حيث ما هو إنسان، وثابر ما استطعت على أن تسأل الله الوسيلة لرسول ﷺ فإنه ﷺ قد سأل منا ذلك، فالمؤمن من أسعفه في سؤاله مع ما يعود عليه في ذلك من الخير، أدناه وجوب الشفاعة له يوم القيامة إن اضطر إليها، وإذا رأيت من يتعمل في تحصيل خير فأعنه على ذلك بما استطعت، ولا تمنع رفقك ممن استرفدك، وإياك أن تجلد عبدك فوق جنايته، وإن عفوت فهو أحوط لك فإنك عبد الله ولك إساءة تطلب من الله العفو عنك لها فاعف عن عبدك، ولا تأكل وحدك ما استطعت ولو لقمة تجعلها في فم خادمك من الطعام الذي بين يديك إذا لم يجبك إلى الأكل معك، واستغن بالله صدقاً من حالك فإن الله لا بد أن يغنيك فإن استغناك بالله من القرب إلى الله، وقد ثبت: «أَنْتُمْ مَنْ تَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ شَبْرًا تَقَرَّبَ اللَّهُ مِنْهُ ذِرَاعًا» الحديث . وكذلك من يستعف بالله روي أن بعض الصالحين لم يكن له شيء من الدنيا فتزوج فجاءه ولد وما أصبح عنده شيء فأخذ الولد وخرج ينادي به: هذا جزء من عصي الله، فقيل له: زנית؟ فقال لا . وإنما سمعت الله يقول في كتابه العزيز: ﴿وَلَيْسَتَعْفِيفَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُعْطِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٣] فعصيت أمر الله وتزوجت وأنا لا أجد نكاحاً فافتضحت فرجع إلى منزله بخير كثير . وإن قدرت على العتق فأعتق رقبة، وإن لم تجد مالاً ويكون لك علم فاهديه رجلاً منافقاً أو كافراً أو رد به مسلماً عن كبيرة فإنك تعتقه بذلك من النار وهو أفضل من عتق رقبة، ومن ملك أحد في الدنيا وفكك العاني أولى من عتق العبد فإنه عتق وزيادة . واعلم أن الفقير الذي لا يقدر على إحياء أرض ميتة فليحيي أرض بدنه بما يعمل فيها من الطاعة لله تعالى، وليحيي مواضع الغفلة بذكر الله فيها، وليحيي العمل بالإخلاص فيه . وإن أردت أن لا يضررك في يومك سحر ولا سم فلتصبح بسبع تمرات من العجوة أو تسحر بها إن أصبحت صائماً، فإنه كذا ثبت عن رسول الله ﷺ . وعليك بخدمة الفقراء إلى الله ومجالسة المساكين والدعاء للمسلمين بظهر الغيب عموماً وخصوصاً وصحبة الصالحين والتحبب إليهم وأنو في جميع حركاتك خيراً مشروعاً فإنك لما نويت، وإذا رأيت من أعطاه الله مالاً وفعل فيه خيراً وحرملك الله ذلك المال فلا تحرم نفسك أن تتمنى أن تكون مثله فإن الله يأجرك مثل أجره وزيادة، وإذا جلست مجلساً فاذكر الله فيه ولا بد، وإياك أن تحرم الرفق فإنك إن حرمت الرفق فقد حرمت الخير كله . وأجر من استجار بك إلا في حد من حدود الله فإن كان في حد من حدود الخلق فأصلح في ذلك ما استطعت بينه وبين صاحب الحق ولا تسلمه ولو مضى فيه جميع مالك، وإذا رأيت من يستعيد بالله فأعذه فإن النبي ﷺ تزوج امرأة فلما دخل عليها استعادت بالله منه لشقاوتها فقال: عدت بعظيم الحقي بأهلك فطلقها ولم يقربها وأعادها . وإذا سألك أحد بالله وأنت قادر على مسألته فأعطه وإن لم تقدر على مسألته فادع له فإنك إذا دعوت له مع عدم القدرة فقد أعطته ما بلغت إليه يدك من مسألته

فإن الله لا يكلف نفساً إلا ما آتاها، وإذا أسدى إليك أحد معروفًا فلتكافئه على معروفه ولو بالدعاء إذا عجزت عن مكافأته بمثل ما جاءك به، وإذا أسديت أنت إلى أحد معروفًا فأسقط عنه المكافأة وتعلمه بذلك وتظهر له الكراهة إن كافأك حتى تريح خاطره ولا سيما إن كان من أهل الله، فإن جاءك بمكافأة على ذلك وتعلم منه أنه يعزّ عليه عدم قبولك لذلك فاقبله منه، وإن علمت منه أنه يفرح برّدك عليه بعد أن وفي هو ما وجب عليه من المكافأة فردّ عليه بسياسة وحسن تطف، واجعل لك الحاجة عنده في قبول ما رددت عليه من ذلك حتى يتحقق أنه قد قضى لك حاجة في قبول ما رددت عليه من المكافأة.

وإياك أن تدعي ما ليس لك فإن ذلك ليس من المروءة مع ما فيه من الوزر عند الله، وإن رميت بشيء مذموم فلا تنتصر لنفسك واسكت، ولا تتعرض لمن رماك بأنه يكذب، ولا تقرّ على نفسك بما لم تفعل ممّا نسب إليك هكذا فعل ذو النون مع المتوكل حين سأله عمّا يقول الناس فيه من رميه بالزندقة فقال: يا أمير المؤمنين إن قلت لا أكذبت الناس وإن قلت نعم كذبت على نفسي، فاستحسن ذلك منه أمير المؤمنين وما قبل فيه قول قائل ورده مكرماً إلى مصر واعتذر له، وحكايته في ذلك مشهورة ذكرها الناس. وقد ثبتت الأخبار الصحيحة في إثم من ادعى ما ليس له أو اقتطع ما لا يجب له من حق الغير، واحذر في يمينك أن تحلف بملة غير ملة الإسلام أو بالبراءة من الإسلام فإنك إن كنت صادقاً فلن ترجع إلى الإسلام سالماً، ولتجدد إسلاماً إذا فعلت مثل ذلك، ومع هذا فلا تحلف إلا بالله فإنك إن حلفت بغير الله كنت عاصياً للنهي الوارد في ذلك، وإن حلفت على يمين غيرها خيراً منها فكفر عن يمينك ولتأت الذي هو خير، وإياك والكذب في الرؤيا أو الكذب على الله أو على رسول الله أو تحدث بحديث ترى أنه كذب فتحدث به ولا تبين عند السامع أنه كذب. واحذر أن تسمع حديث قوم وهم يكرهون أن تسمعه فإنه نوع من التجسس الذي نهى الله عنه. واحذر أن تخبث امرأة على زوجها أو مملوكاً على سيده. واحذر أن تنام على سطح ماله احتجاجاً فإن فعلت فقد برئت منك الذمة. وإياك أن تحب قيام الناس لك وبين يديك تعظيماً وهذا كثير في هذه البلاد أعني العراق وما جاوره، فما رأيت منهم أحداً يسلم من حب ذلك مع علمهم بما فيه، وقد جرت لنا معهم في ذلك حكايات مع علمائهم فما ظنك بعامتهم، وقمت مرّة لأحدهم فقال لي: لا تفعل، وقال لي: إن النهي قد ورد في ذلك فقلت له: يا فقيه أنت المخاطب بذلك أن لا تحب أن يتمثل الناس بين يديك قياماً ما أنا المخاطب بذلك إنني لا أقول لمثلك، فتعجب من هذا الجواب واستحسنه وكان من علماء الشريعة. وإياك إن تقبل هدية من شفعت فيه شفاعاً فإن ذلك من الربا الذي نهى الله عنه بنص رسول الله ﷺ في ذلك، ولقد جرى لنا مثل هذا في تونس من بلاد أفريقية دعاني كبير من كبرائها يقال له ابن معتب إلى بيته لكرامة استعدّها لي فأجبت الداعي فعندما دخلت بيته وقدم الطعام طلب مني شفاعاً عند صاحب البلد وكنت مقبول القول عنده متحكماً فأنعمت له في ذلك وقمت وما أكلت له مطعاماً ولا قبلت منه ما قدمه لنا من الهدايا وقضيت حاجته ورجع إليه ملكه ولم أكن بعد

وقفت على هذا الخبر النبوي، وإنما فعلت ذلك مروءة وأنفة، وكان عصمة من الله في نفس الأمر وعناية إلهية بنا وإياك أن تشفع عند حاكم في حدّ من حدود الله. كلم ابن عباس في رجل أصاب حدّاً من حدود الله أن يكلم الحاكم فيه فقال ابن عباس: لعنني الله إن شفعت فيه، ولعن الله أخاكم إن قبل الشفاعة فيه، لو أردتم ذلك لجتئموني قبل أن يصل إلى الحاكم وكان سارقاً، ثبت في الحديث عن رسول الله ﷺ: «مَنْ حَالَتْ شَفَاعَتُهُ دُونَ حُدُودِ اللَّهِ فَقَدْ ضَادَّ اللَّهَ» وإياك أن تخاصم في باطل فتسخط الله عليك، وكذلك لا تعن على خصومة بعلم تدفع به حقاً، فإن النبي ﷺ يقول فيمن أعان على ذلك: «إِنَّهُ يَبُوءُ بِغَضَبِ مَنِ اللَّهِ». ولا تقل في مؤمن ما ليس فيه ممّا يشينه عند الناس، وقد ثبت أنه من رمى مسلماً بشيء يريد أن يشينه حبسه الله على جمر جهنم حتى يخرج ممّا قال يعني يتوب، واحذر أن تأكل الدنيا بالدين أو تأكل مال أحد بإخافته فيعطيك اتقاء، وإياك إن تسمع فيسمع الله بك، سمعت شيخنا المحدث الزاهد أبا الحسن يحيى بن الصانع بمدينة سبته ونحن بمنزله يقول: لأكل الدنيا بالدف والمزمار خير لي من أكلها بالدين. وكف لسانك عن اللعنة ما استطعت فإنه من لعن شيئاً ليس له بأهل رجعت عليه اللعنة أي بعد عنه الخير الذي كان له من ذلك الذي لعنه لو لم يلعنه، ولقد روينا عن رجل كان في غزاة فضاع له آلة من آلات دابته فستل عن الضائع فقال: راح في لعنة الله، ثم إن الرجل استشهد في تلك الغزاة فرآه إنسان في النوم فسأله ما فعل الله به فقال: إن الله وزن لي كل ما عندي حتى روث الفرس وبوله جعله في ميزاني وأثابني به فلم أر في الميزان سرج الدابة الذي كان ضاع لي فقلت يا رب وأين سرج دابتي؟ فقال: هو حيث جعلته في لعنة الله حيث سئلت عنه فحرم خيره فعادت لعنة السرج عليه بهذا المعنى. وكان رسول الله ﷺ في سفر فسمع امرأة تلعن ناقته فأمر بها فسيبت وقال: «لَا يَضْحَبُنَا مَلْعُونٌ» فطردت من الركب، قال الراوي: فلقد كنا نراها تطلب أن تلحق بالركب والناس يطردونها فتركناها منقطعة فكانت عقوبة صاحبها أن بعد عنها خيرها وهو ركوبها فحارت اللعنة عليها فإن اللعنة البعد. واحذر أن تكفر مؤمناً فإن تكفير المؤمن كقتله، ولا تهجر أخاك فوق ثلاث فإذا لقيته بعد ثلاث فابدأه بالسلام تكن خير الشخصين المتهاجرين. ولما هجر الحسن محمد ابن الحنفية أخاه وتهاجرا نفذ إليه محمد بن الحنفية بعد ثلاث فقال: يا أخي يا ابن رسول الله: إن رسول الله ﷺ يقول: «لَا يَهْجُرُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ يَلْتَقِيَانِ فَيُضَدُّ هَذَا وَيُضَدُّ هَذَا وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ» وقد فرغت الثلاث فإما أن تأتيني فتبدأني بالسلام فإنك خير مني وإن كنا ابني رجل واحد فأنت سبط رسول الله ﷺ فإن خير الرجلين المتهاجرين من يبدأ بالسلام، وإن لم تفعل جئت إليك فبدأتك بالسلام، فبلغ ذلك الحسن فشكره وركب دابته وقصد إلى منزله فبدأه بالسلام. فانظر ما أحسن هذا كيف آثر على نفسه من هو أفضل منه يرجو بذلك المنزلة والمحبة عند رسول الله ﷺ، فهكذا ينبغي للعاقل أن يحتاط لنفسه ويأتي الأفضل فالأفضل ويعرف الفضل لأهله، وقد ثبت أنه من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه.

وإياك واللعب بالنرد فإن في اللعب بالنرد معصية الله ورسوله، وفي الشطرنج خلاف

وكل ما فيه خلاف فالاحتياط أن تخرج من الخلاف باجتنابه، واجتنب القمار بكل شيء مطلقاً، وكل ما تغفل باللهو به عن أداء فرض من فروض الله عليك أو عن ذكر الله فاجتنبه . دخل بعض أهل الله من العلماء على قوم يلعبون بالشطرنج فقال : ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون؟ وإن كان اللعب بالشطرنج حلالاً فالمصوّر له مأثوم إثم المصوّرين . وأخبرني الزكي شيخنا أحمد بن مسعود بن سداد المقرئ الموصلي بمدينة الموصل سنة إحدى وستمئة قال : رأيت رسول الله ﷺ فقلت له : يا رسول الله ما تقول في الشطرنج يعني في اللعب به؟ قال ﷺ : حلال، وكان الرائي حنفي المذهب، قال : فقلت والنرد؟ قال : حرام، قال قلت : يا رسول الله ما تقول في الغناء؟ قال : حلال، قلت : فالشبابه؟ قال : حرام، قال قلت : يا رسول الله ادع الله لي فقد مستني الحاجة أو كما قال ممّا هذا معناه، قال ﷺ رزقك الله ألف دينار كل دينار من أربعة دراهم، واستيقظت فدعاني الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله في شغل فلما خرجت من عنده أمر لي بأربعة آلاف درهم فما بت إلا والدراهم عندي كاملة التي عيّنني في دعائه رسول الله ﷺ، قال : فاعتقدت من تلك الساعة تحليل الشطرنج الذي كنت أعتقد تحريمه وتحريمه الشبابه وكنت أعتقد النقيض في هذين الشيتين .

وإياك وتصديق الكهان وإن صدقوا، واجتنب ما استطعت الاستمطار بالأنواء وعلم النجوم اجتنبه مطلقاً احتياطاً إلا ما يحتاج منه إلى معرفة الأوقات، والوقوف عند قول الشارع هو طريق النجاة وتحصيل السعادة وما نذندن إلا على ذلك، واحذر أن تنام وفي يدك دسم أو على ظاهر فمك من أجل الهوام والشياطين، وإياك أن تشاقق على أحد ولا تضارره ولا تكن ذا وجهين تأتي قوماً بوجه وقوماً بوجه، واحذر من الاحتكار لانتظار الغلاء لأمة محمد عليه السلام . ولا تتخذ كلباً إلا أن تكون في أمر تطلب الحراسة فيه أو صيد، ولا تغضب مسلماً شيئاً ولا ذمياً ولا ذا عهد، وإذا ضربت مملوكاً أو مملوكة حدّاً لم يأته أو لطمته في وجهه فأعتقه فإن كفارة فعلك به ذلك عتقه، ولا ترم مملوكك ولا مملوكتك بالزنى من غير علم فإن الله يقيم عليك الحدّ في ذلك يوم القيامة .

واحذر من اتباع الصيد والمداومة عليه ولزوم البادية فإن الصيد يورث الغفلة وسكنى البادية يورث الجفاء، وإياك وصحبة الملوكة إلا أن تكون مسموع الكلمة عندهم فتتفع مسلماً أو تدفع عن مظلوم أو ترد السلطان عن فعل ما يؤدي إلى الشقاء عند الله، وعليك بالوفاء بالنذر إذا نذرت طاعة فإن نذرت معصية فلا تعص الله وكفر عن ذلك كفارة يمين فإنه أحوط وأرفع للخلاف . وعليك بطاعة أولي الأمر من الناس ممّن ولّاه السلطان أمرك فإن طاعة أولي الأمر واجبة بالنص في كتاب الله، وما لهم أمر يجب علينا امتثال أمرهم فيه إلا المباح لا الأمر بالمعاصي، فإن غضبوك فاقبل غضبهم في بعض أحوالك، وإن أمروك بالغضب فلا تغضب ولا تفارق الجماعة ولا تخرج يداً من طاعة فتموت ميتة جاهلية بنص رسول الله ﷺ، ولا تخرج على الأمة ولا تنازع الأمر أهله، وقاتل مع الأعداء من الاثنيين، وأوف لذي العهد بعهدة ولذي الحق بحقه، ولا تحمل السلاح في الحرم لقتال، وإذا دخلت السوق بسهم فأمسك

على نصالها لا تعقر أحداً وأنت لا تشعر، ولا تمازح أخاك بحمل السلاح عليه وأكرم شعرك وغب بترجيله واكتحل وإذا اكتحلت فاكتحل وتراً واشرب مصاً ولا تتنفس في الإناء إذا شربت وأزل الإناء عن فمك، وكل بثلاث أصابع وصغر اللقمة وكثر مضغها ولا تشرع في لقمة أخرى حتى تبلع الأولى، وسَمَّ الله عند قطع كل لقمة واحمد الله إذا ابتلعها واشكره على أنه سوغك إياها .

ولا تجلس في مجلس أحد إذا قام منه بنية الرجوع إليه إلا أن يفارقه ولا يريد الرجوع إليه، وكان ابن عمر رضي الله عنه إذا قام أحد إليه من مكانه ليجلسه فيه يمتنع عليه ولا يجلس فإن القائم أحق به بنص رسول الله ﷺ، ولا ترد طيباً إذا عرض عليك ولا لبناً ولا وسادة إذا قدم إليك شيء من هذا كله، وإذا أخذت ديناً فأنقضاءه ولا بد فإن الله يقضيه عنك إذا نويت ذلك، واعدل بين نساءك وفي رعيتك إن كنت راعياً تسعد إن شاء الله .

وصية: والذي أوصيك به إن كنت عالماً فحرام عليك أن تعمل بخلاف ما أعطاك دليلك، ويحرم عليك تقليد غيرك مع تمكنك من حصول الدليل، وإن لم تكن لك هذه الدرجة وكنت مقلداً فإياك أن تلتزم مذهباً بعينه بل اعمل كما أمرك الله فإن الله أمرك أن تسأل أهل الذكر إن كنت لا تعلم، وأهل الذكر هم العلماء بالكتاب والسنة فإن الذكر القرآن بالنص، واطلب رفع الحرج في نازلتك ما استطعت فإن الله يقول: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨] وقال ﷺ: «دِينُ اللَّهِ يُسْرٌ» فأسأل عن الرخصة في المسألة حتى تجدها فإذا وجدتها اعمل بها، وإن قال لك المفتي: هذا حكم الله أو حكم رسول الله في مسألتك فخذ به، وإن قال لك: هذا رأيي فلا تأخذ به وسل غيره، وإن أردت أن تأخذ بالعزائم في نوازلك فافعل ولكن فيما يختص بك ورفع الحرج هو السنة، وإذا علمت علماً من علوم الشريعة فبلغه من لا يعلمه تكن من حملة العلم لمن لا يعلم، وإياك أن تكتم ما أنزل الله من البيئات للناس إذا علمت ذلك، وعليك بالسماحة في بيعك وابتياحك، وإذا اقتضيت فكن سمحاً في اقتضائك، واجتنب الوشم أن تعمله أو تأمر به وكذلك التميمص وهو إزالة الشعر من الوجه بالانماص والناماص هو الذي يسمونه العوام الجفت، وكذلك التفليج فإن رسول الله يقول: «لَعَنَ اللَّهُ الْوَاشِمَةَ وَالْمُسْتَوْشِمَةَ وَالنَّامِصَةَ وَالْمُتَمِّصَةَ وَالْوَاشِرَةَ وَالْمُسْتَوْشِرَةَ» وَهِيَ الَّتِي تَفْلِحُ أَسْنَانَهَا «وَالْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ الْمُغَيَّرَاتِ خَلَقَ اللَّهُ» وَالْوَاصِلَةَ هِيَ الَّتِي تَصِلُ شَعْرَهَا .

واحذر أن تعير عباد الله بما ابتلاهم الله به في خلقهم وفي خلقهم وما قدر عليهم من المعاصي، وسل الله عز وجل العافية ما استطعت، وكن على نفسك لا تكن لها إن أردت أن تسعدها عند الله، وإياك وما تستحليه النفس إلا أن يكون معها الشرع في ذلك فهو الميزان، وإياك أن تذيب ذبيحة لغير الله ولا تأكل مما أهل لغير الله وما لم يذكر اسم الله عليه فإنه فسق بنص القرآن، ولا يستميلونك أهل الذمة إلى ما يتبركون به في دينهم فإن ذلك من الأمور المهلكة عند الله، ولقد رأيت بدمشق أكثر نساءها يفعلن ذلك ورجالهن يسامحنهن في ذلك وهو أنهم يأخذون الصبيان الصغار ويحملونهم إلى الكنيسة حتى يبرك القس عليه ويرشونهم

بماء المعمودية بنية التبرك وهذا قرين الكفر بل هو الكفر عينه وما يرتضيه مسلم ولا الإسلام ويقربون القرابين لذلك . واحذر أن تؤوي محدثاً أحدث في دين الله أمراً يبعد عن الله ويرذّه الدين مثل هذا الذي ذكرناه وإياك أن تغير حدود الأرض فإن ذلك غضب، وقد لعن رسول الله ﷺ من غير منار الأرض، احذر أن تمثل بحيوان أو تتخذة غرضاً أو يتخذة غيرك ولا تنهأ عنه، وإياك ونكاح البهائم، ولقد كان عندنا رجل صالح قليل العلم قد انقطع في بيته فاشترى حمامة لم تعلم له حاجة إليها فسأله بعض الناس بعد سنين وقال له ما تصنع بهذه الحمامة ومالك حاجة إليها ولا تركبها؟ فقال: يا أخي ما اشتريتها إلا عصمة لديني أنكحها حتى لا أزني فقال له: إن ذلك حرام فبكى وتاب إلى الله من ذلك وقال: والله ما علمت، فعليك بالبحث عن دينك حتى تعلم ما يحل لك أن تأتي منه ممّا لا يحل لك أن تأتيه في تصرفاتك .

وصية: إذا سألت المغفرة وهي طلب الستر فاسأل أن يسترك عن الذنب أن يصيبك فتكون معصوماً أو محفوظاً، وإن كنت صاحب ذنب فاسأله أن يسترك أن يصيبك عقوبة الذنب، وإياك أن تظهر إلى الناس بأمر يعلم الله منك خلافه، فلقد أخبرني الثقة عندي عن الشيخ أبي الربيع الكفيف المالقي كان بمصر يخدمه أبو عبد الله القرشي المبتلي فدخل عليه الشيخ وسمعه يقول في دعائه: اللهم يا رب لا تفضح لنا سريرة فصاح فيه الشيخ وقال له: الله يفضحك على رؤوس الأشهاد يا أبا عبد الله ولأي شيء تظهر لله بأمر وللناس بخلافه؟ اصدق مع الله عز وجل في جميع أحوالك ولا تضمّر خلاف ما تظهر، فتاب إلى الله من ذلك ورجع، وليس للمغفرة متعلق إلا أن يسترك من الذنب أو يسترك من العقوبة عليه بقول الله سبحانه لنبيه ﷺ: ﴿لَيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] فما تقدم لا يعاقبك عليه وما تأخر لا يصيبك . وهذا إخبار من الله بعصمته ﷺ: أخبرني سليمان الدنبلي وكان عبداً صالحاً فيما أحسب كثير البكاء وكان له أنس بالله فقعدت معه بمقصورة الدولعي زاوية عائشة بجوامع دمشق وجرى بيني وبينه كلام فقال لي: يا أخي لي والله أكثر من خمسين سنة ما حدثتني نفسي بمعصية قط لله الحمد على ذلك، واحذر يا أخي من التنطع في الكلام والتشدد، وإياك أن يستعبدك غير الله من عرض من عروض الدنيا فإنك عبد لمن استعبدك وإياك والتكبر والجبروت وتفقد مصالح ما عندك من الحيوانات من بهيمة وفرس وجمل وهرة وغير ذلك ولا تغفل عنهم فإنهم خرس وأمانات بأيديكم إذا أنتم حبستموها عن مصالحها، وإياك أن تحدث أخاك بحديث يرى أنك فيه صادق فيصدقك وأنت فيه كاذب، لا تحقر أخاك شيئاً من نعيم الله وإن قل، ولا تزدر أحداً من عباد الله، واملك نفسك عند الغضب وعليك بتحمل الأذى من عباد الله والصبر عليه فليس أحد أصبر على أذى يسمعه من الله إنهم ليدعون له ولدأ وهو يرزقهم ويعافيههم، فاجعل الحق أمامك وعامل عباده بما عاملهم به . نزل مشرك بإبراهيم الخليل فاستضافه فقال له إبراهيم عليه السلام: حتى تسلم، فقال: يا إبراهيم لا أفعل وانصرف فأوحى الله إليه يا إبراهيم من أجل لقمة يترك دينه ودين آبائه إنه ليشرك بي منذ سبعين سنة وأنا أرزقه فخرج إبراهيم عليه السلام في أثر الرجل فعرض عليه الرجوع فاستخبره عن

ذلك فأخبره بعتب الله له في ذلك فأسلم المشرك وعليك بترتيل القرآن والتغني به وذلك بأن تحبره وتستوفي حروفه، وإياك أن تدعو إلى عصبية بل ادع إلى الله، وإذا كنت في سفر فلا تصم فإن ذلك ليس من البر عند الله تعالى وإن كنت ولا بد صاحب لهو فبامراتك وفرسك وسهامك، واجتنب الاسترقاء والاكثواء والطيرة إن أردت أن تكون من السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب، وعليك بفعل البر في يوم الاثنين ويوم الخميس فإنهما يومان تعرض فيهما الأعمال على الله تعالى، وكان رسول الله ﷺ لا يترك صومهما ويقول: «إني أحب أن يُزْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ» فإن الصوم عبادة تستغرق النهار كله سواء غفل العبد عن عبادة في ذلك اليوم أو لم يغفل فإنه في عبادة صومه بما نواه، وإياك والشحناء فإنه نظير الشرك في عدم المغفرة عند الله. واعلم أن العبد يبعث على ما مات عليه فلا تمت إلا وأنت مسلم، إياك وصحبة من تفارقه ولا تصحب إلا من لا يفارقك وهو العمل، فاجعل عملك صالحاً فتأس به وتسر واجعله لك لا عليك، واعلم أن القبر خزانة أعمالك فلا تخزن فيه إلا ما إذا دخلت إليه يسرك ما تراه يقول بعضهم: [مجزوء الرجز]

يَا مَنْ بَدُنِّيَا أَشْتَعَلْ
وَعَرَّةٌ طُـوَلُ الْأَمَلْ
لَمْ يَزَلْ فِي غَفْلَةٍ
حَتَّى دَنَا مِنْهُ الْأَجَلْ
الْمَوْتُ يَأْتِي بَغْتَةً
وَالْقَبْرُ صُنْدُوقُ الْعَمَلْ

يرجع عن الميت أهله وماله ويبقى معه عمله، أشقى الناس يوم القيامة من أمر بالمعروف ولم يأت به ونهى عن المنكر وأتاه، وعليك بكسب الحلال وطيب المطعم وفر بدينك من الفتن إذا وقعت في الناس وظهرت، وإياك والحرص على المال، واحذر أن تسب الدهر فإن الله هو الدهر وإن أردت به الزمان فما بيد الزمان شيء بل الأمر بيد الله، لا تقل مالي وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيته أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت وما بقي بعد ذلك فعليك لا لك، وأنت مسؤول عما جمعت من أين جمعت وفيما أنفقت ولم اخترت؟ لا تتزوج من النساء إلا ذات الدين فإن من أعظم النعم على العبد المرأة الصالحة تعين على الدين، ولا تكفر العشير كن من حملة الدين تكن عدلاً بشهادة الرسول ﷺ فإنه قال: «يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ عُدُولُهُ» ابدأ بالسلام على من هو أكبر منك، وابدأ بالسلام على المشايخ إن كنت راكباً وعلى القاعد إن كنت ماشياً، ولقد جرى لي مع بعض الخلفاء رضي الله عنه ذات يوم كنا نمشي ومعنا جماعة وإذا بالخليفة مقبل ففتحنا عن الطريق وقلت لأصحابي من بدأه بالسلام أردلت به عنده فلما وصل وحاذانا بفرسه انتظر أن نسلم عليه كما جرت عادة الناس في السلام على الخلفاء والملوك فلم نفعل فنظر إلينا وقال: سلام عليكم ورحمة الله وبركاته بصوت جهير فقلنا له بأجمعنا: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، فقال: جزاكم الله عن الدين خيراً وشكرنا على فعلنا وانصرف، فتعجب الحاضرون. لا تؤمن رجلاً في سلطانه ولا تقعد على تكرمته إلا بإذنه ولا تدخل بيته إلا بإذنه ولا تجز مقدم دابته إلا بإذنه، وليكن إمام القوم أقرؤهم لكتاب الله هذه وصية رسول الله ﷺ.

إذا استيقظت من نومك فامسح النوم من عينيك واذكر الله تحلّ بذلك عقدة واحدة من عقد الشيطان فإنه يعقد على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فإن توضأت حللت بوضوءك العقدة الثانية فإن صليت حللت العقد كلها . إياك أن تطلب الإمارة فتوكل إليها وعليك بالصباغ واجتنب السواد فيه فإن رسول الله ﷺ أمر به ورغب فيه وأعجبه . واعلم أن القلوب بيد الله بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه كيف يشاء ، وقلوب الملوك بيد الله كذلك يقبضها عنا إذا شاء ويعطف بها علينا إذا شاء ، ليس لهم من الأمر شيء فاعذروهم وادعوا لهم ولا تقفوا فيهم فإنهم نواب الله في عباده وهم من الله بمكان فاتركوا ولاته له تعالى يعاملهم كيف شاء ، إن شاء عفا عنهم فيما قصروا فيه وإن شاء عاقبهم فهو أبصر بهم ، وعليك بالسمع والطاعة لهم وإن كان عبداً حبشياً مجدع الأطراف .

دخل رجل نصراني مشرك بعض البلاد فبينما هو يمشي وإذا بالناس يهرعون من كل مكان ويقولون هذا السلطان قد أقبل فوقف المشرك ليراه فإذا به أسود كان مملوكاً لبعض الناس وأعتقه مجدع الأطراف أقبح الناس صورة فلما نظر إليه قال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ملكه يفعل ما يريد ويحكم ما يشاء فقيل له : ما الذي دعاك إلى الإسلام والتوحيد؟ فقال : سلطنة هذا العبد الأسود فإني رأيت من المحال أن يجتمع اثنان على تولية مثل هذا على الناس والأشراف والعلماء وأرباب الدين فعلمت أن الله واحد يحكم بعلمه في عباده كيف يشاء لا إله إلا هو ، ورأيت هذا أنا من تصديق الله تعالى رسوله ﷺ فيما مثل به لنا في قوله : «وإن كان عبداً حبشياً مجدع الأطراف» فإني جزيت المخبرين عن الله إذا ضربوا الأمثال بأمر ما فإنه لا بد من وقوع ذلك المضروب به المثل ، كان أبو يزيد البسطامي يشير عن نفسه أنه قطب الوقت فقيل له يوماً عن بعض الرجال أنه يقال فيه أنه قطب الوقت فقال : الولاة كثيرون وأمير المؤمنين واحد ، لو أن رجلاً شقّ العصى وقام ثائراً في هذا الموضع وأشار إلى قلعة معينة وادعى أنه خليفة قتل ولم يتم له ذلك وبقي أمير المؤمنين أمير المؤمنين فما مرت الأيام حتى ثار في تلك القلعة نائر ادعى الخلافة وقتل وما تم له ذلك ، فوقع ما ضرب به أبو يزيد المثل عن نفسه ، فإياك والوقوع في ولاة أمور المسلمين ، وإياك أن تنزل أحداً من الله منزلة لا تعرفها لا بتزكية عند الله فيه ولا بتجريح إلا أن تكون على بصيرة من الله تعالى فيه فإن ذلك افتراء على الله ولو صادفت الحق فقد أسأت الأدب ، وهذا داء عضال بل حسن الظن به وقل فيما أحسب وأظنّ هو كذا وكذا . ولا تزكي على الله أحداً فهذا رسول الله ﷺ ولا يدري ما يفعل به ولا بنا بل يتبع ما يوحى إليه ، فما عرف به من الأمور عرفها وما لم يعرف به من الأمور لم يعرفه ، وكان فيه كواحد من الناس ، فكم رجل عظيم عند الناس يأتي يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وفكر في يوم القيامة وهوله وما يلقي الناس فيه وهو يوم التنادي يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم تلجؤون إليه ، ولقد ثبت أن العرق يوم القيامة ليذهب في الأرض سبعين ذراعاً وأنه ليبليغ أفواه الناس ، وعليك بالدعاء أن يعيدك الله من فتنة القبر

ومن فتنة الدجال، ومن عذاب النار ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر ما صنعت ومن شر ما خلق، وقد أوصيتك بتغطية الإناء فإنه ثبت أن الله في السنة ليلة غير معينة ينزل فيها وباء لا يمر بآناء ليس عليه غطاء إلا دخل فيه من ذلك الوباء أو سقاء ليس عليه وكاء، وإن للشيطان فتنة فاستعد بالله منها وراقب قلبك وخواطرك وزنها بميزان الشريعة الموضوع في الأرض لمعرفة الحق فإنك إذا فعلت ذلك كنت في أمورك تجري على الحق، فإن إبليس يضع عرشه على الماء لما علم أن العرش الرحماني على الماء يلبس بذلك على الناس أنه الله كما فعل بابن صياد وقد قال له رسول الله ﷺ: «ما ترى؟» قال: أرى عرشاً على البحر، فقال: «ذلك عرش إبليس»، يقول الله تعالى في عرشه وكان عرشه على الماء، ثم قال: ﴿لِيَبْتَلُوكُمْ﴾ [هود: ٧] والابتلاء فتنة فإبليس ما له نظر إلا في الأوضاع الإلهية الحقيقية فيقيم في الخيال أمثلتها ليقال هي عينها فيغتر بها من نظر إليها وما ثم شيء فإن الله قد أعطاه السلطنة على خيال الإنسان فيخيل إليه ما يشاء، فإذا وضع عرشه على الماء بعث سراياه شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً إلى قلوب بني آدم إلى الكافر ليثبت على كفره وإلى المؤمن ليرجع عن إيمانه وأدناهم من إبليس منزلة أعظمهم فتنة فتعود بالله من الشيطان الرجيم.

وصية: ادع الله أن يجعلك من صالحى المؤمنين تكن ولي رسول الله ﷺ وناصره، فإن الله قرن صالح المؤمنين مع نفسه وجبريل والملائكة في نصره رسول الله ﷺ، وقال رسول الله ﷺ: إنما وليي الله وصالح المؤمنين، وإن كنت والياً فلتساو في إقامة الحدود الشرعية على من تعينت عليه من شريف ووضع ومن تحبه وتكرهه فإن رسول الله ﷺ ثبت عنه أنه قال: «إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يُقِيمُونَ الْحُدُودَ عَلَى الْوَضِيعِ وَيَتْرُكُونَ الشَّرِيفَ» وإياك يا أخي أن تحجر عناية الله عن إمام الله لما سمعت أن للرجال عليهن درجة فتلك درجة الانفعال فإن حواء خلقت من آدم فلما انفعلت عنه كان له عليها درجة السبق، فكل أنثى من سبق ماء المرأة ماء الرجل وعلوه على ماء الرجل، هذا هو الثابت عن رسول الله ﷺ فاعلم ذلك فللرجال عليهن درجة، فإن الحكم لكل أنثى بماء أمها، وهنا سر عجيب دقيق روحاني من أجله كان النساء شقائق الرجال فخلقت المرأة من شق الرجل فهو أصلها فله عليها درجة السببية، ولا تقل هذا مخصوص بحواء فكل أنثى كما أخبرتك من مائها أي من سبق مائها وعلوه على ماء الرجل، وكل ذكر من سبق ماء الرجل وعلوه على ماء الأنثى وكل خنثى فمن مساواة المائين وامتزاجهما من غير مسابقة. واحذر من فتنة الدنيا وزينتها وفرق بين زينة الله وزينة الشيطان وزينة الحياة الدنيا إذا جاءت الزينة مهملة غير منسوبة فإنك لا تدري من زينها لك، فانظر ذلك في موضع آخر واتخذة دليلاً على ما انبههم عليك مثل قوله: ﴿زَيْنًا لَهُمْ أَعْمَلَهُمْ﴾ [النمل: ٤] ومثل قوله: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ [فاطر: ٨] ولم يذكر من زينته فتستدل على من زينته من نفس العمل فزينة الله غير محرمة وزينة الشيطان محرمة وزينة الدنيا ذات وجهين: وجه إلى الإباحة والندب ووجه إلى التحريم، والحياة الدنيا وطن الابتلاء فجعلها الله حلوة خضرة واستخلف فيها عباده فناظر كيف يعملون فيها بهذا جاء الخبر النبوي: «فَاتَّقِ

فتنتها وميز زينتها وقل رب زدني علماً» وإذا فجاك أمر تكرهه فاصبر له عندما يفجؤك فذلك هو الصبر المحمود، ولا تتسخط له ابتداء، ثم تنظر بعد ذلك أن الأمر بيد الله وأن ذلك من الله فتصبر عند ذلك فليس ذلك بالصبر المحمود عند الله الذي حرض عليه رسول الله ﷺ: ولقد مرّ رسول الله ﷺ بامرأة وهي تصرخ على ولد لها مات فأمرها أن تحتسبه عند الله وتصبر ولم تعرف أنه رسول الله ﷺ فقالت له: إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي، فقيل لها هذا رسول الله ﷺ فجاءت تعتذر إليه ممّا جرى منها فقال لها رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى». ينبه ﷺ العبد أنه لا يزال حاضراً مع الله أبداً فهو أولى به.

وعليك برحمة الضعيف المستضعف فإنه قد ثبت أن الله ينصر عباده ويرزقهم بضعفائهم، وإذا اقتضت من أحد قرصاً فأحسن الاداء وأرجح إذا وزنت له واشكره على قرصه إياك، وانظر الفضل له ولكل من أحسن إليك أو أهدى لك هدية أو تصدق عليك ولو بالسلام فإن له الفضل عليك بالتقدم، وما عرف مقدار السلام الذي هو التحية إلا الصدر الأول فإنني رويت أنهم كانوا إذا حالت بين الرجلين شجرة وهما يمشيان في الطريق فإذا تركاها والتقيا سلم كل واحد منهما على صاحبه لمعرفته بسرعة تقلب النفوس وما يبادر إليها من الخواطر القبيحة من إلقاء إبليس فيكون السلام بشارة لصاحبه إنه سلم من ذلك وأنه معه على ما افترقا عليه من حسن المودة، فانظر إلى معرفتهم بالنفوس رضي الله عنهم، ومن قال لك إنه يحبك فلو أحببته ما عسى أن تحبه لن تبلغ درجة تقدمه في حبه إياك فإن حبك نتيجة عن ذلك الحب المتقدم، وما قلت لك ذلك إلا أنني رأيت وسمعت من فقراء زماننا من جهالهم لا من علمائهم يرون الفضل لهم على الأغنياء حيث كانوا فقراء لما يأخذونه منهم إذ لولا الفقراء ما صحّ لهم هذا الفضل، وهذا غلط عظيم فإن الثناء على المعطي ما هو من حيث ما وجد من يأخذ منه وإنما هو لقيام صفة الكرم به ووقايته شخّ نفسه سواء وجد من يأخذ منه أو لم يجد، ألا ترى إلى النص الوارد في المتمني مع العدم إذا تمنى ويقول: لو أن لي ما لا فعلت فيه من الخير مثل ما فعل هذا المعطي فأجرهما سواء وزاد عليه بارتفاع الحساب عنه والسؤال، ولهذا قلنا بأن ترى الفضل عليك لمن أعطى بما أعطى فهو أولى بك وأن اليد العليا هي خير من اليد السفلى واليد العليا هي المنفقة واليد السفلى هي السائلة هذا السؤال، ولكن إذا لم تر الله في سؤالها لأن الحق قد سأل عباده في أمره إياهم أن يقرضوه ويذكروه وهنا أشار في التنزل الإلهي إلى عباده.

وصية: إذا قرأت فاتحة الكتاب فصل بسملتها معها في نفس واحد من غير قطع فإنني أقول بالله العظيم لقد حدثني أبو الحسن عن ابن أبي الفتح المعروف والده بالكناري بمدينة الموصل سنة إحدى وستمائة وقال: بالله العظيم لقد سمعت شيخنا أبا الفضل عبد الله بن أحمد بن عبد القاهر الطوسي الخطيب يقول: بالله العظيم لقد سمعت والدي أحمد يقول: بالله العظيم لقد سمعت المبارك بن أحمد بن محمد النيسابوري المقرئ يقول: بالله العظيم لقد سمعت من لفظ أبي بكر الفضل بن محمد الكاتب الهروي وقال: بالله العظيم لقد حدثنا

أبو بكر محمد بن علي الشاشي الشافعي من لفظه وقال: بالله العظيم لقد حدثني عبد الله المعروف بأبي نصر السرخسي وقال: بالله العظيم لقد حدثنا أبو بكر محمد بن الفضل وقال: بالله العظيم لقد حدثنا أبو عبد الله محمد بن علي بن يحيى الوراق الفقيه وقال: بالله العظيم لقد حدثني محمد بن يونس الطويل الفقيه وقال: بالله العظيم لقد حدثني محمد بن الحسن العلوي الزاهد وقال: بالله العظيم لقد حدثني موسى بن عيسى وقال: بالله العظيم لقد حدثني أبو بكر الراجعي وقال: بالله العظيم لقد حدثني عمار بن موسى البرمكي وقال: بالله العظيم لقد حدثني أنس بن مالك وقال: بالله العظيم لقد حدثني علي بن أبي طالب وقال: بالله العظيم لقد حدثني أبو بكر الصديق وقال: بالله العظيم لقد حدثني محمد المصطفى ﷺ تسليماً وقال: بالله العظيم لقد حدثني جبريل عليه السلام وقال: بالله العظيم لقد حدثني ميكائيل عليه السلام وقال: بالله العظيم لقد حدثني إسرئيل عليه السلام وقال: قال الله تعالى لي: يا إسرئيل بعزتي وجلالي وجودي وكرمي من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم متصلة بفاتحة الكتاب مرة واحدة اشهدوا عليّ أني قد غفرت له وقبلت منه الحسنات وتجاوزت عنه السيئات ولا أحرق لسانه بالنار وأجبره من عذاب القبر وعذاب النار وعذاب القيامة والفرع الأكبر ويلقاني قبل الأنبياء والأولياء أجمعين .

وصية: كن غيوراً لله تعالى واحذر من الغيرة الطبيعية الحيوانية أن تستفزك وتلبس عليك نفسك بها وأنا أعطيك في ذلك ميزاناً وذلك أن الذي يغار لله ديناً إنما يغار لانتهاك محارم الله على نفسه وعلى غيره، فكما يغار على أمه أن يزني بها أحد كذلك يغار على أم غيره أن يزني بها هو، وكذلك البنت والأخت والزوجة والجارية، فإن كل امرأة يزني بها قد تكون أما لشخص وبناتاً لآخر وأختاً لآخر وزوجة لآخر وجارية لآخر، وكل واحد منهم لا يريد، أن يزني أحد بأمه ولا بأخته ولا بابنته ولا بزوجته ولا بجاريته، كما لا يريد هذا الغير أن الذي يزعم أنه يغار لله ديناً فإن فعل شيئاً من هذا وزنى وادعى الغيرة في الدين أو المروءة فاعلم أنه كاذب في دعواه فإنه ليس بذي دين ولا مروءة، من يكره لنفسه شيئاً ولا يكرهه لغيره فليس بذي غيرة إيمانية، يقول النبي ﷺ في سعد والحديث مشهور: «إِنَّ سَعْدًا لَغَيُورٌ وَإِنِّي لَأَغْيِرُ مِنْ سَعْدٍ وَإِنَّ اللَّهَ أَغْيِرُ مِنِّي وَمِنْ غَيْرَتِهِ حَرَمَ الْفَوَاحِشِ» ولقد مات رسول الله ﷺ وما مسّت يده يد امرأة لا يحلّ له لمسها وهو رسول الله، وما كانت تبايعه النساء إلا بالقول وقوله للواحدة قوله للجميع، فاجعل ميزانك في الغيرة للدين هذا، فإن وفيت به فاعلم أنك غيور للدين والمروءة، وإن وجدت خلاف ذلك فتلك غيرة طبيعية حيوانية ليس لله ولا للمروءة فيها دخول حتى تغار منك كما تغار عليك، وقد ثبت: «مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيِرُ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ أَوْ تَزْنِي أُمَّتُهُ». وإذا أصابتك مصيبة فقل إننا لله وإننا إليه راجعون فلا تنزل ما تجد منها إلا بالله ثم قل: اللهم اجبرني في مصيبي واخلف لي خيراً منها فإنه ثبت عن رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا قَالَ هَذَا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا» ولقد مات أبو سلمة فقالت امرأته هذا القول وهي تقول: ومن خير من أبي سلمة فأخلفها الله خيراً من أبي سلمة وهو رسول الله ﷺ فتزوج بها وصارت من

أمهات المؤمنین، ولم یکن أصل هذه العناية الإلهية بها إلا هذا القول عندما أصيبت بموت زوجها أبي سلمة. وإذا مات لك ميت فاجهد أن یصلي عليه مائة مسلم، أو أربعون فإنهم شفعاء له عند الله، ثبت في ذلك عن رسول الله ﷺ: «ما من مسلم یصلي عليه أمة من المسلمین ینلغون مائة كلهم یشفعون له إلا شفعوا فيه» وحديث آخر قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من رجل مسلم یموت یقوم على جنازته أربعون رجلاً لا یشرکون بالله شيئاً إلا شفعهم الله فيه» ومعنى لا یشرکون بالله شيئاً أي لا یجعلون مع الله إلهاً آخر. وروينا عن بعض العرب أنه مرّ بجنازة یصلي عليها أمة كثيرة من المسلمین فنزل عن دابته وصلى عليها فقيل له في ذلك فقال: إنها من أهل الجنة فقيل: ومن لك بذلك؟ فقال: وأي كريم يأتي إليه جماعة یشفعون عنده في شخص فیرد شفاعتهم لا والله لا یردها أبداً فكيف الله الذي هو أكرم الكرماء وأرحم الرحماء فما دعاهم لیشفعوا فيه إلا ویقبل شفاعتهم، إذ الکريم یقبلها وإن لم یدعهم إلى الشفاعة فيه فكيف وقد دعاهم. اعلم أن الله أمرک أن تتقي النار فقال: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُكِدَّتْ بِحِجَابِ طِينٍ﴾ [١٣١] أي اجعل بینک وبينها وقاية حتى لا یصل إليك أذاها يوم القيامة فإنه ثبت أنه ما من أحد إلا سیکلمه الله لیس بینه وبينه ترجمان فینظر أیمن منه فلا یرى إلا ما قدم وینظر أشأم منه فلا یرى إلا ما قدم، وینظر بین یدیه فلا یرى إلا النار: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ﴾. ولقد وشي ببعض شیوخنا بالمغرب عند السلطان بأمر فيه حتفه وكان أهل البلد قد أجمعوا على ما وشي به وما قيل فيه مما یؤدي إلى هلاکة فأمر السلطان نائبه أن یجمع الناس ویحضر هذا الرجل فإن أجمعوا علیه على ما قيل فيه یأمر الوالي أن یقتله وإن قيل غیر ذلك خلی سبيله، فجمع الناس لمیقات يوم معلوم وعرفوا ما جمعوا له وكلهم على لسان واحد أنه فاسق یجب قتله بلا مخالف، فلما جيء بالرجل مرّ في طريقه بخباز فاقترض منه نصف رغیف فتصدق به من ساعته فلما وصل إلى المحفل وكان الوالي من أكبر أعدائه أقیم في الناس وقيل لهم: ما عندکم في هذا الرجل وما تقولون فيه وسمّوه؟ فما بقي أحد من الناس إلا قال هو عدل رضي عن آخرهم، فتعجب الوالي من قولهم خلاف ما كان یعلمه منهم وما كانوا یقولون فيه قبل حضوره فعلم أن الأمر إلهي والشیخ یضحک فقال له الوالي: ممّ تضحک؟ فقال: من صدق رسول الله ﷺ تعجباً به وإيماناً والله ما من أحد من هذه الجماعة إلا ویعتقد في خلاف ما شهد به وأنت كذلك وكلکم عليّ لا لي، فتذکرت النار ورأيتها أقوى غضباً منکم وتذکرت نصف رغیف ورأيته أكبر من نصف تمرة وسمعت عن رسول الله ﷺ یقول: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» فاتقيت غضبکم بنصف رغیف فدفعت الأقل من النار بالأكثر من شق تمرة.

وعلیک یا أخي بالصدقة فإنها تطفی غضب الرب ولها ظل يوم القيامة یقي من حرّ الشمس في ذلك الموقف، وأن الرجل یكون يوم القيامة في ظل صدقته حتى یقضى بین الناس، وما من يوم یصبح فيه العبد إلا وملکان ینزلان کذا جاء وثبت عن رسول الله ﷺ یقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً وهو قوله تعالی: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ [سبا: ٣٩] ویقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً يدعو له بالإنفاق مثل الأول المنفق لا یدعو علیه

فإنهم لا يدعون إلا بخير فهم الذي يقولون: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [إغافر: ١٧] وهم الذين قال الله فيهم أنهم يستغفرون لمن في الأرض فما أراد الملك بالتلف في دعائه إلا الإنفاق، وهذا خلاف ما يتوهمه الناس في تأويل هذا الخبر وليس إلا ما قلناه فإن النبي ﷺ يقول في الرجل الذي آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته فيتصدق به يميناً وشمالاً فجعل صدقته هلاك المال وهذا معنى تلفه، والإنفاق ليس إلا هلاك المال فإنه من نفقت الدابة إذا هلكت، فالمال المنفق هو الهالك لأنه هلك عن يد صاحبه ولهذا دعا للمنفق بالخلف وهو العوض لما مر منه مع آذخار الله له ذلك عنده إلى يوم القيامة إذا قصد به القرية واقرنت بعطائه النية الصالحة .

وصية: احذر أن يراك الله حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك، اجهد أن يكون لك خيبة عمل لا يعلم بها إلا الله فإن ذلك أعظم وسيلة لخلوص ذلك العمل من الشوب وقليل من يكون له هذا. وعليك بصيام يوم عرفة ويوم عاشوراء وثابر على عمل الخير في عشر ذي الحجة وفي عشر المحرم، وإذا قدرت على صوم يوم في سبيل الله بحيث لا يؤثر فيك ضعفاً في بلائك في العدو فافعل، وإذا علمت أن النفس تحب أن تمشي في خدمتها فاجهد أن تجعل الملائكة تمشي في خدمتك وتضع أجنتها لك في طريقك وذلك بأن تكون من طلاب العلم وإن كان بالعمل فهو أولى وأحق وأعظم عند الله وهو قوله: ﴿إِن تَقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩] وكذلك إذا خرجت تعود مريضاً مسياً أو مصباحاً أو معاً فأنت إذا خرجت من عنده خرج معك سبعون ألف ملك يستغفرون لك إن كان صباحاً حتى تمسي وإن كان مساء حتى تصبح، واجهد أن تقرأ في كل صباح ومساء أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون، هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم، تقرأ ذلك ثلاث مرّات على صورة ما قلناه تتعوذ في كل مرّة بالتعوذ الذي ذكرناه، وكذلك بعد صلاة المغرب وبعد صلاة الصبح قبل أن تتكلم، وعندما تسلم من الصلاة تقول: اللهم أجرني من النار سبع مرار، وكذلك إذا صليت المغرب بعد أن تسلم، وقبل أن تتكلم تصلي ست ركعات ركعتان منها تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] ست مرّات والمعوذتين في كل ركعة من الركعتين فإذا سلمت فقل عقيب السلام: اللهم سدّني بالإيمان واحفظه عليّ في حياتي وعند وفاتي وبعد مماتي، وكذلك تقول في أثر كل صلاة فريضة إذا سلمت منها وقبل الكلام: اللهم إني أقدم إليك بين يدي كل نفس ولمحة ولحظة وطرفة يطرف بها أهل السموات وأهل الأرض وكل شيء هو في علمك كائن أو قد كان، اللهم إني أقدم إليك بين يدي ذلك كله ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ

وَلَا يُوَدُّهُ حَفِظْهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿البقرة: ٢٥٥﴾ وإياك والإصرار وهو الإقامة على الذنب بل تب إلى الله في كل حال وعلى أثر كل ذنب . ولقد أخبرني بعض الصالحين بمدينة قرطبة من أهلها قال : سمعت أن بمرسية رجلاً عالماً أعرفه ورأيتة وحضرت مجلسه سنة خمس وتسعين وخمسمائة بمرسية وكان هذا العالم مسرفاً على نفسه وما منعتني أن أسميه إلاّ خوفاً أن يعرف إذا سميتة فقال لي ذلك الفقير الصالح : قصدت زيارة هذا العالم فامتنع من الخروج إليّ لراحة كان عليها مع إخوانه فأبيت إلاّ رؤيته فقال : أخبروه بالذي أنا عليه فقلت : لا بدّ لي منه فأمر فدخلت عليه وقد فرغ ما كان بأيديهم من الخمر فقال له بعض الحاضرين : اكتب إلى فلان يبعث إلينا شيئاً من الخمر فقال : لا أفعل أتريدون أن أكون مصرأً على معصية الله والله ما أشرب كأساً إذا تناولته إلاّ وأتوب عقبيه إلى الله تعالى ولا أنتظر الكأس الآخر ولا أحدث به نفسي ، فإذا وصل الدور إليّ وجاء الساقى بالكأس ليناولني إياه أنظر في نفسي فإن رأيت أن أتأوله منه تناولته وشربته وتبت عقبيه فعسى الله أن يمن عليّ بوقت لا يخطر لي فيه أن أعصي الله ، قال الفقير : فتعجبت منه مع إسرافه على نفسه كيف لم يغفل عن مثل هذا ومات رحمه الله .

وصية : إذا صليت فلا ترفع بصرك إلى السماء فإنك لا تدري يرجع إليك بصرك أم لا ، وليكن نظرك إلى موضع سجودك أو قبلتك وحافظ على تسوية الصف في الصلاة ، وإذا رأيت من برز بصدرة عن الصف ردّه إليه ، واحذر أن تأتي أمراً إلاّ عن بصيرة وعلم ، ولا تدخل في عمل لا تعرف حكمه عند الله ، وأدّ الحقوق في الدنيا فإنه لا بدّ من أدائها فإن أذيتها هنا شكر الله فعلك وأفلحت ، وعليك بمخالفة أهل الكتاب وكل من ليس على دينك ولو كان خيراً فاطلب على ذلك في الشرع فإذا وجدته مجملاً أو معيناً فاعمل به من حيث ما هو مشروع لك تكن مؤمناً ، وإذا رأيت ما تنكره ولا تعرفه فسلمه إلى صاحبه ولا تعترض عليه فإن الله ما ألزمك إلاّ بما تعرف حكم الله فيه بحكم الله ، ولا تنظر إلى إنكارك فيه مع عدم علمك به فقد يكون ذلك الإنكار من الشيطان وأنت لا تعرف ، ورأيت كثيراً من الناس يقعون في مثل هذا ، وإياك والاعتداء في الدعاء والظهور فإن ذلك مذموم وليس بعبادة ، ومثل الاعتداء في الدعاء أن تدعو بقطيعة رحم وشبه ذلك ، والاعتداء في الظهور الاسراف في الماء والزيادة على الثلاث في الوضوء ، وإذا توضأت فاعزم أن تجمع بين مسح رجليك وغسلهما فإنه أولى ولا تترك شيئاً من سنن الوضوء فإن من سننه ما فيه خلاف بين وجوبه وعدم وجوبه كالمضمضة والاستنشاق والاستنثار .

وإذا صليت فاسكن في صلاتك ولا تلتفت يميناً وشمالاً ولا تعبت بلحيتك في الصلاة ولا بشيء من ثيابك ولا تشتمل الصماء في الصلاة وليكن ظهرك مستويّاً في ركوعك ولا تدبج كما تدبج الحمار ، واحذر أن تكون مكاساً وهو العشار أو مدمن خمر أو مصرأً على معصية ، وإياك والغلول والربا ، وعليك بالدعاء بين الأذان والإقامة ، وعليك بذكر لفظة الله الله من غير مزيد فإن نتيجة هذا الذكر عظيمة ، قلت لبعض الحاضرين مع الله من شيوخنا وكان ذكره الله الله من غير مزيد فقلت له : لم لا تقول لا إله إلاّ الله؟ أطلب ذلك الفائدة منه فقال لي : يا

ولدي أنفاس المتنفس بيد الله ما هي بيدي وكل حرف نفس فنخاف إذا قلت لا أريد لا إله إلا الله فربما يكون النفس بلا آخر نفسي فأموت في وحشة النفي، وكلمة الله فيها من الفائدة ما لا يكون في غيرها فإنه ما ثم كلمة تحذف منها حرفاً فحرفاً إلا ويختل ما بقي إلا هذه الكلمة كلمة الله فلو زال الألف بقي لله كلمة مفيدة، ولو زالت اللام الأولى بقي له وقد قال: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ﴾ [الحديد: ١] وقال: ﴿لَمْ يَكُنْ لَكَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ﴾ [الحديد: ٢] فلو زال اللامان والألف بقي الها وهو قولك هو وقد جاء: ﴿هُوَ اللهُ﴾ [الإخلاص: ١] وفي غير هذه الكلمة فيما أظن ما تجد غير هذا، وكان رجلاً أمياً من عامة الناس وكان نظره مثل هذا واعتباره، وعليك بالتباهي في الأمور الدينية وتزيين المصاحف والمساجد، ولا تنظر إلى قول الشارع في ذلك أنه من أشراط الساعة كما يقول من لا علم له فإن رسول الله ﷺ ما ذم ذلك، وما كل علامة على قرب الساعة تكون مذمومة، بل ذكر رسول الله ﷺ للساعة أموراً ذمها وأموراً حمدها وأموراً لا حمد فيها ولا ذم. فمن علامات الساعة المذمومة أن يعق الرجل أباه ويبرّ صديقه وارتفاع الأمانة، ومن المحمودة التباهي في المسجد وزخرفتها فإن ذلك من تعظيم شعائر الله ومما يغيظ الكفار، ومما ليس بمحمود ولا مذموم كنزول عيسى عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة فهذه من علامات الساعة ولا يقترن بها ذم ولا حمد لأنها ليست من فعل المكلف، وإنما يتعلق الذم والحمد بفعل المكلف، فلا تجعل علامات الساعة من الأمور المذمومة، كما يفعله من لا علم له، ورأيت من القائلين بذلك كثيراً. وحافظ على الصف الأول في الصلاة ما استطعت فإنه قد ثبت لا يزال قوم يتأخرون عن الصف الأول حتى يؤخرهم الله في النار وإذا دعوت الله فلا تستبطن الإجابة، ولا تقل إن الله ما استجاب لي فإنه الصادق وقد قال: ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا﴾ [البقرة: ١٨٦] فقد أجابك إن كان سمع إيمانك مفتوحاً فقد سمعتهم وإلا فاتهم إيمانك بذلك، فإن دعوت بإثم أو قطيعة رحم فإن مثل هذا الدعاء لا يستجيب الله لصاحبه فإنه تعالى قد شرع لنا ما ندعوه فيه وهذا هو الاعتداء في الدعاء، وأن الله يستجيب للعبد ما لم يقل العبد الداعي لم يستجب لي فإنه إذا قال: لم يستجب لي فقد كذب الله في قوله: ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾ ومن كذب الله فليس بمؤمن وله الويل مع المكذبين إلا أن يتوب. وعليك إذا لم تواصل صومك بتعجيل الفطر وتأخير أكلة السحور، وأما العبد إذا صلى أقبل الله عليه في صلاته ما لم يلتفت فإذا التفت عرض الله عنه، وكان لما التفت إلا إذا التفت لأمر مشروع ليقم بذلك الالتفات أمراً يختص بالصلاة كالتفات أبي بكر لما سبح به عند مجيء رسول الله ﷺ فذلك ما عرض عن الله. واجتنب دخول المسجد إن كنت جنباً وقراءة القرآن ومس المصحف وكذلك الحائض فإنه أخرج عن الخلاف، وكلما قدرت أن لا تفعل فعلاً إلا ما يكون الإجماع عليه فهو أولى ما لم تضطر إليه مثل اجتناب أكل ثمن الكلب وكسب الحجام وحلوان الكاهن ومهر البغي. ولا تقبل صدقة إن كنت ذا غنى أو قادراً على الكسب، وإياك أن تتقدم على قوم إلا بإذنهم. ولا تروع مسلماً بما يروعه منك أي شيء كان، وعليك بمجالس الذكر ولا تصدق إلا بطيب أعني بحلال، وإن

كنت مجاوراً بالمدينة فلا يخرجك منها ما تلقاه من الشدة فيها من الغلاء والأواء، ولا ترد أهل المدينة بسوء بل ولا مسلم أصلاً، وإذا أصبت من جهة فاجتنبها. وانظر في محاسن الناس ولا تنظر من إخوانك من المؤمنين إلا محاسنهم فإنه ما من مسلم إلا وفيه خلق سيء وخلق حسن، فانظر إلى ما حسن من أخلاقه ودع عنك النظر فيما يسوء من أخلاقه. وإذا صليت فأقم صلبك في الركوع والسجود واشكر الله على قليل النعم كما تشكره على كثيرها، ولا تستقل من الله شيئاً من نعمه، ولا تكن لعاناً ولا سباباً، وإياك وبغض من ينصر الله ورسوله أو يحب الله ورسوله، ولقد رأيت رسول الله ﷺ سنة تسعين وخمسمائة في المنام بتلمسان وكان قد بلغني عن رجل أنه يقع في الشيخ أبي مدين وكان أبو مدين من أكابر العارفين وكنت أعتقد فيه وكنت فيه على بصيرة فكرهت ذلك الشخص لبغضه في الشيخ أبي مدين، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: لم تكره فلاناً؟ فقلت: لبغضه في أبي مدين، فقال لي: أليس يحب الله ويحبني؟ فقلت له: بلى يا رسول الله إنه يحب الله ويحبك، فقال لي: فلم بغضته لبغضه أبا مدين وما أحببته لحبه الله ورسوله؟ فقلت له: يا رسول الله من الآن إنني والله زلت وغفلت والآن فأنا تائب وهو من أحب الناس إليّ فلقد نهبت ونصحت صلى الله عليك، فلما استيقظت أخذت معي ثوباً له ثمن كثير أو نفقة لا أدري وركبت وجئت إلى منزله فأخبرته بما جرى فبكى وقبل الهدية وأخذ الرؤيا تنبيهاً من الله فزال عن نفسه كراهته في أبي مدين وأحبه، فأردت أن أعرف سبب كراهته في أبي مدين مع قوله بأن أبو مدين رجل صالح فسألته فقال: كنت معه ببجاية فجاءته ضحياً في عيد الأضحى فقسمها على أصحابه وما أعطاني منها شيئاً فهذا سبب كراهتي فيه ووقوعي والآن قد تبت. فانظر ما أحسن تعليم النبي ﷺ فلقد كان رقيقاً رقيقاً. وإذا استرعاك الله رعية مسلمين أو أهل ذمة فإياك أن تغشهم ولا تضم لهم سوءاً وانظر فيما أوجب الله عليك من الحقوق لهم فأدها إليهم وعاملهم بها ظاهراً وباطناً سراً وعلانية، ولا تجعل ذمياً خصمك يوم القيامة، وإذا رأيت من أحد حالة سيئة يطلب أن تستر عليه فاستره فيها ولم لم يرد الستر فاسترها أنت عليه على كل حال، وإذا أكلت طعاماً فلا تأكل أكل الجبارين متكئاً وكل كما يأكل العبد فإنك عبد على مائة سيدك فتأدب، وإذا رأيت من يطلب ولاية عمل فلا تسع له في ذلك فإن الولاية مندمة وحسرة في الآخرة وقد أمرك الله بالنصيحة، وإذا رأيت قوماً ولوا أمرهم امرأة فلا تدخل معهم في ذلك.

وصية: لا تسبق إلى فضيلة إذا وجدت السبيل إليها وانظر في الدنيا نظر الراحل عنها والمطالب بما نال منها، وإذا نكحت فأولم بما قدرت عليه، وإذا نمت أو دخلت بيتك أو أكلت أو شربت أو فعلت فعلاً فسم الله عليه واذكره وتناول بيمينك أمورك كلها إلا ما ورد فيه النهي من الشارع أو ما يجري مجرى النهي مثل الاستنجاء ومسك الذكر باليمين أيضاً عند البول والامتخاط فاجعل ذلك كله بيسارك، وإذا أكلت مع جماعة طعاماً واحداً فكل مما يليك، وإذا اختلف الطعام فكل من حيث شئت، وقلل النظر إلى من يأكل معك وصغر اللقمة وشدد المضغ وسم الله في أول كل لقمة واحمد الله في آخرها إذا ابتلعها واشكر الله حيث

سَوَّغَها، ولا تكثر الشره في الأكل وتعاهد المشي إلى المساجد مساجد الجماعات في أوقات الصلوات ولا سيما العتمة والصبح من غير سراج تبشر بالنور التام يوم القيامة، وإذا سمعت من يعطس وحمد الله فشمتته، وإن لم يحمد الله فذكره بحمد الله فإذا حمد الله فشمتته، فإذا زاد في العطاس على ثلاثة فهو مزكوم فادع الله له في الشفاء، وإياك أن تخون من خانك ولا تعتمد على من اعتدى عليك فإن ذلك أفضل لك عند الله، وأعذر ولا تعتذر فإن اعتذارك يتضمن سوء ظنك بمن اعتذرت له، وابدأ في المعاملة مع الخلق بالأولى فالأولى، وإذا تساوت الأمور وابدأ الله بذكر شيء منها فابدأ بما بدأ الله به كما فعل رسول الله ﷺ في حجته لما أراد أن يسعى بين الصفا والمروة وقف على الصفا وقرأ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨] «أَبْدَأْ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ» .

وإذا قمت في عبادة الله فاعمل نشاطك فإذا كسلت فاترك ولا تكن من الذين إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى، وإذا صليت وأحد ينظر إليك فانو في تحسين صلاتك تعليمه، واخلص لله عبادتك فإنه لو أمرك أن تعبده إلا مخلصاً، وافعل ما أوجب الله عليك فعله ولا بد سواء كسلت أو كنت نشيطاً، وإنما أمرتك بالترك في النوافل، ولا تعبد الله بكسل، وانتقل إلى نافلة غيرها، ولا تحسن صلاتك في الملاء دون الخلا فإن فعل ذلك من فعله فإن ذلك الفعل استهانة استهان بها ربه كذا ثبت . وإن كنت ممن يصلح للإمامة فصل خلف الإمام فإنه إن أحدث الإمام في الصلاة استخلفك وإن لم تكن من أهلها فصل يمين الصف أو يساره، وحافظ على الصف الأول، وإذا رأيت فرجة في الصف فسدها بنفسك فلا حرمة لمن رآها وتركها وتخط رقاب الناس إليها، وسارع إلى الخيرات وكن لها سابقاً ونافس فيها قبل أن يحال بينك وبينها، وإياك أن تتخلى في طريق الناس أو في ظلهم ولا تحت شجرة مثمرة ولا في مجالس الناس، ولا تبل في هوى ولا في حجر ولا في ماء دائم ثم تتوضأ منه أو تغتسل فيه . واتق الله في زوجتك وولدك وخادمك وفي جميع من أمرك الله بمعاملته، واحذر فتنة الدنيا والنساء والولد والمال وصحبة السلطان واتق الله في البهائم، واجعل من صلاتك في بيتك وعين في بيتك مسجداً لك تتنفل فيه وتصلي فيه فريضتك إن اضطرت إلى ذلك، وأكثر من قراءة القرآن بتدبر إن كنت عالماً فإنه أرفع الأذكار الإلهية، وإن كنت في جماعة يقرؤون القرآن فاقراً معهم ما اجتمعتم عليه فإن اختلفتم فقم عنهم، وحافظ على قراءة الزهراوين البقرة وآل عمران، وإذا شرعت في قراءة سورة من القرآن فلا تتكلم حتى تختمها فإن ذلك دأب العلماء الصالحين . ولقد حدثني غير واحد بقربة عن الفقيه ابن زرب صاحب الخصال أنه كان يقرأ في المصحف سورة من القرآن فمرّ عليه أمير المؤمنين من بني أمية فقبل للخليفة عنه فمسك فرسه وسلّم عليه وسأله فلم يكلمه الشيخ حتى فرغ من السورة ثم كلمه فقال له الخليفة في ذلك فقال: ما كنت لأترك الكلام مع سيدك وأكلمك وأنت عبده هذا ليس من الأدب ثم ضرب له مثلاً به وبعبده فقال: رأيت لو كنت في حديث معك وكلمني بعض عبيدك أيحسن مني أن أترك الكلام معك وأقطعك وأكلم عبدك؟ قال لا، قال: فإنك عبد الله فبكى الخليفة .

ولقيت جماعة على ذلك من شيوخنا منهم أبو الحجاج الشيرلي بإشبيلية وكان كثيراً ما يقرأ القرآن في المصحف إذا خلى بنفسه .

وإذا دخلت على مريض أو ميت فاقراً عنده سورة يس فإنه اتفق لي فيها صورة عجيبة ،
وعليك بالصلاة في النعال إذا لم يكن بها قدر والمشي فيها ، واستوص بطالب العلم خيراً
وبالنساء واعتدل في السجود إذا سجدت في الصلاة أو في القراءة ، ولا تبسط ذراعيك في
سجودك كما يفعل الكلب ولا تكلف نفسك من العمل إلا ما تطيقه وتعلم أنك تدوم عليه ،
وإذا حضرت عند ميت فلقنه لا إله إلا الله ولا تسىء الظن به إذا لم يقل ذلك أو يقول لا فإني
أعلم أن شخصاً بالمغرب جرى له مثل هذا وكان مشهوراً بالصلاح فلما أفاق قيل له ذلك
فقال : ما كنت معكم وإنما جاءني الشياطين في صورة من سلف ودرج من آبائي وإخواني
فكانوا يقولون لي : إياك والإسلام مت يهودياً أو نصرانياً فكنت أقول لهم : لا حين سمعتموني
أقول لا إلى أن عصمني الله منهم ، وإذا كان لك صاحب فعده إن مرض وصل عليه إن مات
وشيع جنازته وإذا شيعت جنازة فلا تنصرف عن قبره وقف ساعة قدر ما يسأل فإنه يجد
لوقوفك أنساً ، وإن حملت جنازة فأسرع بها فإن كان خيراً سارعت بها إليه وإن كان شراً
حططته عن رقبته ، ولا تذكر مساوىء الموتى ، وغطّ الإناء الذي تشرب منه وأطف السراج
عند نومك وأغلق بابك إذا أردت النوم فإن الشياطين لا تفتح باباً مغلقاً ، وقرأ آية الكرسي عند
نومك وسدد في الأمور وقارب ما استطعت فاعمل الخير ولا تقل إن كان الله كتبني شقياً فأنا
شقي وإن كان كتبني سعيداً فأنا سعيد فلا أعمل ، فاعلم أنك إذا وفقت لعمل الخير فهو بشرى
من الله أنك من السعداء فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً ، وأن الله يقول : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى
وَأَنْفَى ۝۵ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۝۶ فَسَنِّيَرُهُ لِلْعُسْرَى ۝۷ وَأَمَّا مَنْ كَبَلَ وَاسْتَعْتَنَ ۝۸ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۝۹
فَسَنِّيَرُهُ لِلْعُسْرَى ۝۱۰ ﴾ [الليل] . وقال ﷺ : « اَعْمَلُوا وَاتَّكِلُوا » وكل ميسر لما يسر له فمن خلق
للنعيم فسييسره للعسرى ومن خلق للجحيم فسييسره للعسرى ، وأنزل كل أحد منزلته تكن
عادلاً ، وارك حقاك لأخيك ما استطعت وأقل عثرات أهل المروءات والهيئات إلا في إقامة
الحدود المشروعة إن كنت حاكماً ذا سلطان ، وإن كنت ذا ثروة وحظ من الدنيا فارتبط فرساً
أو جملاً في سبيل الله وامسح بنواصيها وأعجازها وقلدها ولا تقلدها وتراً ولا جرساً ، وجاهد
بمالك ونفسك من أشرك بالله واشفع إلا في حد إذا بلغ إلى الحاكم ، والبس البياض من
الثياب فإنه خير لباس المؤمن وأطهره ، وأطيبه وكفن الميت فيه ، وإذا جاءك سائل في العلم أو
غيره فلا تنهره ولا تخيب من جاء يسترفدك مما فضلك الله عليه من الرزق وأكثر من زيارة
القبور ولا تكثر الجلوس عندها ولا تقبل هجرأ بل اجلس ما دمت تعتبر وتذكرك الآخرة ، ولا
تؤذ أصحاب القبور بالحديث عندها في أمور الدنيا ، وبلغ عن رسول الله ﷺ ولو خيراً واحداً
أو آية فإنك تحشر بذلك في زمرة العلماء المبلغين ، ومر الصبي بالصلاة لسبع سنين واضربه
عليها لعشر سنين وفرق بين الصبيان في المضاجع ، وإياك أن تفضي إلى أخيك في الثوب
الواحد ، وتابع بين الحج والعمرة وإن جاورت بمكة فأكثر من الاعتمار والطواف ولا سيما في

رمضان فإن عمرة في رمضان تعدل حجة، هذا هو الثابت، وأكثر من أكل الزيت والأدهان به، وإذا اشترت طعاماً فاكتله، واجتنب السبع الموبقات وهي: الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل مال اليتيم وأكل الربا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات.

وصية: عليك بكثرة السجود والجماعة وإن قدرت أن تسكن الشام فإن رسول الله ﷺ ثبت عنه أنه قال: «عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ فَإِنَّهَا خَيْرَةٌ اللهُ مِنْ أَرْضِهِ وَإِلَيْهَا يَجْتَبِي خَيْرَتَهُ مِنْ عِبَادِهِ» وإياك والحديث بالظن فإن الظن أكذب الحديث، إياك والحسد ولا تجلس على الطرقات ولا تدخل على النساء المغنيات، وإذا بعث فلا تكثر من اليمين على سلعتك، وإياك أن تتقلد أمراً من أمور المسلمين فإن أُلجئت إلى ذلك ولا بدّ فلا تحكّم بين اثنين وأنت غضبان ولا وأنت حاقن ولا جائع ولا أنت مستوفز لأمر لا بدّ لك منه، وأعدّل بين رجلين إذا انتعلت أو وضعت إحدى رجلين على الأخرى، واعلم أن جوارحك من رعيتك فاعدل فيها فإن الله أمرك بالعدل فيمن استرعاك، وإن كنت مملوكاً فلا تقل لما لك ربك وقل سيدي، وإن كان لك مملوك أو مملوكة فلا تقل عبدي ولا أمتي وقل غلامي وجاريتي، ولا تقل لأحد مولاي فإن المولى هو الله، وقد نهيت أن تقول خبثت نفسي وقل لقسست نفسي، وإذا طلب مولاي فإن المولى هو الله، وقد نهيت أن تقول خبثت نفسي وقل لقسست نفسي، وإذا طلب منك جارك أن يغرز خشبة في جدارك فلا تمنعه ولا تنظر في عورة أحد ولا في بيته إلا بإذنه، ولا تصحب إلا من تجد في صحبته الزيادة في دينك وإيمانك، وقدم في معروفك كل تقوي ولا تعط الفاجر ما يستعين به على فجوره، وإن كانت لك زوجة وضربتها لأمر طراً منها فلا تجامعها من يومها، وإياك أن تسأل شيئاً سوى الله إلا الله في جنته ورؤيته، وأما في شيء من عرض الدنيا فلا، وإن ركب البحر فلا تركبه إلا حاجاً أو معتمراً. ولا تخطب امرأة على خطبة أخيك ولا تسم على سومه حتى يذر، وإن كنت ضيفاً عند قوم فلا تصم إلا بإذنهم، وإن كنت في خدمة شيخ فلا تصم ولا تتحرك في شيء إلا بإذنه، والمرأة لا تصوم إلا بإذن زوجها صوم النافلة أو قضاء شهر رمضان، ولا يأذن في بيت زوجها إلا بإذنه إذا كان حاضراً، ولا تسأل المرأة طلاق أختها لتتكح بعلمها، ولا تسافر امرأة فوق ثلاث إلا مع ذي محرم، وإذا دعوت في المغفرة فاعزم المسألة ولا تقل اغفر لي إن شئت، واطلب رحمة الله وغفرانه ولا تستكثر شيئاً تسأله من الله فإن الله كبير عنده فوق ما تأمل، وإياك أن تتصرف في مال أخيك إلا بإذنه، وإذا أصبحت في كل يوم فقل: اللهم إني تصدقت بعرضي على عبادك، اللهم من أذاني أو شتمني أو أغضبني أو فعل معي أمراً يفضي إلى الحكم فيه أشهدك يا رب أني قد أسقطت طلبتي عنه في ذلك دنيا وآخرة، وإذا شربت ماء فاشرب قاعداً، ولا تقل يا خيبة الدهر فإن الله هو الدهر، هذا ثابت عن رسول الله ﷺ، وإياك أن تبرز فخذك حتى يرى منك، ولا تنظر إلى فخذ حي ولا ميت، وإياك أن تقعد على قبر ولا تصل وأنت تستقبله أو تستقبل إنساناً في صلاتك ووجهه إليك، ولا تتخذ القبر مسجداً ولا تتمن الموت لصرّ نزل بك بل قل: اللهم أحيني ما كانت الحياة

خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي، وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضني إليك غير مفتون .
انتهى السفر السادس والثلاثون من الفتوح المكي .

[السفر السابع والثلاثون]

وصية: لا تكن وصياً ولا رسول قوم ولا سيما بين الملوك ولا شاهداً، واحذر إذا اغتسلت أن تبول في مستحملك بل اعتزل عنه وبل ولا تنذر ما استطعت فإن نذرت فأوف بندرك فإن رسول الله ﷺ قد شهد بالبخل لمن نذر، وإياك أن تتمنى لقاء العدو فإذا لقيته فاثبت ولا تفر، وإياك وسب المؤمنين ولا سيما الصحابة على الخصوص فإنك تؤذي النبي ﷺ في أصحابه، ولا تسب الرياح فإن الريح من نفس الرحمن ولكن سل الله خيراً وخير ما أرسلت به، واستعد بالله من شرها وشر ما أرسلت به، وإذا لبست ثوباً جديداً فسم الله وقل: اللهم أعطني خيره وخير ما صنع له واكفني شره وشر ما صنع له، ولا تصل إلى النائمين إذا كانوا في قبلك، وإياك ولباس ما حرّم الشرع عليك لباسه كالحرير والذهب ولا تجلس على الحرير، وإذا لقيت ذمياً فلا تبدأ بالسلام واضطره إلى أضيّق الطريق، وانه أنت تسمي العنبة الكرم بل قل العنبة والحبله ولا تقل الكرم فإنه ثبت عن رسول الله ﷺ في ذلك: «لا تُسْمُوا الْعَنْبَ الْكَرْمَ فَإِنَّ الْكَرْمَ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ» فلا تقولوا الكرم وقولوا العنب والحبله، وإياك أن تصر الإبل والغنم إذا أردت بيعها إلا أن تعلم المشتري بأنها مصراة، وإياك أن تحلف بغير الله جملة واحدة. ولا تكفر أحداً من أهل القبلة بذنب إلا من كفره رسول الله ﷺ، وإن كانت لك زوجة تريد الصلاة في مسجد الجماعة فلا تمنعها من ذلك ولكن عرفها أن بيتها خير لها، وأفضل، واحذر أن تدعو على نفسك في غيظ ولا غير غيظ ولا على ولدك ولا على خادمك ولا على مالك، ولا تكره المريض على الطعام، وإياك أن تعذب بالنار أحداً، وإذا أكلت لحماً فانهسه ولا تقطعه بسكين .

وصية: إذا حضر الطعام والصلاة فابدأ بالطعام، وإياك والصلاة وأنت حاقن تدافع الأخبثين، وإذا أمرك من فرض الله عليك طاعته بمعصية فلا تطعه وإياك وما يعتذر منه فما كل من أورثته تكريهاً أو سعته عذراً، واصغ إلى من يحدثك وإن كان نزرأ فإن لكل أحد عند نفسه قدراً فإنك تأخذ بقلبه بذلك ويكون لك لا عليك وأن الله قد أمرك بالتحبب وهذا من التحبب إلى الناس، وإذا كانت لأحد عندك شهادة لا يعرفها وقد اضطر إليها فعرفه بها، وامنح أخاك الفقير منحة ما قدرت عليها فإن أجرها عظيم، وليكن خوفك من الله ورجاؤك فيه بالإيمان على السواء وغلّب الرجاء وحسن الظن بالله واطمع في رحمته فإنه ثبت عن رسول الله ﷺ: «لَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدًا» وإياك أن ترد الهدية ولا تحقرها ولو كانت ما كانت، وعليك بالتوبة إلى الله مع الأنفاس، وإذا شاركت أحداً في شيء فلا تخنه، وإذا فعلت فعلاً فحسنته فإن الله كتب الإحسان على كل شيء، وعليك بالتواضع وعدم الفخر على أحد قال علي بن أبي طالب القيرواني في ذلك: [البسيط]

النَّاسُ مِنْ جِهَةِ التَّمَثِيلِ أَكْفَاءُ أَبُوهُمُ آدَمَ وَالْأُمَّ حَوَاءُ
فَإِنْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ أَضْلِهِمْ نَسَبٌ يُفَاخِرُونَ بِهِ فَالطَّيْنُ وَالْمَاءُ
مَا الْفَضْلُ إِلَّا لِأَهْلِ الْفَضْلِ إِنَّهُمْ عَلَى الْهُدَى لَمَنْ اسْتَهْدَى أَدْلَاءُ
وَقَدْرُ كُلِّ امْرِيٍّ مَا كَانَ يُخْسِنُهُ وَالْجَاهِلُونَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَغْدَاءُ

لا فخر إلا بتقوى الله فإنه نسب الله الذي بينه وبين عباده، وإياك والقييل والقال فيما لا ينبغي ولا يعني لكن في إيصال الخير خاصة، وإياك وكثرة السؤال إلا في البحث عن دينك الذي في علمك به سعادتك ﴿فَسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣] وقد علمت أنه ما لأحد حركة ولا سكون ولا دخول ولا خروج إلا وللشرع فيها حكم من أحد الأحكام الخمسة، فإذا لم تعلم فاسأل عن كل شيء تكون فيه ما حكم الشرع فيه، واطلب على رفع الحرج ما استطعت وغلب الحرمة وخذ بالعزائم في حق نفسك، وإياك وإضاعة المال وهو إنفاقه في معصية الله ومن إنفاقه في معصية الله إعطاؤه لمن تعلم منه أنه يخرجها فيما لا يرضي الله، فإن لم يعلم ذلك فلا بأس، ولا تفارق أحداً وهو على ما لا يرضي الله وتعتقد فيه أنه باق على ما فارقت عليه لا سبيل إلى ذلك وإنما ذلك في الأحكام المشروعة فإنهم يرون استصحاب الحال المعلومة من الشخص حتى يقوم لهم دليل على زوالها فيستصحبون أيضاً فيما رجع إليه حتى يدل له دليل على ذهابه، وإياك أن تكون معتناً، ولا متعنتاً ولا منفراً ولا معسراً وكن ميسراً ومعلماً ومبشراً وإياك أن تأتي الفواحش الظاهرة والباطن فإن الله أحق من يستحي منه، ولا تغتر إذا كنت على طريقة غير مرضية بما يملي الله لك فإن الله يقول: ﴿إِنَّمَا نُمِّلْ لَكُمْ لِيَرَدَّوْا إِقْسَامًا وَلَكُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٨] فاحذر مكر الله بك في ذلك ﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧] وإياك وكل مزيل للعقل مثل شرب الخمر وغيره، وإياك والتصنع في الكلام، ولا تقرأ القرآن في صلاتك راعياً ولا في حال سجودك بل قل في ركوعك: سبحان ربي العظيم وبحمده وعظم ربك فيه، وفي سجودك: سبحان ربي الأعلى وبحمده وأدنى القول من ذلك ثلاث مرات إلى ما فوقها.

وصية: عليك بكثرة الاستغفار ولا سيما بالأسحار في حقك وفي حق غيرك فله ملائكة يستغفرون لمن في الأرض عموماً، والله ملائكة يستغفرون للذين آمنوا خصوصاً في كل حال وعند القيام من مجالس تحدثك، وعلبك بالصدق في الموضع المشروع لك الصدق فيه ولا تجبن ولا تخف واجتنب الكذب في الموضع المشروع لك اجتنابه، وخف ثلاثة: خف الله وخف نفسك وخف من لا يخاف الله، وإن كنت خطيباً إماماً فقصر الخطبة وأطل صلاة الجمعة فإن ذلك من فقه الرجل، وعلبك بالحضور مع الله والنية الصالحة في كل ما عمله من عمل وعلبك بإكرام ذي الشبهة فإن الله يستحيي من ذي الشبهة، وعلبك بإكرام حملة القرآن وإكرام الحاكم العادل، وإياك والدين فإنه فكرة بالليل وذلة بالنهار واحذر أن يقيمك لعبادة ربك شيء من زينة الحياة الدنيا فإنك لمن أقامك ولا لأغراض النفوس فإن الأغراض أمراض حاضرة فإنه ممّا روينا في مثل ذلك: أن رجلاً من الأبدال كان يمشي في الهواء مع أصحابه

فمروا على روضة خضراء فيها عين خراة فاشتبهى أن يتوضأ من ذلك الماء ويصلي في تلك الروضة فسقط من بين الجماعة وتركوه وانصرفوا وانحط عن رتبتهم بهذا القدر، فانظر في هذا السر ما أعجبه فإن فيه معنى دقيقاً، وقد وعظك الله به إن كنت اتعظت، وإن استطعت أن لا تمر عليك ساعة من ليل أو نهار إلا وأنت داع فيها ربك فافعل. وإذا أدبت زكاة فانو في أدائها أداء حق تدفعه لو كليل صاحب الحق وهو العامل عليها الذي نصبه الحق، ولا تدفع زكاتك لغير عامل السلطان إلا بأمر السلطان فتكون أنت عين العامل عليها فلا تبرأ ذمتك إلا إن فعلت ما ذكرته لك، وإن ظلم العامل أربابها المسؤول عن ذلك لا أنت، وقد دخل على الناس في هذا شبهة لا يعرفونها إلا في الدار الآخرة، واحذر أن تتصدق على شريف من أهل البيت وأنو فيما توصله إليهم الهدية لا الصدقة فإنك إن نويت الصدقة عليهم أثمت إلا أن تعرفهم بذلك فإن أكلوا صدقتك فقد أثموا بأكلها وأثمت أنت حيث أعطيتهم ما لا يجوز لك أن تعطيه إياهم وتخيلت القرب في عين البعد، وإياك أن تخوص في مال الله بغير حق، وإياك أن تنتفي عن أبيك كان من كان، ولا تتبع عورات الناس ولا مثاليهم واشتغل بنفسك وحسن أدب ابنك واسمه، وإن ابتليت بصحبة الزوجة فدارها وتنزل من عقلك إلى عقلها فإن ذلك من كمال عقلك، فعامل كل شخص من حيث هو لا من حيث ما أنت عليه، فإن الغالب على النساء أنهن لا يستطعن أن يبلغن مبلغ الرجال الكمل إلا من جاء النص بكاملهما وهما مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون فإن النص فيهما بالكامل من النبي ﷺ. وعليك بالعدل في الحكم وأطفئ النار إذا فرغت من حاجتك إليها، وعليك باستعمال الحبة السوداء وهو الشونيز فإنها شفاء من كل داء إلا السام والسم الموت، ولقد ابتلي عندنا رجل من أعيان الناس بالجدام وقال الأطباء بأجمعهم لما أبصروه وقد تمكنت العلة منه: ما لهذا المرض دواء فرآه رجل من أهل الحديث من بني عفير من أهل أيلة يقال له سعد السعود وكان عنده إيمان بالحديث عظيم يقطع به فقال له: يا هذا لم لا تطب نفسك؟ فقال له الرجل: إن الأطباء قالوا: ليس لهذا العلة دواء، فقال: كذبت الأطباء والنبي ﷺ أصدق منهم وقد قال في الحبة السوداء أنها شفاء من كل داء وهذا الداء الذي نزل بك من جملة ذلك ثم قال: علي بالحبة السوداء والعسل فخلط هذا بهذا وطلى بهما بدنه كله ورأسه ووجهه إلى رجله وألقه من ذلك وتركه ساعة ثم أنه غسل ذلك عنه فانسلخ من جلده ونبت له جلد آخر ونبت ما كان قد سقط من شعره وبرىء وعاد إلى ما كان عليه في حال عافيته، فتعجب الأطباء والناس من قوة إيمانه بحديث رسول الله ﷺ، وكان رحمه الله يستعمل الحبة السوداء في كل داء يصيبه حتى في الرمذ إذا رمد عينه اكتحل بها فيبرأ من ساعته.

وصية: ادفع عن عرض أخيك المسلم ما استطعت ولا تخذله إذا انتهكت حرمة فإنه ثبت عن رسول الله ﷺ: «ما من امرئ مسلم يخذل امرأ مسلماً في موضع تُنتهك فيه حرمة ثم يئنقص به من عرضه إلا خذله الله في موضع يُحبُّ نُصرتَه» وما رأيت أحداً تحقق بمثل هذا في نفسه مثل الشيخ أبي عبد الله الدقاق بمدينة فاس من بلاد المغرب ما اغتاب أحداً قط ولا

اغتیب بحضرتہ أحد قط وكان هذا عن نفسه وربما كان يقول : لم يكن بعد أبي بكر الصديق صديق مثلي ويذكر هذا وكان نعم السيد ، خرج ذكره ومناقبه شيخنا أبو عبد الله محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمي الفاسي الإمام بالمسجد الأزهر بعين الخيل من مدينة فاس في كتاب له سماه المستفاد في ذكر الصالحين من العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد سمعنا هذا الكتاب عليه وبقراءته أظن سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة ، إذا لقيت أحداً من المسلمين فصافحه إذا سلمت عليه ولا تنحن له كما تفعله الأعاجم فإن ذلك عادة سوء ، وقد ورد أن رسول الله ﷺ قيل له : إذا لقي الرجل الرجل أينحنى له؟ قال : « لا » ، قيل له : أیصافحه؟ قال : « نعم » . وقد ثبت أنه قال : « ما من مسلمین يتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا » .

وأوص أهلک وبناتک ونساء المؤمنین أن لا یخلعن ثيابهن في غير بيوتهن ، وإياک أن تبيت ليلة إلا ووصيتک عند رأسک مكتوبة فإنک لا تدري إذا نمت هل تصبح في الأحياء أو في الأموات فإن الله یمسک نفس الذي قضى عليه الموت في النوم إذا هو نام ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى ، والتواضع للخلق رفعة عند الله ، ولا تكثر مجالسة النساء ولا الصبيان فإنه ينقص من عقلک بقدر ما تنزل إلى عقولهم مع الفتنة التي يخاف منها في مجالسة النساء وأوص نساءک أن لا یخضعن في القول فيطمع الذي في قلبه مرض ، وأن یقعدن في بيوتهن ويغضضن من أبصارهن ولا یبدین زینتهن إلا حيث أمرهن الله ، وإياک ودخول الخدام على نساءک فإنهم من أولي الإربة واحجب نساءک عنهم كما تحجبهم عن فحول الذکران فإنهم من الرجال ، وكن نعم المجلس للملك القرين الموکل بك واصغ إليه ، واحذر من المجلس الثاني الذي هو الشيطان ولا تنصر الشيطان على الملك بقبولک منه ما یأمرك به واخذله واستعن بقبولک من الملك عليه ، وأكرم جلساءک من الملائكة الكرام الكاتبين الحافظين عليك فلا تمل عليهم إلا خيراً فإنک لا بد لك أن تقرأ ما أمليته عليهم ، واحذر من بسط الدنيا عليك إذا بسطها الله أن تتصرف فيها أو تصرفها في غير طاعة الله ولا تعص الله بنعمه ، وإن من شكر النعمة أن تطيع الله بها وتستعين بها على طاعة الله ، وإياک والتنافس في الدنيا وأقلل منها ما استطعت ومن صحبة أهلها فإن قلوبهم غافلة عن الله بحبها ، وإذا غفل القلب عن الله لم ينطق اللسان بذكر الله إلا أن ذكره في يمين لا يكون فيها باراً أو يكون باراً أو فيما لا يجوز أن يذكره فيه ممّا یمقته الله على ذلك الذکر .

وصية : إياک والبطنة فإنها تذهب بالفطنة ، وكل لتعيش وعش لتطيع ربک ولا تعش لتأکل ولا تأکل لتسمن فما ملئ وعاء شرّ من بطن ملئ بحلال وعلیک بلقيمات یقمن صلبک ، وإذا صليت خلف إمام فاقتد به واتبعه فلا تكبر حتى یکبر ولا ترکع حتى یرکع ولا ترفع حتى یرفع ولا تسجد حتى یسجد وإذا أمن بعد الفراغ من الفاتحة فأمن ولا تختلف عليه ، وإذا كنت إماماً فاقتد بأضعف القوم ولا تطيل عليه حتى تکره إليه الصلاة بل خفف في تمام رکوع وسجود ، وإذا قرأت آية فانظر أين أنت منها ، وإذا سمعت الله يقول : يا أيها الناس أو يا أيها الذي آمنوا فكن أنت المخاطب وافتح له أذن فهمک لما يقول لك في هذا التأیه فكن في

قبول ذلك بحسب ما يقول إن نهاك الله وإن أمرتك فافعل منه ما استطعت، فإذا سمعت منه أمراً لا تستطيع فعله فما أنت المأمور به في تلك الحال فاعلم هذا ﴿تَأْتُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾ [التغابن: ١٦]. وإذا قال الإمام: سمع الله لمن حمده فاعتقد أن ذلك القول قاله الله على لسان عبده فقل أنت: ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه مباركاً عليه كما يحب ربنا ويرضى ملاء السموات وملاء الأرض وملاء ما بينهما وملاء ما شئت من شيء بعد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجند منك الجد، وقل ثلاث مرات في ركوعك: سبحان الله العظيم أو سبحان ربي العظيم وبحمده، وقل في سجودك ثلاث مرات: سبحان ربي الأعلى وبحمده وذلك أدناه، وقد ذهب ابن راهويه إلى أن المصلي إذا لم يقل ذلك ثلاث مرّات في ركوعه وثلاث مرّات في سجوده لم تجزه صلاته، وقد تقدمت إليك بالوصية أن تخرج من الخلاف ما استطعت، وإذا أردت الحج فأحرم بالحج أو قارن بين الحج والعمرة إن كان لك هدي، وإن لم لك هدي فأحرم بعمرة ولا بدّ متمتعاً واخرج من الخلاف إذا فعلت هذا وإن جهلت وأحرمت بالحج وما معك هدي فافسخ وردّها عمرة، هكذا أمر رسول الله ﷺ أصحابه في حجة الوداع أمر بالفسخ لمن لم يكن له هدي . وإذا حضرت عند مريض أو ميت فلا تقل إلا خيراً، وإذا رأيت إناء قد ولغ فيه كلب فبدده ولا تتوضأ بذلك الماء واغسل الإناء سبع مرّات والثامنة بالتراب أو الأولى إن شئت، ولا تدخل يدك في إناء وضوءك إذا قمت من النوم، واجتنب النجاسات أن تمس ثيابك، وإذا بلت فاستنثر من بولك، وإن كنت في سفر وجئت فلا تطرق أهلك ليلاً وابدأ بالمسجد فصل فيه ركعتين وحينئذ تنصرف إلى بيتك، ولا تفجأهم بالقدوم عليهم، وقدم بين يديك من يعرفهم ليلقوك بما يسرّك ويصلحوا من شأنهم ما تكره أن تراهم فيه، وإذا كان بين يديك طعام فوقع فيه ذباب فلا تزل الذباب عنه حتى تغمسه فيه فإن في جناحه الواحد داء وفي الآخر دواء لذلك الداء وهو أبدأ يرفع الجناح الذي فيه الدواء، وإذا ضربت فاجتنب ضرب الوجه أو قاتلته، وإذا أحببت أحداً فأعلمه بمحبتك إياه فإنك تجلب بذلك الإعلام محبته إياك فيحبك بلا شك ويرى لك، وإن مات لك ميت تتولى شأنه فأحسن كفنه وتكفينه واجعل في غسله سدرأ، وإن قدم إليك طعام في قصعة فكل من جوانبها ولا تأكل من أعلاها. وإذا مشيت إلى الصلاة فبوقار وسكينة من غير كبر، وامش كأنك تنحط في صيب فإن ذلك أنفى للكبر وأسرع لقضاء الحاجة، واحذر أن تصلي وأنت تدفع النوم بل نم فإن ذهب النوم فصل، ولقد كنت ليلة أصلي وأنا أدفع النوم فذهبت لأقرأ فسمعتني أسب نفسي بدلاً من القراءة فتركت الصلاة ونمت، ولا تنم قبل صلاة العتمة ولا تتحدث بعدها، وإذا ركعت ركعتي الفجر فاضطجع على شقك الأيمن وحينئذ تصلي الصبح، وإذا قعدت للتشهد فصل على محمد واستعد بالله من عذاب القبر وعذاب النار وفتنة المسيح الدجال وفتنة المحيا والممات، واجهد أن لا تترك هذا حتى تخرج من الخلاف بفعلك ما أمرتك به فإني ما أمرتك بأمر تفعله من عباداتك إلا لما أعرف في تركه من الخلاف بين العلماء، وأريد أن تأتي العبادة على أتم وجوهها ممّا لا

اختلاف فيه هذا غرضي في هذه الوصية بمثل هذه الأمور فلا تهمل شيئاً ممّا وصيتك به .

وصية: إياك أن تقترف ذنباً وأنت صائم فإنه يبطل صومك فالصوم لله لا لك فلا يراك في عمل هو له على ما لا يرضاه منك فلتكن على أحسن الحالات في صومك، وإن شاتمك أحد أو قاتلك فقل إني صائم فلا تجازه بفعله، وإن كان لك مال فاجهد أن تكون لك صدقة جارية توقفها على الناس لا تخصص بها طائفة من طائفة بل على المسلمين الذي تلفظوا بالشهادة أو ولدوا في الإسلام فإن هذه الأوقاف إن لم تكن على حدّ ما ذكرتها لكم وإلا أكل الناس حراماً ويكون الواقف هو الذي أساء في حقهم حيث اشترط شرطاً معيناً سوى الإسلام، فإن اشترط ولا بدّ فليشترط من يتظاهر بالخير في أغلب أحواله، وكذلك إن كان لك علم نافع في الدين فبثه في الناس لينتفع به كل سامع إلى يوم القيامة .

يا أخي إذا كان في يدك سيف وصلت فأراد أحد أن يتناوله منك فلا تناوله إياه حتى تغمده، الله إذا رأيت أحداً على عمل يكرهه الشرع من المسلمين فاكره عمله ولا تكره المسلم الذي هو العامل وإن كنت صادقاً في كراهيتك عمله فلا تعمل بمثله فإن عملت بمثله وكرهته من غيرك فأنت مرء بما ظهرت به من الكراهة لذلك، وهنا سرّ خفيّ ومكر دقيق يؤدي إلى ترك تغيير المنكر، وإذا كنت في سفر وأردت التعريس بالليل فاجتنب الطريق فإن الهوام بالليل تقصد الطريق فربما يؤذيك شيء منها، وقل إذا نزلت منزلاً: أعود بكلمات الله التامات كلها من شرّ ما خلق فإنه لن يضرّك شيء ما دمت في ذلك المنزل، أخبرني صاحبي عبد الله بدر الحبشي الخادم عن الشيخ ربيع بن محمود الحطاب المارديني قال: بتنا ليلة برأس العين في مسجد وبرأس العين عقارب تسمى الجرارات لا ترفع أذنانها إلا عند الضرب وهي قتالة ما ضربت أحداً فعاش فجاء شخص فبات في المسجد وذكر هذه الاستعاذة فضربته العقرب في تلك الليلة فقال للشيخ ربيع حديثه فقال له صحّ الحديث فإن الله قد رفع عنك الموت فإنها ما ضربت أحداً إلا مات، وقد رأيت أنا مثل هذا من نفسي لدغتنني العقرب مرّة بعد مرّة في وقت واحد فما وجدت لها ألماً، وكنت قد ذكرت هذه الاستعاذة إلا أنه كان في حرامي بندقتان وكنت قد سمعت أن البندق بالخاصية يدفع ألم الملسوع فلا أدري هل كان ذلك للبندق أو للدعاء أو لهما معاً إلا أنه تورم رحلي وحصل فيه خدر وبقي الورم ثلاثة أيام ولا أجد ألماً البتة، وعليك بالتسمية في كل حال تشرع فيه من أكل وشرب ودخول وخروج وحلّ وترحال وحركة وسكون، وإذا دخلت بيت الله فابدأ برجلك اليمنى، وإذا خرجت فأخرج رجلك اليمنى، وإذا انتقلت فابدأ باليمنى، وإذا خلعت فابدأ باليسرى .

وصية: لا تسارر صاحبك بشيء ومعكما ثالث دونه فإن ذلك يوحشه بلا شك، ومقصود الحق من عباده تألف القلوب والمحبة والتودّد، وأن الله قد جعل الألفة من منة الله على نبيه ﷺ فقال: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بِرَبِّكَ قُلُوبَهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بِهِمْ﴾ [الأنفال: ٦٣] وكذلك لا تتكلم معه بلسان لا يعرفه الثالث فإنه لا فرق بينه وبين المساررة، والتزم الصدق في حديثك أبداً وفي أفعالك تكن أصدق الناس رأياً، وإذا سمعت

صياح الديكة فسل الله من فضله فإنها رأت ملكاً، وإذا سمعت نهيق الحمار فتعوذ بالله من الشيطان الرجيم فإن الحمار لا ينهق إلا إذا رأى شيطاناً، والديك لا يصيح إلا إذا رأى ملكاً، وقد روينا أن لله ديكاً في السماء إذا صاح وسمعته الديوك في الأرض صاحت لصياحه، كن في كل حال ذاتية حميدة مع الله يرضاها الله منك وعلى عمل صالح ولا سيما إذا كثر الفساد في العامة فما تدري لعل الله يرسل عليهم عذاباً يعتم الصالح والطالح فتكون ممن يحشر على عمل خير كما قبضت عليه يقول الله: ﴿وَأَتَقُوا فِتْنَةَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَكِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥]. ولا تشمت عاطساً لم يحمد الله ولكن ذكره أن يحمد الله ثم شتمه، وإياك إذا غلبك الثاوب أن تصوت فيه واكظمه ما استطعت، وإياك أن تمدح أحداً في وجهه فتخجله وإذا مدحك أحد في وجهك فأحث التراب في وجهه برفق وصورة حثو التراب أن تأخذ كفاً من تراب وترمي به بين يديه وتقول له: ما عسى أن يكون من خلق من تراب ومن أنا وما قدرني توبخ بذلك نفسك وتعرف المادح بقدرك وقدره هكذا فلنحث التراب في وجوه المداحين، وقد كان شيخنا عبد الحلیم الغماد بمدينة سلا إذا رأى شخصاً ركباً ذا إشارة يعظمه الناس وينظرون إليه يقول له ولهم: تراب ركب على تراب ثم ينصرف وينشد: [الكامل]

حَتَّى مَتَى وَإِلَى مَتَى تَتَوَانَى أَتَظُنُّ ذَلِكَ كُلَّهُ نَسْيَانَا

وكان الغالب عليه التوله، وإذا كان لك ولد صغير وجاءت فحمة العشاء فأمسكه عن التصرف فإن الشياطين تنتشر حينئذ فلا تأمن عليه أن يصيبه لمم فإن الشارع أمر بذلك، وإذا صنع لك خادمك طعاماً وأتاك به فأجلسه معك فإن أبي وتأدب فأذقه منه ولا بد ولو لقمعة، وإياك أن تأكل وعين تنظر إليك من غير أن يأكل معك، وإذا سمعت أحداً يوم الجمعة يتكلم والإمام يخطب فلا تقل له أنصت فإن قلت له ذلك فأنت ممن لغا في جمعته، ولا تعبت بشيء لا بالحصى ولا بغيره والإمام يخطب فإنه لغو، وإذا كنت صائماً وأفطرت فأفطر على تمر إن وجدت فإن لم تجد فعلى حسوات من ماء وليكن ذلك وترأ وعجل بالفطر ثم صل بعد ذلك إلا إن حضر الطعام فإن حضر الطعام فابدأ به قبل الصلاة إن كنت آكلاً ولا بد، وإذا حدثك إنسان وتراه يلتفت فحديثه إياك أمانة أودعك إياها فلا تخنه فيه بالإفشاء، وراقب قلبك في الناس فمهما خطر لك تغير في أحد من المؤمنين في قلبك فأزله وظن خيراً وأقم له عذراً فيما تغيرت له وإن حالت بينك وبين الماشي معك شجرة أو جدار ثم تلاقيتما فسلم عليه حتى يعلم أنك على الود الذي فارقت عليه.

وصية: عامل كل من تصحبه أو يصحبك بما تعطيه رتبته، فعامل الله بالوفاء لما عاهدته عليه من الإقرار بربوبيته عليك وهو الصاحب بقول رسول الله ﷺ، وعامل الآيات بالنظر فيها، وعامل ما تدركه الحواس منك بالاعتبار، وعامل الرسل بالاعتداء بهم، وعامل الملائكة بالطهارة والذكر، وعامل الشيطان إذا عرفت أنه شيطان من إنس وجان بالمخالفة، وعامل الحفظة بحسن ما تملي عليهم، وعامل من هو أكبر منك بالتوقير ومن هو أصغر منك بالرحمة

ومن هو كفؤك بالتجاوز والإنصاف والإيثار وأن تطالب نفسك بحقه عليها وترك حقدك له، وعامل العلماء بالتعظيم، وعامل السفهاء بالحلم، وعامل الجهال بالسياسة، وعامل الأشرار ببسط الوجه وما تتقي به شرهم، وعامل الحيوان بالنظر فيما يحتاجون إليه فإنهم خرس، وعامل الأشجار والأحجار بعدم الفضول، وعامل الأرض بالصلاة عليها، وعامل الموتى بالدعاء لهم وذكر محاسنهم والكف عن مساوئهم، وعامل الصوفية أهل الكشف والوجود منهم بالتسليم أصحاب الأحوال، وعامل الإخوان في الله بالبحث عن حرقاتهم وسكناتهم فيما ذا يتحركون ويسكنون، وعامل الأولاد بالإحسان، وعامل الزوجة بحسن الخلق، وعامل أهل البيت بالموودة، وعامل الصلاة بالحضور، وعامل الصوم بالتنزه عن الذنوب، وعامل المناسك بذكر الله والتعظيم، وعامل الزكاة بسرعة الأداء، وعامل التوحيد بالإخلاص، وعامل الأسماء الإلهية بما تعطيه حقيقة كل اسم إلهي من الأخلاق فمعاملة الأسماء الإلهية بالتخلق بها، وعامل الدنيا بالرغبة عنها، وعامل الآخرة بالرغبة فيها، وعامل النساء بالحذر من فتنهن، وعامل المال بالذل، وعامل النار والحدود بالتقوى والرغبة، وعامل الجنة بالرغبة، وعامل الأولياء بما تزيد ولايتهم، وعامل الأعداء بما تكف أذاهم، وعامل الناصح بالقبول، وعامل المحدث بالإصغاء إلى حديثه، وعامل الموجودات كلها بالنصيحة، وعامل الملوك بالسمع والطاعة والأخذ على أيدي الظلمة منهم ما استطعت بطريقة تكتفي بها شرهم، وإياك وصحبة الملوك فإنك إن أكثرت مخالطة الملك ملكك وإن تركته أذلّك، فخذ واعط إن بليت بصحبتهم، وعامل قارئ القرآن بالإنصاف ما دام تالياً، وعامل القرآن بالتدبر، وعامل الحديث النبوي بالبحث عن صحيحه وسقيمه وعرضه على الأصول فما وافق الأصول فخذ به وإن لم يصحّ الطريق إليه فإن الأصل يعرضه وإذا ناقض الأصول بالكلية فلا تأخذ به وإن صحّ طريقه ما لم تعلم له وجهاً فإن أخبار الأحاد لا تفيد سوى غلبة الظن، وعليك بالسنة المتواترة وكتاب الله فهما خير مصحوب وخير جليس وإياك والخوض فيما شجر بين الصحابة ولتجنبهم كلهم عن آخرهم ولا سبيل إلى تجريح واحد منهم فاعنهم نأخذ الدين الذي نعبد الله به وعاملهم بالعدالة في الأخذ عنهم ولا تتهمهم فهم خير القرون.

وعامل بيتك بالصلاة فيه، وعامل مجلسك بذكر الله فيه، وعامل فرقتك من مجلسك بالاستغفار والضابط للصحة أن تعطي كل ذي حق حقه ولا تترك مطالبة لأحد عليك بحق يتوجه له قبلك، وعامل الجاني عليك بالصفح والعفو، وعامل المسيء بالإحسان، وعامل بصرك بالغض عن محارم الله وسمعتك بالاستماع إلى أحسن الحديث والقول ولسانك بالصمت عن السوء من القول وإن كان حقاً لكن كره الشرع أو حرم النطق به، وعامل الذنوب بالخوف، وعامل الحسنات بالرجاء، وعامل الدعاء بالاضطرار، وعامل نداء الحق إياك بالتلبية لما ناداك إليه من عمل أو ترك.

وصايا نبوية: رويها عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: وصاني رسول الله ﷺ فقال: يا علي أوصيك بوصية فاحفظها فإنك لا تزال بخير ما حفظت وصيتي. يا

علي: إن للمؤمن ثلاث علامات: الصلاة والصيام والزكاة، وللمتكلف ثلاث علامات يتملق إذا شهد ويغتاب إذا غاب ويشمت بالمصيبة، وللظالم ثلاث علامات يقهر من دونه بالغلبة ومن فوقه بالمعصية ويظاهر الظلمة وللمرائي ثلاث علامات ينشط إذا كان عند الناس ويتكاسل إذا كان وحده ويحب أن يحمد في جميع الأمور، وللمنافق ثلاث علامات: إن حدث كذب وإن وعد أخلف وأن أوّتمن خان. يا علي: وللكسلان ثلاث علامات يتوانى حتى يفطر ويفرط حتى يضيع ويضيع حتى يائثم، وليس ينبغي للعاقل أن يكون شاخصاً إلا في ثلاث: مرمة لمعاش أو لذة في غير محرم أو خطوة لمعاد. يا علي: إن من اليقين أن لا ترضي أحداً بسخط الله ولا تحمدن أحداً على ما أتاك الله ولا تذمن أحداً على ما لم يؤتكه الله، فإن الرزق لا يجره حرص حريص ولا يصرفه كراهية كاره، وإن الله سبحانه وتعالى جعل الروح والفرج في اليقين والرضى بقسم الله، وجعل الهم والحزن في السخط بقسم الله. يا علي: لا فقر أشد من الجهل، ولا مال أجود من العقل، ولا وحدة أوحش من العجب، ولا مظاهرة أوثق من المشاورة، ولا إيمان كاليقين، ولا ورع كالکف، ولا حسن كحسن الخلق، ولا عبادة كالتفكير. يا علي إن لكل شيء آفة، وآفة الحديث الكذب، وآفة العلم النسيان، وآفة العبادة الربا، وآفة الظرف الصلف، وآفة الشجاعة البغي، وآفة السماحة المن، وآفة الجمال الخيلاء، وآفة الحسب الفخر، وآفة الحياء الضعف، وآفة الكرم الفخر، وآفة الفضل البخل، وآفة الجود السرف، وآفة العبادة الكبر، وآفة الدين الهوى. يا علي: إذا أثنى عليك في وجهك فقل: اللهم اجعلني خيراً ممّا يقولون واغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني فيما يقولون تسلم ممّا يقولون. يا علي: إذا أمسيت صائماً فقل عند إفطارك: اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت يكتب لك أجر من صام ذلك اليوم من غير أن ينقص من أجورهم شيء، واعلم أن لكل صائم دعوة مستجابة فإن كان عند أول لقمة يقول: بسم الله الرحمن الرحيم يا واسع المغفرة اغفر لي فإنه من قالها عند فطره غفر له، واعلم أن الصوم جنة من النار. يا علي: لا تستقبل الشمس والقمر واستديرهما فإن استقبالهما داء واستدبارهما دواء. يا علي: استكثر من قراءة يس فإن في قراءة يس عشر بركات ما قرأها قط جائع إلا شبع، ولا قرأها ظمآن إلا روي، ولا عار إلا اكتسي، ولا مريض إلا برىء، ولا خائف إلا أمن، ولا مسجون إلا فرج، ولا أعزب إلا تزوج، ولا مسافر إلا أعين على سفره، ولا قرأها أحد ضلّت له ضالة إلا وجدها، ولا قرأها على رأس ميت حضر أجله إلا خفف عليه، ومن قرأها صباحاً كان في أمان حتى يمسي، ومن قرأها مساءً كان في أمان حتى يصبح.

يا علي: اقرأ حم الدخان في ليلة الجمعة تصبح مغفوراً لك. يا علي: اقرأ آية الكرسي دبر كل صلاة تعطى قلوب الشاكرين وثواب الأنبياء وأعمال الأبرار. يا علي: اقرأ سورة الحشر تحشر يوم القيامة آمناً من كل شيء. يا علي: اقرأ تبارك والسجدة ينجيك من أهوال يوم القيامة. يا علي: اقرأ تبارك عند النوم يرجع عنك عذاب القبر ومسائلة منكر ونكير. يا علي: اقرأ قل هو الله أحد على وضوء تنادى يوم القيامة يا ماح الله قم فادخل الجنة. يا علي: اقرأ

سورة البقرة فإن قراءتها بركة وتركها حسرة وهي لا تطيقها البطلة يعني السحرة. يا علي: لا تطيل القعود في الشمس فإنها تثير الداء الدفين وتبلي الثياب وتغير اللون. يا علي: أمان لك من الحرق أن تقول: سبحانك ربي لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم. يا علي: أمان لك من الوسواس أن تقول: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ إلى قوله: ﴿وَلَوْ أَعْلَىٰ أَدْبَرَهُمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥-٤٦] يا علي: أمان لك من شر كل عاين أن تقول ما شاء الله كان وما لا يشاء لا يكون أشهد أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً، ولا حول ولا قوة إلا بالله. يا علي كل الزيت وادهن بالزيت فإنه من أكل الزيت وادهن بالزيت لم يقربه الشيطان أربعين صباحاً.

يا علي: ابدأ بالملح واختم بالملح فإن الملح شفاء من سبعين داء منها الجنون والجذام والبرص ووجع الحلق ووجع الأضراس ووجع البطن. يا علي: إذا أكلت فقل بسم الله وإذا فرغت فقل الحمد لله فإن حافظيك لا يستريحان يكتبان لك الحسنات حتى تنبذه عنك. يا علي: إذا رأيت الهلال في أول الشهر فقل الله أكبر ثلاثاً والحمد لله الذي خلقني وخلقك وقدرك منازل وجعلك آية للعالمين يباهي الله بك الملائكة يقول: يا ملائكتي اشهدوا أنني قد أعتقت هذا العبد من النار. يا علي: فإذا نظرت في المرأة فقل: اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي وارزقني. يا علي: وإذا رأيت أسداً واشتد بك الأمر فكبر ثلاثاً وقل الله أكبر وأجل وأعز مما أخاف وأحذر، اللهم إنني أدرأ بك في نحره وأعوذ بك من شره فإنك تكفي بإذن الله، وإذا رأيت كلباً يهز فقل: ﴿يَتَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ وَالْإِنْسَ إِِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَفْذُؤُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَافْذُؤُوا لَا تَفْذُؤُوا إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ [الرحمن: ٣٣] يا علي: إذا خرجت من منزلك تريد حاجة فاقرا آية الكرسي فإن حاجتك تقضى إن شاء الله. يا علي: وإذا توضأت فقل: بسم الله والصلاة على رسول الله. يا علي: صل من الليل ولو قدر حلب شاة وادع الله سبحانه بالأسحار لا ترد دعوتك فإن الله سبحانه يقول: ﴿وَالسُّحُورَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧]. يا علي: غسل الموتى فإنه من غسل ميتاً غفر له سبعون مغفرة لو قسمت مغفرة منها على جميع الخلق لو سعتهم، فقلت: يا رسول الله ما يقول من غسل ميتاً؟ فقال ﷺ يقول: غفرانك يا رحمن حتى يفرغ من الغسل. يا علي: لا تخرج في سفر وحدك فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد. يا علي: إن الرجل إذا سافر وحده غاو والاثنتان غاويان والثلاثة نفر. يا علي: إذا سافرت فلا تنزل الأودية فإنها مأوى السباع والحيات. يا علي: لا تردفن ثلاثة على دابة فإن أحدهم ملعون وهو المقدم. يا علي: إذا ولد لك مولود غلام أو جارية فأذن في أذنه اليمين وأقم في أذنه اليسار فإنه لا يضره الشيطان. يا علي: لا تأت أهلك ليلة الهلال ولا ليلة النصف فإنه يتخوف على ولدك الخبل، قال علي: ولم يا رسول الله؟ قال: لأن الجن يكثرون غشيان نساءهم ليلة النصف وليلة الهلال، أما رأيت المحنون يصرع ليلة النصف وليلة الهلال؟ يا علي: وإذا نزلت بك شدة فقل: اللهم إنني أسألك بحق محمد وآل محمد عليك أن

تنجيني، وإذا أردت الدخول إلى مدينة أو قرية فقل حين تعابنها: اللهم إني أسألك خير هذه المدينة وخير ما كتبت فيها، وأعوذ بك من شرّها وشرّ ما كتبت فيها، اللهم ارزقني خيرها وأعزني من شرّها وحبينا إلى أهلها وحبب صالح أهلها إلينا.

يا علي: إذا نزلت منزلاً فقل: اللهم أنزلنا منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين يرزق خيرته ويدفع عنك شرّه. يا علي: وإياك والمرائي فإنه لا تعقل حكمته ولا تؤمن فتنته. يا علي: وإياك والدخول إلى الحمام بلا منزر فإنه ملعون الناظر والمنظور إليه. يا علي: لا تختم بالسبابة والوسطى فإنه من فعل قوم لوط. يا علي: لا تلبس المعصفر ولا تبت في ملحفة حمراء فإنها محتضرة الشيطان. يا علي: لا تقرأ وأنت راعع ولا ساجد. يا علي: إياك والمجادلة فإنها تحبط الأعمال. يا علي: لا تنهر السائل ولو جاءك على فرس وأعطه فإن الصدقة تقع بيد الله قبل أن تقع في يد السائل. يا علي: باكر بالصدقة فإن البلاء لا يتخطى الصدقة. يا علي: عليك بحسن الخلق فإنك تدرك بذلك درجة الصائم القائم. يا علي: إياك والغضب فإن الشيطان أقدر ما يكون على ابن آدم إذا غضب. يا علي: إياك والمزاح فإنه يذهب ببهاء ابن آدم ونشاطه. يا علي: عليك بقراءة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] فإنها منهاة للفقر، وإياك والربا فإن فيه ست خصال ثلاثة منها في الدنيا وثلاثة في الآخرة، فأما التي في الدنيا تعجل الفناء وتذهب الغنى وتمحق الرزق، وأما التي في الآخرة فسوء الحساب وسخط الرب عز وجل والخلود في النار أو الخلوّة شكّ الراوي.

يا علي: وإذا دخلت منزلك فسلم على أهل بيتك يكثر خير بيتك. يا علي: أحب الفقراء والمساكين يحبك الله. يا علي: لا تنهر المساكين والفقراء فتنهرك الملائكة يوم القيامة. يا علي: عليك بالصدقة فإنها تدفع عنك السوء. يا علي: أنفق وأوسع على عيالك ولا تخش من ذي العرش إقلالاً. يا علي: إذا ركبت دابة فقل: الحمد لله الذي كرمنا وهدانا للإسلام ومنّ علينا بمحمد عليه السلام، الحمد لله الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون. يا علي: لا تغضب إن قيل لك اتق الله فيسوءك ذلك يوم القيامة. يا علي: إن الله يعجب من عبده إذا قال: اللهم اغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، يقول الله: يا ملائكتي عبدي هذا علم أنه لا يغفر الذنوب غيري اشهدوا أنني قد غفرت له. يا علي: إذا لبست ثوباً جديداً فقل: بسم الله والحمد لله الذي كساني ما أوارى به عورتى واستغنى به عن الناس، لم يبلغ الثوب ركبتك حتى يغفر لك. يا علي: من لبس ثوباً جديداً فكسى فقيراً أو يتيماً عرباناً أو مسكيناً كان في جوار الله وأمنه وحفظه ما دام عليه منه سلك. يا علي: إذا دخلت السوق فقل حين تدخل: بسم الله وبالله أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، يقول الله تعالى: عبدي هذا ذكرني والناس غافلون اشهدوا أنني قد غفرت له. يا علي: إن الله يعجب ممن يذكره في الأسواق إذا دخلت المسجد قل: بسم الله والسلام على رسول الله اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرجت فقل: بسم الله والسلام على رسول الله اللهم افتح لي أبواب فضلك. يا علي: وإذا سمعت المؤذن قل مثله مقالته يكتب لك مثل

أجره . يا علي : وإذا فرغت من وضوئك فقل : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين تخرج من ذنوبك كيوم ولدتك أمك وتفتح لك ثمانية أبواب الجنة يقال ادخل من أيها شئت . يا علي : إذا فرغت من طعامك فقل : الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين . يا علي : إذا شربت فقل : الحمد لله الذي سقانا ماء جعله عذباً فراتاً برحمته ولم يجعله ملحاً أجاباً بذنوبنا تكتب شاكراً . يا علي : إياك والكذب فإن الكذب يسود الوجه ولا يزال الرجل يكذب حتى يسمي عند الله كاذباً ويصدق حتى يسمي عند الله صادقاً إن الكذب يجانب الإيمان . يا علي : لا تغتابن أحداً فإن الغيبة تفسد الصائم والذي يغتاب الناس يأكل لحمه يوم القيامة . يا علي : إياك والنميمة ولا يدخل الجنة قتات يعني النمام . يا علي : لا تحلف بالله كاذباً ولا صادقاً . يا علي : لا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم فإن الله لا يرحم ولا يزكي من يحلف بالله كاذباً . يا علي : املك عليك لسانك وعوده الخير فإن العبد يوم القيامة ليس عليه شيء أشد من خيفة لسانه . يا علي : إياك واللجاجة فإنها ندامة . يا علي : إياك والحرص فإن الحرص أخرج أبك من الجنة . يا علي : إياك والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب . يا علي : ويل لمن يكذب ليضحك الناس ويل له ويل له . يا علي : عليك بالسواك فإنه مطهرة للفم ومرضاة للرب تعالى ومجلاة للأسنان . يا علي : عليك بالتخلل فإنه ليس شيء أبغض إلى الملائكة أن ترى في أسنان العبد طعاماً .

فقال علي عليه السلام قلت : يا رسول الله أخبرني عن قول الله تعالى : ﴿ فَلَقَّحَ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ [البقرة: ٣٧] ما هؤلاء الكلمات؟ فقال النبي ﷺ : إن الله تعالى أهبط آدم عليه السلام بأرض الهند وحواء بجدة والحية بأصبهان وإبليس ببيسان ولم يكن في الجنة أحسن من الحية والطاووس وكان للحية قوائم كقوائم البعير فلما دخل إبليس لعنه الله جوفها أغوى آدم عليه السلام وخدعه فغضب الله تعالى على الحية فألقى عنها قوائمها وقال : جعلت رزقك من التراب وجعلتك تمشين على بطنك لا رحم الله من رحمك ، وغضب الله عز وجل على الطاووس فمسح رجله لأنه كان دليلاً لإبليس على الشجرة فمكث آدم عليه السلام مائة سنة لا يرفع رأسه إلى السماء يبكي على خطيئته وقد جلس جلسة الحزين فبعث الله جبريل عليه السلام فقال : السلام عليك يا آدم الله عز وجل يقرئك السلام ويقول لك : ألم أخلقك بيدي وأنفخ فيك من روحي؟ ألم أسجد لك ملائكتي؟ ألم أزوجك حواء أمتي؟ ما هذا البكاء؟ قال : يا جبريل وما يمنعني من البكاء وقد أخرجت من جوار ربي؟ قال له جبريل عليه السلام : يا آدم تكلم بهؤلاء الكلمات فإن الله تعالى غافر ذنبك وقابل توبتك ، قال : فما هن؟ قال قل : اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد ، سبحانه اللهم وبحمدك عملت سوءاً وظلمت نفسي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت وأرحمني وأنت خير الراحمين ، سبحانه وبحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءاً وظلمت نفسي فتاب علي إنك أنت التواب الرحيم ، سبحانه وبحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي وأنت خير الغافرين ، فهؤلاء الكلمات .

يا علي : وأنهاك عن حيات البيوت إلا الأفطس والأبتر فإنهما شيطانان . يا علي : وإذا رأيت حية في رحلك فلا تقتلها حتى تخرج عليها ثلاثاً فإن عادت الرابعة فاقتلها . يا علي : وإذا رأيت حية في الطريق فاقتلها فإني قد اشتطت على الجن أن لا يظهرها في صورة الحيات في الطريق فمن فعل خلى بنفسه للقتل . يا علي : أربع خصال من الشقاء : جمود العين ، وقساوة القلب ، وبعد الأمل ، وحب الدنيا . يا علي : أنهاك عن أربع خصال عظام : الحسد والحرص والكذب والغضب . يا علي : ألا أنبتك بشر الناس؟ قال قلت : بلى يا رسول الله ، قال : من سافر وحده ومنع رفته وضرب عبده . ألا أنبتك بشر من هؤلاء جميعاً؟ قلت : بلى يا رسول الله ، قال : من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره . يا علي : إذا صليت على جنازة فقل : اللهم هذا عبدك وابن عبدك وابن أمتك ماض فيه حكمك خلقتة ولم يكن شيئاً مذكوراً نزل بك وأنت خير منزل به ، اللهم لقنه حجته وألحقه بنبيه ﷺ وثبته بالقول الثابت فإنه افتقر إليك واستغنى عنه ، كان يشهد أن لا إله إلا الله فاعف له وارحمه ولا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده ، اللهم إن كان زاكياً فزكه وإن كان خاطئاً فاغفر له . يا علي : وإذا صليت على جنازة امرأة فقل : اللهم أنت خلقتها وأنت أحيتها وأنت أمتها تعلم سرها وعلانيتها جثناك شفعا لك فاغفر لها وارحمها ولا تحرمنا أجرها ولا تفتنا بعدها . وإذا صليت على طفل فقل : اللهم اجعله لوالديه سلفاً واجعله لهم ذخراً واجعله لهم رشداً واجعله لهم نوراً واجعله لهم فرطاً وأعقب والديه الجنة ولا تحرمهما أجره ولا تفتنهما بعده . يا علي : إذا توضأت فقل : اللهم إني أسألك تمام الوضوء وتمام مغفرتك ورضوانك . يا علي : إن العبد المؤمن إذا أتى عليه أربعون سنة أمنه الله من البلايا الثلاثة : الجنون والجذام والبرص ، وإذا أتت عليه ستون سنة فهو في إقبال وبعد الستين في إدبار رزقه الله الإنابة فيما يحب ، وإذا أتت عليه سبعون سنة أحبه أهل السموات وصالحو أهل الأرض ، وإذا أتت عليه ثمانون سنة كتبت له حسناته ومحبت عنه سيئاته ، وإذا أتت عليه تسعون سنة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وإذا أتت عليه مائة سنة كتب الله اسمه في السماء أسير الله في أرضه وكان حبيس الله تعالى . يا علي : احفظ وصيتي إنك على الحق والحق معك .

ومن وصايا الصالحين : قال رجل لذي النون : والله إني لا أحبك ، فقال له ذو النون : إن كنت عرفت الله فحسبك الله وإن كنت لم تعرفه فاطلب من يعرفه حتى يدلك على الله وتتعلم منه حفظ الحرمة لمولائك . وفي معنى ما قاله ذو النون وأوصى به ما اتفق لنا مع صاحبنا عبد الله ابن الأستاذ الموروري وكان من كبار الصالحين كان له أخ مات فراه في المنام فقال له : ما فعل الله بك؟ فقال لي : أدخلني الجنة أكل وأشرب وأنكح ، قال له : ليس عن هذا أسألك هل رأيت ربك؟ قال : لا يراه إلا من يعرفه ، واستيقظ فركب دابته وجاء إلينا إلى إشبيلية وعرفني بالرؤيا ثم قال لي : قد قصدتك لتعرفني بالله فلازمي حتى عرف الله بالقدر الذي يمكن للمحدث أن يعرفه به من طريق الكشف والشهود لا من طريق الأدلة النظرية رحمه الله . وقال بعضهم : اصحب الذين وصفهم الله في كتابه وهم أهل التقوى الذين هم على

سمت محجته لعلك أن ترقى في ملكوت السموات فتكون للأبرار جليساً وللأخيار في أمن ذلك المقيلاً أنيساً، وإن كنت على التقوى عازماً فالنجاة النجاة فيما بقي من عمرك . وقال بعض العلماء : تزود من الدنيا للآخرة وطريقها فإن خير الزاد التقوى وسارع إلى الخيرات ونافس في الدرجات قبل فناء العمر وتقارب الأجل والفوت .

وصية : قيل لبعض العلماء : أوصنا فقال : إياكم ومجالسة أقوام يتكلفون بينهم زخرف القول غروراً ويتملقون في الكلام خداعاً وقلوبهم مملوءة غشاً وغلاً ودغلاً وحسداً وكبراً وحرصاً وطمعاً وبغضاً وعداوةً ومكرًا وختلاً، دينهم التعصب، واعتقادهم النفاق، وأعمالهم الرياء، واختيارهم شهوات الدنيا، يتمنون الخلود فيها مع علمهم بأنهم لا سبيل لهم إلى ذلك، يجمعون ما لا يأكلون ويبنون ما لا يسكنون ويؤملون ما لا يدركون ويكسبون الحرام وينفقون في المعاصي ويمنعون المعروف ويركبون المنكر .

وصية : روينا عن يوسف بن الحسين قال : قلت لذي النون في وقت مفارقتي إياه : من أجالس؟ قال : عليك بصحبة من يذكرك الله عز وجل رؤيته وتقع هيئته على باطنك ويزيد في عملك منطقه ويزهدك في الدنيا عمله ولا يعص الله ما دمت في قربه، يعظك بلسان فعله ولا يعظك بلسان قوله، وهو تارك لما يدلك عليه أي هو خال من الفضائل، لأن الرجل قد يكون على عمل من أعمال البر يقتضيه حاله، ويدلك بقوله على عمل من أعمال البر يقتضيه حاله ولا يقتضيه حاله في الوقت فيريد بقوله بلسان فعله أي أفعاله مستقيمة، وهذا معنى قول الله تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ ﴾ وما عين برأ من بر ﴿ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَتَكُنَّ أَقْلًا تَعْلُونَ ﴾ [البقرة : ٤٤] .

وصية نبوية عيسوية : قال عيسى عليه السلام : يا بني إسرائيل اعلموا أن مثل دنياكم مع آخرتكم كمثل مشرقكم مع مغربكم كلما أقبلتم إلى المشرق بعدتم من المغرب، وكلما أقبلتم إلى المغرب ازددتم من المشرق بعداً، وصاهم بهذا المثل أن يقربوا من الآخرة بالأعمال الصالحة .

وصية : أوصى بعض العلماء قال : إياكم أن تكونوا من قوم يتمردون وفي طغيانهم يعمهون، لا يسمعون النداء ولا يجيبون الدعاء، تراهم مولين مدبرين عن الآخرة معرضين، وعلى الأعقاب ناكسين، وعلى الدنيا مكبين، يتكالبون تكالب الكلاب على الجيف، منهمكين في الشهوات تاركين الصلوات، لا يسمعون الموعظة ولا ينفعهم التذكرة، لا جرم أن من هذه صفته يمهلون قليلاً ويتمتعون يسيراً ثم تجيئهم سكرة الموت بالحق ذلك ما كانوا منه يحمدون شاؤوا أم أبوا، فيفارقون محبوبهم على رغم منهم ويتركون ما جمعه غيرهم، يتمتع بمال أحدهم حليل زوجته وامرأة ابنه وبعل ابنته وصاحب ميراثه للوارث المهنة وعليهم الويال، ثقيل ظهره بأوزاره معذب النفس بما كسبت يده، يا حسرة عليه إذا قامت على أبنائها القيامة، فاحذروا أن تكونوا من هؤلاء وكونوا من الذين أخذوا من عاجلهم لأجلهم ومن حياتهم لموتهم كما قال ﷺ فيهم : « صَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَجْسَادِ أَرْوَاحِهَا مُعَلَّقَةٌ بِالْمَحَلِّ الْأَعْلَى » .

وصية: قال بعض الصالحين يوصي إنساناً: احذر أن تنقطع عنه فتكون مخدوعاً قال له: وكيف يكون ذلك؟ قال: لأن المخدوع من ينظر إلى عطاياه وينقطع عن النظر إليه بالنظر إلى عطاياه، ثم قال: تعلق الناس بالأسباب وتعلق الصديقون بولي الأسباب، ثم قال: علامة تعلقهم بالعطايا طلبهم منه العطايا، ومن علامات تعلق قلب الصديق بولي العطايا انصباب العطايا عليه وشغله عنها به، ثم قال: ليكن اعتمادك على الله في الحال لا على الحال، ثم قال: اعقل فإن هذا من صفوة التوحيد.

وصية نبوية روحية: قال عيسى عليه السلام لبعض أصحابه بوصية: صم عن الدنيا واجعل فطرك الموت وكن كالمداوي جرحه بالدواء خشية أن ينغل عليه، وعليك بكثرة ذكر الموت فإن الموت يأتي إلى المؤمن بخير لا شر بعده وإلى الشرير بشر لا خير بعده.

وصية بتنبيه: قال ذو النون: ثلاث من أعلام الإيمان: اغتمام القلب بمصائب المسلمين، وبذل النصيحة لهم متجرعاً لمرارة ظنونهم، وإرشادهم إلى مصالحهم وإن جهلوه وكرهوه. قال أحمد بن أحمد بن سلمة: أوصاني ذو النون: لا تشغلنك عيوب الناس عن عيب نفسك لست عليهم برفيق، ثم قال: إن أحب عباد الله إلى الله عز وجل أعقلهم عنه، وإنما يستدل على تمام عقل الرجل وتواضعه في عقله حسن استماعه للمحدث وإن كان به عالماً، وسرعة قبوله للحق وإن جاء ممن هو دونه، وإقراره على نفسه بالخطأ إذا جاء به.

وصية: أوصى بها راهب عارفاً من المسلمين: اجتاز بعض العارفين في سياحته براهب في صومعة على رأس جبل فوقف به فناده: يا راهب فأخرج الراهب رأسه من صومعته وقال: من ذا؟ قال: رجل من أبناء جنسك الآدميين، قال: فماذا تريد؟ قال: كيف الطريق إلى الله؟ قال الراهب: في خلاف الهوى، قال: فما خير الزاد؟ قال: التقوى، قال: فلم تبعدت عن الناس وتحصنت في هذه الصومعة؟ قال: مخافة على قلبي من فتنتهم، وحذراً على عقلي الحيرة من سوء عشرتهم، وطلبت راحة نفسي من مقاساة مداراتهم وقبيح فعالهم، وجعلت معاملتي مع ربي فاسترحت منهم، قال: فخبّرني يا أحد تبع المسيح كيف وجدت معاملتكم مع ربكم واصلدق القول لي ودع عنك تزويق الكلام وزخرف القول؟ فسكت الراهب ساعة متفكراً ثم قال: شرّ معاملة تكون قال له العارف كيف قال لأنه أمرنا بالكد للأبدان وجهد النفوس وصيام النهار وقيام الليل وترك الشهوات المركوزة في الجبله ومخالفة الهوى الغالب ومجاهدة العدو المسلط والرضى وخشونة العيش والصبر على الشدائد والبلوى، ومع هذه كلها جعل الأجر بالسيئة في الآخرة بعد الموت مع بعد الطريق وكثرة الشكوك والحيرة والخوف من اليأس، فهذه حالتنا في معاملتنا مع ربنا. فأخبرنا عنكم يا معشر تبع أحمد كيف وجدت معاملتكم مع ربكم؟ قال العارف: خير معاملة وأحسنها، قال الراهب: صف لي ما هي وكيف هي؟ قال العارف: ربنا أعطانا سلفاً كثيراً قبل العمل ومواهب جزيلة لا تحصى فنون أنواعها من النعم والإحسان والإفضال قبل المعاملة، فنحن ليلنا ونهارنا في أنواع نعمه وفنون من آلائه ما بين سالف معتاد وأنف مستفاد، قال له الراهب: فكيف خصصتم بهذه

المعاملة دون غيركم والرب واحد؟ قال العارف: أما النعمة والإفضال والإحسان فعموم للجميع قد غمرتنا كلنا ولكننا خصصنا بحسن الاعتقاد وصحة الرأي والإقرار بالحق والإيمان والتسليم له ووقفنا لمعرفة الحقائق لما أعطينا الانقياد للإيمان والتسليم وصدق المعاملة من محاسبة النفس وملازمة الطريق وتفقد تصاريف الأحوال الطارئة من الغيب ومراعاة القلب بما يرد عليه من الخواطر والوحي والإلهام ساعة ساعة، قال الراهب: زدني في البيان فإنها وصية عجيبة ما سمعت بمثلها من أهل هذا الشأن، قال العارف: أزيدك اسمع ما أقوله وافهم ما تسمع واعقل ما تفهم: إن الله جلّ ثناؤه لما خلق الإنسان من طين ولم يك شيئاً مذكوراً ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين نطفة في قرار مكين ثم قلبه حال بعد حال تسعة أشهر إلى أن أخرجه من هناك خلقاً سوياً بنية صحيحة وصورة تامة وقامة منتصبية وحواس سالمة، ثم زوده من هناك لبناً خالصاً لذيذاً سائغاً للشاربين حولين كاملين، ثم رباه وأنشأه وأنماه يفنون لطفه وغرائب حكمته إلى أن يبلغ أشده واستوى، ثم أتاه حكماً وعلمه ثم أعطاه قلباً زكياً وسمعاً دقيقاً وبصراً حاداً وذوقاً لذيذاً وشمّاً طيباً ولمساً ليناً ولساناً ناطقاً وعقلاً صحيحاً وفهماً جيداً وذهنأ صافياً وتميزاً وفكراً وروية وإرادة ومشية واختياراً وجوارح طائعة ويدين صانعتين ورجلين ساعتين، ثم علمه الفصاحة والبيان والخط بالقلم والصنائع والحرف والحرث والزراعة والبيع والشراء والتصرف في المعاش وطلب وجوه المنافع واتخاذ البنیان وطلب العزّ والسلطان، والأمر والنهي والرياسة والتدبير والسياسة، وسخر له ما في الأرض جميعاً من الحيوان والنبات وخواص المعادن، فغدا متحكماً عليها تحكّم الأرباب متصرفاً فيها تصرف الملاك متمتعاً بها إلى حين. ثم إن الله جلّ ثناؤه أراد أن يزيده من فضله وإحسانه وجوده وإنعامه فناً آخر هو أشرف وأجلّ من هذا الذي تقدم ذكره وهو ما أكرم به ملائكته وخالص عباده وأهل جنته من النعيم الأبدي الذي لا يشوبه شيء من النقص ولا من التنغيص إذ كان نعيم الدنيا مشوباً بالبؤس ولذاتها بالآلام وسرورها بالحزن وفرحها بالغم وراحتها بالتعب وعزّها بالذلّ وصفوها بالكدر وغناها بالفقر وصحتها بالسقم، أهلها فيها معذبون في صورة المنعمين، ومغرورون في صورة الواثقين، مهانون في صورة المكرمين، وجلون غير مطمئنين خائفون غير آمنين مترددون بين المتضادين، نور وظلمة وليل ونهار وصيف وشتاء وحرّ وبرد ورطب ويابس وعطش وريّ وجوع وشبع ونوم ويقظة وراحة وتعب وشباب وهرم وقوّة وضعف وحياة وموت وما شاكل هذه الأمور التي أهل الدنيا وأبناؤها فيها مترددون مدفوعون إليها متحيرون فيها، فأراد ربي أيها الراهب أن يخلصهم من هذه الأمور والآلام المشوبة باللذات وينقلهم منها إلى نعيم لا بؤس فيه ولذة لا ألم فيها وسرور بلا حزن وفرح بلا غم وعزّ بلا ذلّ وكرامة بلا هوان وراحة بلا تعب وصفو بلا كدر وأمن بلا خوف وغنى بلا فقر وصحة بلا سقم وحياة بلا موت وشباب بلا هرم ومودة بين أهلها بلا ريبة، فهم في نور لا يشوبه ظلمة ويقظة بلا نوم وذكر بلا غفلة وعلم بلا جهالة وصدقة بين أهلها بلا عداوة ولا حسد ولا غيبة، إخواناً على سرر متقابلين آمنين مطمئنين أبد الأبدين، ولما لم يمكن الإنسان

أن يكون بهذا المزاج المظلم الخاص الذي هو محل القذورات المتولد من الأركان التي لا تليق بتلك الدار الآخرة والصفات الصافية والأحوال الباقية اقتضت العناية الإلهية بواجب حكمة البارئ تعالى أن ينشئه نشأة أخرى كما ذكر في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٦٢] النشأة الآخرة إنها على غير مثال كما كانت الأولى على غير مثال، فهم في هذه النشأة الآخرة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون وفضلات أطعمتهم وأغذيتهم عرق يخرج من أعراضهم أطيب من ريح المسك، فأين هذه النشأة من تلك وأين هذا المزاج من ذلك المزاج مع كونها نشأة طبيعية معتدلة المزاج متساوية الأمشاج، قال تعالى: ﴿وَنُنشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الواقعة: ٦١] و﴿اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ [العنكبوت: ٢٠] فبعث الله جل ثناؤه لهذا السبب أنبياءه إلى عباده يبشرونهم بها ويدعونهم إليها ويرغبونهم فيها ويدلونهم على طريقها كيما يطلبوها مستعدين قبل الورود عليها، ولكن يسهل عليهم أيضاً مفارقة مألوفات الدنيا من شهواتها ولذاتها وتخف عليهم أيضاً شدائد الدنيا ومصائبها إذ كانوا يرجون بعدها ما يعمرها ويمحو ما قبلها من نعيم الدنيا ويحذرهم فوات نعيمها فإنه من فاتته فقد خسر خسراً مبيناً قال العارف: فهذا رأينا واعتقادنا يا راهب في معاملتنا مع ربنا الذي قلت لك، وبهذا الاعتقاد طاب عيشنا في الدنيا وسهل علينا الزهد فيها وترك شهواتها واشتدت رغبتنا في الآخرة وزاد حرصنا في طلبها وخف علينا كد العبادة فلا نحس بها بل نرى ذلك نعمة وكرامة وفخراً وشرفاً إذ جعلنا الله أهلاً أن نذكره فهدي قلوبنا وشرح صدورنا ونور أبصارنا لما تعرّف إلينا بكثرة إنعامه وفتون إحسانه، فقال الراهب: جزاك الله خيراً من واعظ ما أبلغه، ومن ذاك إحسان ما أرفقه، ومن هادي رشد ما أبصره، ومن طبيب رفيق ما أحذقه، ومن أخ ناصح ما أشفقه .

وصية ونصيحة: قال ذون النون: ليس بذئ لب من كاس في أمر دنياه، وحمق في أمر آخرته، ولا من سفه في مواطن حلمه وتكبر في مواطن تواضعه ولا من فقد منه الهوى في مواطن طبعه، ولا من غضب من حق إن قيل له ولا من زهد فيما يرغب العاقل في مثله، ولا فيما يزهد الأكياس في مثله، ولا من استقل الكثرة من خالقه عز وجل واستكثر قليل الشكر من نفسه، ولا من طلب الإنصاف من غيره لنفسه ولم ينصف من نفسه غيره، ولا من نسي الله في مواطن طاعته وذكر الله في مواطن الحاجة إليه ولا جمع العلم فعرف به ثم آثر عليه هواه عند متعلمه، ولا من قلّ منه الحياء من الله على جميل ستره، ولا من أغفل الشكر عن إظهار نعمه، ولا من عجز عن مجاهدة عدوه لنجاته إذ صبر عدوه على مجاهدته، ولا من جعل مروءاته لباسه ولم يجعل أدبه ومروءاته وتقواه لباسه، ولا من جعل علمه ومعرفته تظرفاً وتزيئاً في مجلسه، ثم قال: استغفر الله إن الكلام كثير وإن لم تقطعه لم ينقطع، وقام وهو يقول: لا تخرجوا من ثلاثة: النظر في دينكم بإيمانكم، والتزوّد لآخرتكم من دنياكم، والاستعانة من ربكم فيما أمركم به ونهاكم عنه .

وصية لقمانية: قال لقمان لابنه: جالس العلماء وزاحمهم بركبتك فإن الله جل ثناؤه

يحيى القلوب الميتة بنور العلم كما يحيى الأرض الميتة بوابل السماء، وإياك ومنازعة العلماء فإن الحكمة نزلت من السماء صافية فلما تعلمها الرجال صرفوها إلى هوى نفوسهم .

وصية حكيمية: روينا عن ذي النون المصري أنه قال: من نظر في عيوب الناس عمي عن عيوب نفسه، ومن عني بالفردوس والنار شغل عن القيل والقال، ومن هرب من الناس سلم من شرهم، ومن شكر المزيد زيد له، وقال بعضهم: مثل العالم الراغب في الدنيا الحريص في طلب شهواتها كمثّل الطبيب المداوي غيره الممرّض نفسه فلا يرجى منه الصلاح فكيف يشفي غيره .

وصية صحيحة: سئل بعض الأولياء العارفين بالله ما سبب الذنب؟ قال: سببه النظرة ومن النظرة الخطرة فإن تداركت الخطرة بالرجوع إلى الله ذهبت، وإن لم تدركها امتزجت بالوساوس فيتولد منها الشهوة، وكل ذلك بعد باطن لم يظهر على الجوارح فإن تداركت الشهوة وإلا تولد منها الطلب فإن تداركت الطلب وإلا تولد منه الفعل .

تذكرة تتضمن وصية نبوية: قال عيسى عليه السلام في بعض مواعظه لبني إسرائيل: أيها العلماء وأيها الفقهاء قعدتم على طريق الآخرة فلا أنتم تسيرون فيها فتدخلون الجنة ولا تتركون أحداً يجوزكم إليها، وأن الجاهل أعذر من العالم وليس لواحد منهما عذر . وقال بعض الصالحين: من ترك الشغل بفضول الدنيا فهو زاهد، ومن أنصف في المودة وقام بحقوق الناس فهو متواضع، ومن كظم الغيظ واحتمل الضيم والتزم الصبر فهو حلیم، ومن تمسك بالعدل وترك فضول الكلام وأوجز في المنطق وترك ما لا يعنيه واقتصد في أموره فهو عاقل، ومن تفرغ إلى الأمور المقرّبة إلى الله وتفرغ من نكد الدنيا إن لم تأكل مت وإن شبت كسلت وإن زدت مرضت فهو عابد .

وصية: من رجل صالح ناصح لعباد الله وقد قال له من حضر من أصحابه: أوصنا بوصية لعل الله أن ينفعنا بها، فقال رضي الله عنه، آثروا الله على جميع الأشياء واستعملوا الصدق فيما بينكم وبينه وأحبوه بكل قلوبكم والزموا بابه واشتغلوا به وتوسدوا الموت إذا نتمم واجعلوه نصب أعينكم إذا قمتم، وكونوا كأنكم لا حاجة لكم إلى الدنيا ولا بدّ لكم من الآخرة، واحفظوا ألسنتكم ولتحزنكم ذنوبكم وليكن افتخاركم بربكم وكونوا من خالصي الله تسلموا وسلم منكم الناس فتتالوا غداً مناكم، ثم قال: استغفر الله فإن للكلام حلاوة في الدنيا وما أعظم مؤنته في الآخرة، ثم قال: ليسأل الصادقين عن صدقهم وفي دون ما قلت كفاية .

وصايا نبوية محمدية: أوصى بها رسول الله ﷺ أبا هريرة رضي الله عنه فلنذكر منها ما يسر الله على قلبي الذي أنشئ به صور الحروف الدالة على المعاني، وفي مثل هذا قلت أخاطب الخادم الذي يقدر لي السراج حتى أكتب ما يلقي الله في روعي من الحكم الإلهية والمعارف الربانية: [البسيط]

قَدِ السَّرَاجِ عَسَى أَخْطَى بِرُؤْيَيْهِ وَأَنْشِئِ الْمَلَأَ الْمَرْقُومَ فِي الْوَرَقِ
فَمَا تَرَى طَبَقاً يَغْنُو لخدمته إِلَّا وَيَخْبِرُ بِالْأَحْوَالِ عَنْ طَبَقِ

في أحرَفٍ ما لها حدٌ فيخضُرُها تبدو مَعَايِنِهِ للأبصار في نَسَقِي
يُحَطِّطُ القَلَمُ العُلُوِّي صُورَتِها على يدي دائماً ما دام بي رَمَقِي

قال رسول الله ﷺ: يا أبا هريرة: إذا توضأت فقل: بسم الله والحمد لله فإن حفظتك لا تزال تكتب لك حتى تفرغ من ذلك الوضوء. يا أبا هريرة: إذا أكلت طعاماً فقل بسم الله والحمد لله فإن حفظتك لا تستريح تكتب لك حسنات حتى تنبذه عنك. يا أبا هريرة: إذا غشيت أهلك وما ملكت يمينك فقل بسم الله والحمد لله فإن حفظتك تكتب لك حسنات حتى تغتسل من الجنابة فإذا اغتسلت من الجنابة غفر لك ذنوبك. يا أبا هريرة: فإن كان لك ولد من تلك الوقعة كتب لك حسنات بعدد نفس ذلك الولد وعقبه حتى لا يبقى منه شيء. يا أبا هريرة: إذا ركبت دابة فقل بسم الله والحمد لله تكن من العابدين حتى تنزل من ظهرها. يا أبا هريرة: إذا ركبت السفينة فقل بسم الله والحمد لله تكتب من العابدين حتى تخرج منها. يا أبا هريرة: إذا لبست ثوباً فقل بسم الله والحمد لله تكتب لك عشر حسنات بعدد كل سلك فيه. يا أبا هريرة: لا يهابنك ما ملكت يمينك فإنك إن مت وأنت كذلك كنت عند الله وجيهاً. يا أبا هريرة: لا تهجر امرأتك إلا في بيتها ولا تضربها ولا تشتمها إلا في أمر دينها فإنك إن كنت كذلك مشيت في طرقات الدنيا وأنت عتيق الله من النار. يا أبا هريرة: احمل الأذى عمن هو أكبر منك وأصغر منك وخير منك وشر منك فإنك إن كنت كذلك باهى الله بك الملائكة ومن باهى الله به الملائكة جاء يوم القيامة آمناً من كل سوء. يا أبا هريرة: إن كنت أميراً أو وزير أمير أو داخلاً على أمير أو مشاور أمير فلا تجاوزن سيرتي وستي فإنه أيما أمير أو وزير أمير أو داخل على أمير أو مشاور أمير خالف سيرتي وستي جاء يوم القيامة تأخذه النار من كل مكان. يا أبا هريرة: عدل ساعة خير من عبادة ستين سنة قيام ليلها وصيام نهارها. يا أبا هريرة: قل للمؤمنين الذين أصابوا الصغائر والكبائر لا يمت أحد منهم وهو مصرّ عليه فإنه من لقي ربه عز وجل على ذلك وهو مصرّ عليها فإن عقوبتها يعني الصغيرة كعقوبة من لقي الله على كبيرة وهو مصرّ عليها. يا أبا هريرة: لأن تلقى الله عز وجل على كبائر قد تبت منها خير لك من أن تلقاه وقد تعلمت آية من كتاب الله عز وجل ثم تنساها. يا أبا هريرة: لا تلعن الولاية فإن الله أدخل أمة جهنم بلعنتهم ولاتهم. يا أبا هريرة لا تسبن شيئاً إلا الشيطان فإنك إن مت وأنت كذلك صافحتك جميع رسل الله تعالى عز وجل والمؤمنون حتى تصير إلى الجنة. يا أبا هريرة: لا تسب من ظلمك تعط من الأجر أضعافاً. يا أبا هريرة أبشع اليتيم والأرملة وكن لليتيم كالأب الرحيم وللأرملة كالزوج العطوف تعط بكل نفس تنفست في دار الدنيا قصراً في الجنة كل قصر خير من الدنيا وما فيها. يا أبا هريرة: امش في ظلم الليل إلى مساجد الله عز وجل تعط حسنات بوزن كل شيء وضعت عليه قدمك ممّا تحب وتكره إلى الأرض السابعة السفلى. يا أبا هريرة: ليكن مأواك المساجد والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله فإنك إن مت وأنت كذلك كان الله مؤنسك في القبر ويوم القيامة وعلى الصراط ويكلمك في الجنة. يا أبا هريرة: لا تنتهر الفقير فتنتهرك الملائكة يوم القيامة. يا أبا هريرة: لا تغضب إذا قيل لك اتق الله وأنت

قد هممت بسيئة إن عملها تكن خطيتك عقوبتها النار. يا أبا هريرة: من قيل له اتق الله فغضب جيء به يوم القيامة فيوقف موقفاً لا يبقى ملك إلا مرَّ به فقال له: أنت الذي قيل له اتق الله فغضب فيسوءه ذلك فاتق مساوئ يوم القيامة أو مساءه الشك من الراوي. يا أبا هريرة: أحسن إلى ما خولك الله فإنه من أساء إلى شيء مما خوله الله فإنه يرصده على الصراط فيتعلق به فكم من مؤمن يرد إلى الصراط للقصاص. يا أبا هريرة: على كل مسلم صلاة في جوف الليل ولو قدر حلب شاة ومن صَلَّى في جوف الليل يريد أن يرضي ربه عزَّ وجلَّ رضي الله عنه وقضى له حاجته في الدنيا والآخرة فزعم أبو هريرة قال قلت: يا رسول الله في أي الليل الصلاة أفضل؟ قال: وسط الليل. يا أبا هريرة: إن استطعت أن تلقى الله خفيف الظهر من دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم فافعل تكن من أول المقربين ولا تتخذن أحداً من خلق الله غرضاً فيجعلك الله غرضاً لشرر جهنم يوم القيامة. يا أبا هريرة: إذا ذكرت جهنم فاستجر بالله منها وليبك قلبك منها ونفسك ويقشعر جلدك منها يجررك الله منها. يا أبا هريرة: إذا اشتقت إلى الجنة فاسأل أن يجعل لك فيها نصيباً ومقيلاً وليحن قلبك شوقاً إليها وتدمع عينك وأنت مؤمن بها إذن يعطيها الله تعالى ولا يردك. يا أبا هريرة: إن شئت أن لا تفارقني يوم القيامة حتى تدخل معي الجنة أحببني حباً لا تنساني، واعلم أنك إن أحببتني لم تترك ثلاثة قلت فوصل إليَّ منها، وارض بقسم الله فإنه من خرج من الدنيا وهو راض بقسم الله خرج والله عنه راض، ومن رضي الله عنه فمصيره إلى الجنة. يا أبا هريرة: مر بالمعروف وانه عن المنكر قال: كيف أمر بالمعروف وأنه عن المنكر؟ قال: علم الناس الخير ولقنهم إياه وإذا رأيت من يعمل بمعاصي الله تعالى لا تخاف سوطه وسيفه فلا يحل أن تجاوزه حتى تقول له اتق الله. يا أبا هريرة: تعلم القرآن وعلمه الناس حتى يجيئك الموت وأنت كذلك، وإن كنت كذلك جاءت الملائكة إلى قبرك وصلوا عليك واستغفروا لك إلى يوم القيامة كما يحجُّ المؤمنون إلى بيت الله عزَّ وجلَّ. يا أبا هريرة: القَّ المسلمين بطلاقة وجهك ومصافحة أيديهم بالسلام إن استطعت أن تكون كذلك حيث كنت فإن الملائكة معك سوى حفظتك يستغفرون لك ويصلون عليك، واعلم أنه من خرج من الدنيا والملائكة يستغفرون له غفر الله له. يا أبا هريرة: إن أحببت أن يغشى لك الشاء الحسن في الدنيا والآخرة كف لسانك عن غيبة الناس فإنه من لم يغتب الناس نصره الله في الدنيا والآخرة، أما نصرته في الدنيا فليس أحد يتناوله إلا كانت الملائكة تكذبهم عنه، وأما نصرته في الآخرة فعفو الله عن قبيح ما صنع ويتقبل منه أحسن ما عمل. يا أبا هريرة: اغد في سبيل الله يبسط الله لك الرزق. يا أبا هريرة: صل رحمك يأتك الرزق من حيث لا تحتسب واحجج البيت يغفر الله لك ذنوبك التي وافيت بها البلد الحرام. يا أبا هريرة: أعتق الرقاب يعتق الله بكل عضو منه عضواً منك وفيه أضعاف ذلك من الدرجات. يا أبا هريرة: أشبع الجائع يكن لك مثل أجر حسناته وحسنات عقبه وليس عليك من سيئاتهم شيء. يا أبا هريرة: لا تحقرن من المعروف شيئاً تعمله ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستقى فإنه من خصال البر والبرِّ كله عظيم وصغيره ثوابه الجنة. يا أبا هريرة:

مر أهلك بالصلاة فإن الله تعالى يأتيك بالرزق من حيث لا تحسب ولا يكن للشيطان في بيتك مدخلاً ولا مسلماً. يا أبا هريرة: إذا عطس أخوك المسلم فشمته فإنه يكتب لك به عشرون حسنة فقلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي كيف ذلك؟ قال: إنك حين تقول له يرحمك الله يكتب لك عشر حسنات، وحين يقول لك يهديك الله يكتب لك عشر حسنات. يا أبا هريرة: كن مستغفراً للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات كانوا كلهم شفعاء لك وكان لك مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيء. يا أبا هريرة: إن كنت تريد أن تكون عند الله صديقاً فأمن بجميع رسل الله وأنبياء الله وكتبه. يا أبا هريرة: إن كنت تريد أن تحرم على النار جسدي فقل إذا أصبحت وإذا أمسيت: لا إله إلا الله وحده لا شريك له لا إله إلا الله له الملك وله الحمد لا إله إلا الله والله أكبر لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله. يا أبا هريرة: لا يحل لك أن تدخل على من هو في سكرات الموت ولو كان نبياً حتى تلقته شهادة أن لا إله إلا الله. يا أبا هريرة من لقن مريضاً في سكرات الموت شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فقالها كان له مثل جميع حسناته فإن لم يقلها فله عنق رقبة بقوله لا إله إلا الله. يا أبا هريرة: لقن الموتى شهادة أن لا إله إلا الله رب اغفر لي فإنها تهدم الذنوب هدماً، فقلت: يا رسول الله هذا للموتى فكيف للأحياء؟ فقال: هي أهدم وأهدم قال: فعدده رسول الله ﷺ على أكثر من عشرين مرة يقول رسول الله ﷺ: أهدم وأهدم. يا أبا هريرة: فإن استطعت أن لا تمطر السماء مطراً إلا صليت عنده ركعتين فإنك تعطى حسنات بعدد كل قطرة نزلت تلك الساعة وعدد كل ورقة أنبت ذلك المطر. يا أبا هريرة: تصدق بالماء فإنه لا يتوضأ أحد إلا كان لك مثل حسناته من غير أن ينقص من حسناته شيء. يا أبا هريرة: أما علمت أن رجلاً غفر له احتش حشيشاً فجاءت بهيمة فأكلته. يا أبا هريرة: قل للناس حسناً تفلح يوم القيامة. يا أبا هريرة: عد على المسكين كافراً كان أو مسلماً فإن كان عدت على المسكين الكافر رحمك الله، وأما ثوابك إن عدت على المسكين المسلم فلا أحسن صفته. يا أبا هريرة: إذا كنت في عيال أهلك أو أمك أو ولدك فلا يحل لك أن تتصدق منه إلا بإذنه. يا أبا هريرة: لا يحل لك من مال امرأتك شيء إلا شيء تعطيك من غير أن تسألها وذلك هو قول الله عز وجل: ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ [النساء: ٤] يا أبا هريرة: قل للنساء لا يحل لهن أن يتصدقن من بيوت أزواجهن شيئاً إلا بكل رطب يخفن فساده إذا كان غائباً. يا أبا هريرة: علم الناس سنتي يكن لك النور الساطع يوم القيامة يغبطك به الأولون والآخرون. يا أبا هريرة: كن مؤذناً وإماماً فإنك إذا رفعت صوتك بالأذان يرفع صوتك حتى يبلغ العرش فلا يمر صوتك على شيء إلا كان لك بعدده عشر حسنات ولك إذا كنت إماماً بعدد من صلى خلفك ولك مثل صلاتهم لا ينقص من صلاتهم شيء إلا أن تكون إماماً خائناً، قلت: يا رسول الله وكيف الإمام الخائن؟ قال: إذا خصصت نفسك بالدعاء دونهم فقد خنتهم. يا أبا هريرة: لا تضرب في أدب فوق ثلاث فإنك إن زدت فهي قصاص يوم القيامة. يا أبا هريرة: أدب صغار أهل بيتك بلسانك على الصلاة والطهور فإذا بلغوا عشر سنين فاضرب ولا تجاوز ثلاثاً. يا أبا

هريرة: عليك بابن السبيل فقدمه إلى أهلك أو إلى أهله تشيعك الملائكة إلى الصراط. يا أبا هريرة: جالس الفقراء فإن رحمة الله لا تبعد عنهم طرفة عين. يا أبا هريرة: لا تؤذ المسلمين في طريقهم فإنه من آذى المسلمين في طريقهم ذمه المسلمون والملائكة جميعاً. يا أبا هريرة: إذا مررت على أذى في الطريق فغطه بالتراب يستر الله عليك يوم القيامة. يا أبا هريرة: إذا أرشدت أعمى فخذ يده اليسرى بيدك اليمنى فإنها صدقة. يا أبا هريرة: من مشى مع أعمى ميلاً يسدده كان له بكل ذراع من الميل حتى يسمعك الله ما يسرك يوم القيامة. يا أبا هريرة: اسمع الأصم الذي يسألك عن خير يسمعك الله ما يسرك يوم القيامة. يا أبا هريرة: أرشد الضال ترشدك الملائكة إلى أحسن المواقف يوم القيامة. يا أبا هريرة: لا ترشد اليهودي إلى كنيسه ولا النصراني إلى بيعته ولا الصابئي إلى صومعته ولا المجوسي إلى بيت ناره ولا المشرك إلى بيت وثنه إذن تكتب عليك مثل خطاياهم حتى يرجع. يا أبا هريرة: لا ترشد أحداً إلى غير حدود الله فيعمل به إذن يكون عليك مثل ذنبه. يا أبا هريرة: أرشد عباد الله إلى مساجد الله وإلى البلد الحرام وإلى قبري يكن لك مثل أجورهم ولا تنقص من أجورهم شيئاً. يا أبا هريرة: أبلغ النساء أنه ليس عليهن زيارة قبري ولكن عليهن حج بيت الله إذا كان معهن محرم وإلاً فلا. قلت: يا رسول الله وإن كانت امرأة مثل الحشفة؟ قال: وإن كانت امرأة مثل الحشفة. يا أبا هريرة: إن استطعت أن لا يكون لأحد من الظالمين عليك يد ولا لسان فإني أحب لك ذلك. يا أبا هريرة: لا يكن أمير من أمرائك إلا أميراً يعدل مثل ما تعدل أنت فإن عدلت أنت وجار هو كنت أنت شريكه في الإثم ولم تكن شريكه في الأجر. يا أبا هريرة: إن كان لك مال وجبت عليه زكاة فزكه، فإن أصابته آفة وقد زكيت مرة واحدة فهي مجزئة إلى يوم القيامة. يا أبا هريرة: إذا لقيت اليهودي والنصراني فلا تصافحه وأنت على وضوء فإن فعلت فأعد الوضوء. يا أبا هريرة لا تكن اليهودي والمجوسي والنصراني ولكن سمّه باسمه فإنك والله تذلّه بذلك، ولا يحل لك أن تكرمه إنما لهم من العهد والذمة أن لا يؤخذ أموالهم إلا بطيب أنفسهم ولا تدخل بيوتهم إلا بأذنهم ولا تحل بينهم وبين أطفالهم ولا يخانون في نسائهم فبذلك أمرك لتعرف الملة. يا أبا هريرة: إذا خلوت بيهودي أو نصراني أو مجوسي فلا يحل لك أن تفارقه حتى تدعوه إلى الإسلام. يا أبا هريرة: لا تجادلن أحداً منهم فعسى أن يأتيك بشيء من التنزيل فتكذبه أو تجيء بشيء فيكذبك لا يكون من حديثك إلا أن تدعوه إلى الإسلام. وهو قول الله تعالى: ﴿وَحَدِّثْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥] الدعاء إلى الإسلام.

يا أبا هريرة: صل إماماً كنت أو غير إمام في ثوب واحد إن كان صفيقاً. يا أبا هريرة: أتريد أن يكون أجرك كأجر شهداء بدر؟ انظر رجلاً مسلماً ليس له ثوب يجمع فيه يوم الجمعة فأعره ثوبك أو هبه له. يا أبا هريرة: أتريد أن لا تسمع حسيس النار ولا يقع بك شررها؟ فأغث من استغاث بك حريق كان لص كان سيل كان غريق كان هدم كان. يا أبا هريرة: نفس عن المكروبين والمغمومين تخرج من غم يوم القيامة. يا أبا هريرة امش إلى غريمك بحقه تشيعك الملائكة بالصلاة عليك. يا أبا هريرة: من علم الله منه أنه يريد قضاء دينه رزقه الله من حيث لا

يحتسب وهياً له قضاء دينه في حياته أو بعد موته. يا أبا هريرة: من أصاب مالا حلالاً وأدى زكاته ثم ورثه عقبه فكل ما ينصح فيه ورثته من الحسنات فله مثل ذلك من غير أن ينقص من أجورهم. يا أبا هريرة: من قذف محصناً أو محصنة حبس يوم القيامة في وادي خبال هناك حتى يخرج أو يجيء ببيان ما قال، قال قلت: يا رسول الله وما وادي خبال؟ قال: وادي خبال وادي في جهنم يسيل فيه قيحهم وما يخرج من أجوافهم. يا أبا هريرة: من مات وعليه دين وترك وفاء ذلك فجحدهم ورثته وليس لهم عليه بينة ولم يعلم الله منه أنه يريد قضاءه فهو قصاص من حسناته يوم القيامة. يا أبا هريرة: المقتول في سبيل الله يغفر له جميع ذنوبه إلا ديناً أو قذف محصنة أو محصن. يا أبا هريرة: كل ذنب غم يوم القيامة فرب ذنب له ثارة من الغم ورب غم له ثارات ولا ذنب على المسلم أطول ثارات من مظلمة لدم أو مال أو عرض. يا أبا هريرة: من أصاب شيئاً من ذلك فتاب إلى الله عز وجل قبل موته واستكان وتضرع وليس عنده إذن تلك المظلمة فإن على الله أن يرضي خصمائه يوم القيامة من عنده بما شاء. يا أبا هريرة: إن ظلمك إنسان فلا تشكه ولا تسمع به الناس وتعرفهم حالته تكون أنت وهو سواء. يا أبا هريرة: من عفا عن مظلمة صغيرة أو كبيرة فأجره على الله ومن كان أجره على الله فهو من المقرّبين الذين يدخلون الجنة مدخلاً. يا أبا هريرة: لا تروّع أحداً من خلق الله عز وجل فتروّعك ملائكة الله في الآخرة يوم القيامة. يا أبا هريرة: أتريد أن تكون عليك رحمة الله حياً وميتاً ومقبوراً ومبعوثاً فقم بالليل وصل وأنت تريد به رضى ربك، ثم مر أهلك يصلون إذا فرغوا يوقظونك فإنه إذا مرّ عليك من الليل ثلاث ساعات ومن النهار ثلاث ساعات وفي بيتك من يعبد الله أعطاك الله مثل ذلك. يا أبا هريرة: صل في زوايا بيتك جميعاً يكون نور بيتك في السماء كنور الكواكب والنجوم في السماء عند أهل الدنيا: يا أبا هريرة: احمل غداك وعشاك إلى أقاربك المحتاجين يكن لك في كل خير يقسمه الله من بين أوليائه وأحبائه في الدنيا والآخرة سهم وافر. يا أبا هريرة: ارحم جميع خلق الله يرحمك الله من النار يوم القيامة، قال: قلت: يا رسول الله إني لأرحم الذباب يكون في الماء، فقال رسول الله ﷺ: رحمك الله رحمك الله رحمك الله. يا أبا هريرة: إذا نزلت بك مصيبة فارض بما أعطاك الله وليعلم الله منك أن ثواب المصيبة أحب إليك من المصيبة يعطيك الله الصلاة والرحمة والهدى. يا أبا هريرة: عزّ الحزين كما تحب أن تُعزّي، وأذكر ثواب ما أعد الله على المصيبة تعط بكل خطوة خطوات عتق رقبة. يا أبا هريرة: إذا مررت بجمع نساء فلا تسلم عليهنّ فإن بدأنك بالسلام فاردد عليهن. يا أبا هريرة: إذا سلّم المسلم على المسلم فردّ عليه صلت عليه الملائكة سبعين مرة. يا أبا هريرة: الملائكة تتعجب من المسلم يلقي المسلم فلا يسلم عليه. يا أبا هريرة: تعود التسليم فإنه خصلة من خصال الجنة وهو تحية أهل الجنة، قال ابن شاهين: وهو تحية أهل الجنة يوم القيامة. يا أبا هريرة: أصبح وأمس ولسانك رطب من ذكر الله تصبغ وتمسي وليس عليك خطيئة. يا أبا هريرة: إن الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب الماء الوسخ. يا أبا هريرة: استر عورة أخيك يكن الله لك ناصرأ. يا أبا هريرة: انصر أخاك واستر عليه قبل أن

يرفع إلى السلطان في حد من حدود الله، فإياك أن تبأشر له بنفسك ومالك فإنه من حالت شفاعة دون حد من حدود الله فهو كذا وكذا.

وصية: قال بعض العلماء في وصية أوصى بها: اعلم أنه من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر، ومن نظر إلى العواقب نجا، ومن اعتبر أبصر، ومن فهم علم، وفي التواني والإفراط يكون الهلكة، وفي التأنى السلامة والبركة، وزارع البر يحصد السرور، والقليل مع القناعة خير من الكثير مع السرف المشرف في الذل، والتقوى نجاة والطاعة ملك وحليف الصدق موفق، وصاحب الكذب مخذول وصاديق الجاهل تعب ونديم العاقل مغتبط، فإذا جهلت فسل وإذا ندمت فأقلع وإذا غضبت فاحلم، وإن أوتمنت فاكتم، ومن كافاك بالشكر فقد أدى إليك الصنيعة، ومن أقرضك الثناء فاقضه الفعل، ومن بدأك ببره شغلك بشكره، فتفهم ما رقد مني إليك واجعله ممثلاً بين عينيك، فإن الذي أفدتك من وصيتي أبلغ في رقدك من عطيتي، وضع الصنائع عند الكرام ذوي الأحساب ولا تضعن معروفك عند اللثام فتضيعه، فإن الكريم يشكر لك ويرصد لك المكافأة، واللثيم يحسب ذلك خوفاً ويؤول أمرك معه إلى المذمة، وقال الشاعر: [الوافر]

إذا أوليت مغروراً لثيماً يَعدُّكَ قد قَتَلتَ له قَتِيلاً
فكُن من ذاك معتذراً إليه وقل إنني أتيتك مُستَقِيلاً
فإن تغفر فمُجترمي عظيم وإن عاقبت لم تظلم قَتِيلاً
وإن أوليت ذلك ذا وفاء فقد أوذغته شُكراً طويلاً

ومن الوصايا: أوصى بعض العارفين بالله إنساناً فقال: إياك أن تكون في المعرفة مدعياً وتكون بالزهد متحرفاً أو تكون بالعبادة متعلقاً، فقيل له: يرحمك الله فسر لنا ذلك فقال: أما علمت أنك إذا أشرت في المعرفة إلى نفسك بأشياء أنت معزى عن حقائقها كنت مدعياً، وإذا كنت بالزهد موصوفاً بحالة وبك دون الأحوال كنت محترفاً، وإذا عقلت قلبك بالعبادة وظننت أنك تنجو من الله بالعبادة لا بالله في العبادة كنت بالعبادة متعلقاً.

وصية نبوية: قال رسول الله ﷺ في وصيته لأبي هريرة: عليك يا أبا هريرة بطريق أقوام إذا فرغ الناس لم يفزعوا، وإذا طلب الناس الأمان من النار لم يخافوا، قال أبو هريرة: من هم يا رسول الله؟ حلهم وصفهم لي حتى أعرفهم، قال: قوم من أمتي في آخر الزمان يحشرون يوم القيامة محشر الأنبياء إذا نظر إليهم الناس ظنوهم أنبياء ممّا يرون من حالهم حتى أعرفهم أنا فأقول أمتي أمتي فتعرف الخلائق أنهم ليسوا أنبياء فيمرون مثل البرق والريح تغشى أبصار أهل الجمع من أنوارهم، فقلت: يا رسول الله مر لي بمثل عملهم لعلني ألق بهم، فقال: يا أبا هريرة ركب القوم طريقاً صعباً لحقوا بدرجة الأنبياء، آثروا الجوع بعدما أشبعهم الله، والعري بعدما كساهم، والعطش بعدما أرواهم، تركوا ذلك رجاء ما عند الله، تركوا الحلال مخافة حسابه، صحبوا الدنيا بأبدانهم ولم يشتغلوا بشيء منها، عجبت الملائكة والأنبياء من طاعتهم لربهم، طوبى لهم طوبى لهم، وددت أن الله جمع بيني وبينهم ثم بكى رسول الله ﷺ

شوقاً إليهم ثم قال: إذا أراد الله بأهل الأرض عذاباً فنظر إليهم صرف العذاب عنهم، فعليك يا أبا هريرة بطريقتهم فمن خالف طريقتهم تعب في شدة الحساب.

وصية: كتبت إلى بعض معارفنا بوصية ضمنتها أبياتاً أحرضه فيها على تكملة إنسانيته وهي: [مجزوء الرمل]

إِنْ تَكُنْ رَوْحاً وَرَبْحَانَا كُنْتَ بَيْنَ النَّاسِ إِنْسَانَا
إِنَّمَا أَعْطَاكَ صُورَتَهُ لَتَكُنْ فِي الْخَلْقِ رَحْمَانَا
فَالَّذِي قَدْ حَازَ صُورَتَهُ حَازَ مَا يَأْتِي وَمَا كَانَ
وَالَّذِي فِي الْعَيْبِ مِنْ عَجَبِ وَالَّذِي قَدْ جَاءَهُ الْآنَا
وَالَّذِي يَدْعُوهُ خَالِقُهُ إِنَّمَا يَدْعُوهُ مِنْ خَسَانَا

وأوصى بعض الصالحين إنساناً فقال: أكثر مسائلة الحكماء وليكن أول شيء تسأل عنه العقل لأن جميع الأشياء لا تدرك إلا بالعقل، ومتى أردت الخدمة لله فاعقل لمن تخدم ثم اخدم. سأل إبراهيم الأحميمي ذا النون أن يوصيه بوصية يحفظها عنه قال: وتفعل؟ قال إبراهيم قلت: نعم إن شاء الله، فقال: يا إبراهيم احفظ عني خمساً فإن أنت حفظتهن لم تبال ماذا أصبت بعدهن، قلت: وما هن رحمك الله؟ قال: عانق الفقر، وتوسد الصبر، وعاد الشهوات، وخالف الهوى، وافزع إلى الله في أمورك كلها، فعند ذلك يورثك الشكر والرضا والخوف والرجاء والصبر، وتورثك هذه الخمسة خمسة، العلم والعمل وأداء الفرائض واجتناب المحارم والوفاء بالعهد، ولن تصل إلى هذه الخمسة إلا بخمس: علم غزير ومعرفة شافية وحكمة بالغة وبصيرة ناقدة ونفس راهبة، والويل كل الويل لمن يلي بخمس: حرمان وعصيان وخذلان واستحسان النفس بما يسخط الله والإضرار على الناس بما يأتي، وأقبح القبح خمس: قبح الفعال ومساوي الأعمال وثقل الظهور بالأوزار والتجسس على الناس بما لا يحب الله ومبارزة الله بما يكره، وطوبى ثم طوبى لمن أخلص خمسة: من أخلص علمه وعمله وحببه وبغضه وأخذه وعطاءه وكلامه وصمته وقوله وفعله، واعلم يا إبراهيم أن وجوه الحلال خمسة: تجارة بالصدق، وصناعة بالنصح، وصيد البر والبحر، وميراث حلال الأصل، وهدية من موضع ترضاها، فكل الدنيا فضول إلا خمسة: خبز يشبعك، وماء يرويك، وثوب يسترك، وبيت يكتنك، وعلم تستعمله، ويحتاج أيضاً أن يكون معه خمسة أشياء: الإخلاص والنية والتوفيق وموافقة الحق وطيب المطعم والملبس، وخمسة أشياء فيها الراحة: ترك قرناء السوء والزهد في الدنيا والصمت وحلاوة الطاعة إذا غبت عن أعين المخلوقين وترك الازدراء على عباد الله حتى لا تزدرى على أحد يعصي الله، وعندها يسقط عنك خمس: المرء والجدال والرياء والتزين وحب المنزلة، وخمس فيهم جمع الهم: قطع كل علاقة دون الله، وترك كل لذة فيها حساب، والتبرم بالصديق والعدو، وخفة الحال، وترك الادخار، وخمس يا إبراهيم يتوقعهن العالم: نعمة زائلة، أو بلية نازلة، أو ميتة قاضية، أو فتنة

قاتلة، أو تزل قدم بعد ثبوتها، حسبك يا إبراهيم إن عملت بما علمتكم . منظوم لأبي العتاهية في هذا الباب: [مخلع البسيط]

أرى خَليلي كما يراني	ما أنا إلا لمن يُعاني
مكان من لا يرى مكاني	لست أرى ما ملكت طرفي
لو جهد الخلق ما عداني	فلي إلي أن أموت رزقي
وعن فلان وعن فلان	فاستغن بالله عن فلان
للعريض والوجه واللسان	فالمال من جلّه قوام
مفتاحه العجز والثواني	والفقير ذلّ عليه باب
هَنّ من الله في ضَمَانِ	ورزق ربي له وجوه
ليس له في العلو ثمان	سبحان من لم يزل علياً
فكل حَيّ سواه فإن	قضى على خلقه المنايا
إلا بكيت على زمان	يارب لم نُبك من زمان

نصيحة عمرية: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من أظهر للناس خشوعاً فوق ما في قلبه فإنما أظهر نفاقاً على نفاق.

موعظة تتضمن وصية ونصيحة نبوية: قال رسول الله ﷺ: طوبى لمن تواضع في غير منقصة، وذلّ في نفسه في غير مسكنة، وأنفق من مال جمعه من غير معصية، وخالط أهل الفقه والحكمة، ورحم أهل الذلّة والمسكنة، طوبى لمن طاب كسبه وصلحت سيرته وكرمت علانيته وعزل عن الناس شرّه، طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله.

وصية الفضيل بن عياض إلى أمير المؤمنين: روي أن أمير المؤمنين هارون الرشيد حج معه الفضل بن الربيع قال: أتاني أمير المؤمنين فخرجت إليه مسرعاً فقلت: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إليّ لأتيتك فقال: ويحك قد كان ذلك في نفسي فانظر لي رجلاً أسأله فقلت: ههنا سفيان بن عيينة فقال: امض بنا إليه فأتيناه فقرعت الباب فقال: من ذا؟ فقال: أجب أمير المؤمنين فخرج مسرعاً فقال: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إليّ لأتيتك، قال له: خذ لما جئناك له رحمك الله فحدثه ساعة ثم قال له: عليك دين؟ قال: نعم، فقال: اقض دينه، فلما خرجنا قال: ما أغنى عني صاحبك شيئاً انظر لي رجلاً أسأله أنظر لي رجلاً أسأله، فقلت: ههنا عبد الرزاق فذكر مثل ما جرى له مع سفيان وقال: ما أغنى عني صاحبك شيئاً أنظر لي رجلاً أسأله فقلت: ههنا الفضيل بن عياض فقال: امش بنا إليه فإذا هو قائم يصلي يتلو آية من القرآن يرددّها قال: اقرع الباب فقرعت فقال: من هذا؟ قلت: أجب أمير المؤمنين فقال: ما لي ولأمير المؤمنين، فقلت: سبحان الله أما عليك طاعة؟ فنزل ففتح الباب ثم ارتقى إلى الغرفة فأطفأ السراج ثم التجأ إلى زاوية من زوايا البيت فدخلنا فجعلنا نحول عليه بأيدينا فسبقت كف أمير المؤمنين قبلي إليه فقال: يا لها من كف ما أئينها إن نجت غداً من عذاب الله عز وجلّ، فقلت في نفسي ليكلمنه الليلة بكلام من قلب تقيّ فقال له: خذ لما جئناك له

رحمك الله، فقال له: إن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة دعى سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظي ورجاء بن حيوة فقال لهم: إني قد ابتليت بهذا البلاء فأشيروا عليّ فعدت الخلافة بلاء وعددتها أنت وأصحابك نعمة فقال له سالم بن عبد الله: إن أردت النجاة من عذاب الله فصم عن الدنيا وليكن فطرك منها الموت. وقال له محمد بن كعب: إن أردت النجاة من عذاب الله فليكن كبير المسلمين عندك أباً ووسطهم عندك أخاً وأصغرهم عندك ولداً، فوقر أباك، واکرم أخاك، وتحنن عليّ ولذك، وقال له رجاء بن حيوة: إن أردت النجاة غداً من عذاب الله فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك وأكره لهم ما تكره لنفسك ثم مت إذا شئت، وإني أقول لك يا هارون: إني أخاف عليك أشد الخوف يوم تزل فيه الأقدام فهل معك رحمك الله من يشير عليك بمثل هذا؟ فبكى هارون بكاء شديداً حتى غشي عليه فقلت له: ارفق بأمر المؤمنين فقال: تقتله أنت وأصحابك وأرفق به أنا ثم أفاق فقال له: زدني رحمك الله، فقال: يا أمير المؤمنين بلغني أن عاملاً لعمر بن عبد العزيز شكى إليه فكتب إليه: يا أخي أذكرك طول سهر أهل النار في النار مع خلود الأبد وإياك أن ينصرف بك من عند الله عز وجل فيكون آخر العهد وانقطاع الرجاء، فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر بن عبد العزيز فقال له: ما أخرجك؟ قال: خلعت قلبي بكتابك لا أعود إلى ولاية حتى ألقى الله عز وجل، قال: فبكى هارون بكاء شديداً، ثم قال: زدني رحمك الله، فقال: يا أمير المؤمنين إن العباس عم المصطفى ﷺ جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أمرني على إمارة فقال له: إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة فإن استطعت أن لا تكون أميراً فافعل، فبكى هارون بكاء شديداً وقال له: زدني رحمك الله، قال: يا حسن الوجه أنت الذي يسألك الله عز وجل عن هذا الخلق يوم القيامة فإن استطعت أن تقي هذا الوجه فافعل، وإياك أن تصبح وتمسي وفي قلبك غش لأحد من رعيتك فإن النبي ﷺ قال: من أصبح لهم غاشاً لم يرح رائحة الجنة، فبكى هارون وقال له: عليك دين؟ قال نعم دين لربي لم يحاسبني عليه فالويل لي إن سألني والويل لي إن ناقشني والويل لي إن لم ألهم حجتي، قال: إنما أعني من دين العباد، قال: إن ربي لم يأمرني بهذا وقد قال عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾ [الذاريات: ٥٨] فقال له: هذه ألف دينار خذها وأنفقها على عيالك وتقوى بها على عبادتك، فقال: سبحان الله أنا أدلك على طريق النجاة وأنت تكافنتي بمثل هذا سلمك الله ووفقك ثم صمت فلم يكلمنا، فخرجنا من عنده فلما صرنا على الباب قال لي هارون: إذا دلتني على رجل فدلتني على مثل هذا، هذا سيد المسلمين. فدخلت عليه امرأة من نساءه فقالت له: يا هذا قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال فلو قبلت هذا المال لفرجت عنا به، فقال لها: مثلي ومثلكم كمثل قوم كان لهم بغير يأكلون من كسبه فلما كبر نحروه فأكلوا لحمه، فلما سمع هارون هذا الكلام قال: ندخل فعسى أن يقبل المال، فلما علم الفضيل خرج فجلس في السطح على باب الغرفة فجاء هارون فجلس إلى جنبه فجعل يكلمه ولا يعجبه فبينما نحن كذلك إذ خرجت جارية سوداء فقالت: يا هذا قد آذيت الشيخ هذه الليلة فانصرف رحمك الله فانصرفنا.

وقال رجل لذي النون المصري: ذلني على طريق الصدق والمعرفة فقال: يا أخي أذ إلى الله صدق حالك التي أنت عليها على موافقة الكتاب والسنة ولا ترق حيث لا ترق فتزل قدمك فإنه إذا دل بك لم تسقط وإذا ارتقيت أنت تسقط، وإياك أن تترك ما تراه يقيناً لما ترجوه شكاً.

وصية مشفق ناصح: ليكن أثر الأشياء عندك وأحبها إليك أحكام ما افترض الله عليك واتق ما نهاك عنه فإن ما تعبدك الله به خير لك، وأفضل ممّا تختاره لنفسك من أعمال البر التي لم تجب عليك وأنت ترى أنها أبلغ لك فيما تريد كالذي يؤدّب نفسه بالفقر والتقليل وما أشبه ذلك، إنما ينبغي للعبد أن يراعي أبداً ما وجب عليه من فرض فيحكمه على تمام حدوده وينظر إلى ما نهى عنه فيتقيه على أحكم ما ينبغي، فالذي قطع العباد عن ربه عز وجل وقطعهم عن أن يرزقوا حلاوة الإيمان وعن أن يبلغوا حقائق الصدق وحجب قلوبهم من النظر إلى الآخرة وما أعدّ الله فيها لأولياؤه وأعدائه حتى يكونوا كأنهم مشاهدون إنما قطعهم تهاونهم عن أحكام ما فرض عليهم في قلوبهم وأسماعهم وأبصارهم وألسنتهم وأيديهم وأرجلهم وبطونهم وفروجهم، ولو وقفوا على هذه الأشياء وأحكموها لأدخل عليهم البرّ إدخالاً يعجز أبدانهم وقلوبهم عن حمل ما رزقهم من حسن معونته وفوائده كرامته، ولكن أكثر الفراء والنساء حقروا محقرات الذنوب وتهاونوا بالقليل منها وممّا فيهم من العيوب فحرموا لذة ثواب الصادقين في العاجل، واستغفروا الله ممّا تقول ولا تفعل.

وصية عبد الله المغاور وكان رجلاً كبيراً من أهل لبلة من أعمال إشبيلية بغرب الأندلس: كان سبب رجوعه إلى طريق الله أن الموحدين لما دخلوا لبلة رمت امرأة عليه نفسها وقالت له: احملني إلى إشبيلية وأزلي من أيدي هؤلاء القوم، فأخذها على عنقه وخرج بها فلما خلا بها وكان من الشطار الأشداء وكانت المرأة ذات جمال فائق فدعته نفسه إلى وقاعها فقال: يا نفسي هي أمانة بيدي ولا أحبّ الخيانة وما هذا وفاء مع صاحبها فأبت عليه نفسه إلاّ الفعل، فلما خاف على نفسه أخذ حجراً وجعل ذكره عليه وهو قائم وأخذ حجراً آخر فقال به عليه فرضخه بين الحجرين فقال: يا نفسي النار ولا العار، فجاء منه واحد زمانه وخرج من حينه يطلب الحج فأقام بالإسكندرية إلى أن مات بها أدركته ولم أجمع به، فأخبرني أبو الحسن الإشبيلي قال: أوصاني عبد الله المغاور فقال لي: يا أبا الحسن أمرك بخمس وأنهاك عن خمس: أمرك باحتمال أذى الخلق وترك أذى الخلق وإدخال الراحة على الإخوان وأن تكون أذنًا لا لساناً أي اسمع أكثر ممّا تتكلم به والخامس أن تكون مع الناس على نفسك. وأنهاك عن معاشرّة النساء وحب الدنيا وحب الرياسة وعن الدعوى وعن الوقوع في رجال الله.

وصية حكيم رويها من حديث ابن مروان المالكي: في المجالسة قال: حدثنا ابن أبي الدنيا قال: سمعت محمد بن الحسين يقول: قال حكيم لحكيم: أوصني، فقال: اجعل الله همك واجعل الحزن على قدر ذنبك فكم من حزين وقف به حزنه على سرور الأبد، وكم من فرح نقله فرحه إلى طول الشقاء.

وصية نبوية: رويها من حديث أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «تَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا وَيَأْدُرُوا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ قَبْلَ أَنْ تُشْغَلُوا وَصَلُوا الَّذِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمْ تَسْعُدُوا وَأَكْثِرُوا الصَّدَقَةَ تَرْزُقُوا وَأَمُرُوا بِالْمَغْرُوفِ تُخْصِبُوا وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ تُنْصِرُوا، أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَكْثَرَكُمْ أَكْثَرَكُمْ لِلْمَوْتِ ذِكْرًا وَأَخْرَمَكُمْ أَحْسَنَكُمْ لَهُ اسْتِعْدَادًا، أَلَا وَإِنَّ مِنْ عَلَامَاتِ الْعَقْلِ التَّجَافِي عَنِ دَارِ الْغُرُورِ وَالْإِنَابَةَ إِلَى دَارِ الْعُلُودِ وَالتَّرْوَدَ لِسُكْنَى الْقُبُورِ وَالتَّأَهُبَ لِيَوْمِ النُّشُورِ» وأنشد بعضهم: [البيسط]

كُنَّا عَلَى ظَهْرهَا وَالدَّهْرُ فِي مَهَلٍ وَالْعَيْشُ يَجْمَعُنَا وَالدَّارُ وَالْوَطَنُ
فَفَرَّقَ الدَّهْرُ بِالتَّصْرِيفِ الْفَتَنًا وَالْيَوْمَ يَجْمَعُنَا فِي بطنِهَا الْكَفَنُ

وصية: الجرهمي عمرو بن لحي بالحرم: قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥] فكان ابن عباس يسكن الطائف لأجل ذلك. وثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «اِخْتِكَارُ الطَّعَامِ بِمَكَّةَ إِلْحَادٌ فِيهِ» قال الجرهمي يخاطب عمرو بن لحي يوصيه: [مجزوء الكامل]

يَا عَمْرُو لَا تَظْلِمَ بِمِ كِتَابِهَا بَلَدٌ حَرَامٌ
سَائِلُ بَعَادٍ أَيَّنْ هُمْ وَكَذَلِكَ يُخْتَارُ الْأَنْامُ
وَمِنَ الْعَمَالِيْقِ الَّذِي مِنْ لَهُمْ بِهَا كَانَ السَّوَامُ

ومن وصايا ذي النون بعض الفتیان: يا فتى خذ لنفسك سلاح الملامة، واقمها برد الظلامه، تلبس غداً سراويل السلامة، وأقصرها في روضة الأمان، وذوقها مضض فرائض الإيمان، تظفر بنعيم الجنان، وجرعها كأس الصبر، ووطنها على الفقر، حتى تكون تام الأمر، فقال له الفتى: وأي نفس تقوى على هذا؟ فقال: نفس على الجوع صبرت وفي سربال الظلام خطرت، نفس ابتاعت الآخرة بالدنيا، بلا شرط ولا ثنيا، نفس تدرعت رهبانية القلق، ورعت الدجى إلى واضح الفلق، فما ظنك بنفس في وادي الحنادس سلكت، وهجرت اللذات فملكك، وإلى الآخرة نظرت، وإلى العينا أبصرت، وعن الذنوب أقصرت، وعلى النزر من القوت اقتصرت، ولجيش الهوى قهرت، وفي ظلام الدياجي زهرت، فهي بقناع الشوق مختمرة، وإلى عزيزها في غلس الدجى مشمرة، قد نبذت المعاش، ورعت الحشايش، هذه نفس خدوم عملت ليوم القدوم، وكل ذلك بتوفيق الحي القيوم.

وصية ذي النون أخاه الكفل: قال له: يا أخي كن بالخير موصوفاً ولا تكن للخير

وصافاً.

وصية نبوية: حدثنا بها محمد بن قاسم بمدينة فاس قال: ثنا هبة الله بن مسعود ثنا محمد بن بركات ثنا محمد بن سلامة بن جعفر ثنا هبة الله بن إبراهيم الخولاني ثنا علي بن الحسين ابن بندار ثنا إسماعيل بن أحمد بن أبي حازم حدثنا أبي ثنا عمرو بن هاشم ثنا سليمان بن أبي كريمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول

الله ﷻ: «يا أبا هريرة أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلماً، وأحسن مصاحبة من صاحبك تكن مؤمناً، وأعمل بقرائض الله تكن عبداً، وأرض بقسم الله تكن زاهداً».

وصية محكمة في موعظة منظومة لأبي العتاهية: [الطويل]

ألا إن خير الذخر خير تزيله ألم تر أن المرء في دار بلغة
وأي بلاغ يكتفى بكثيره مضاجع سكان القبور مضاجع
تزوّد من الدنيا بزاد من الثقى وخذ للمنايا لا أباك غدة
وما حادثات الدهر إلا لغزة ومن ذلك أيضاً ممّا ضمنه ديوانه: [الكامل]

ومجيئه وذهابُه تفديرُ عنب ابن آدم ما علمت كثيرُ
الموت حقّ والبقاء يسيرُ غرتك نفسك للحياة محبة
فيها يسير لو علمت حقيرُ لا تغبط الدنيا فإن جميع ما
دنيا على الأيام كيف تصيرُ يا ساكن الدنيا ألم تر زهرة الـ
إن أنت لم تفنع فأنت فقيرُ سل ما بدا لك أن تنال من الغنى
إن الصغير من الذنوب كبيرُ يا جامع المال الكثير لغيره
أو هل عليك من المئون خفيرُ هل في يدك من الحوادث قوة
وإذا خلا بك منكّر وتكبيرُ ماذا تقول إذا رحلت إلى البلى

وصية: قال بعضهم: سألت أستاذي من أحداث من الناس وإلى من أسكن؟ فقال: عليك بمحادثة من لا تكتمه ما يعلمه الله منك، واجعل للناس ظاهرك والله باطنك وعاشرهم بالتي هي أحسن.

وصية: في حكاية عن بعض أهل الولاية قال بعض السياح: كنت جائزاً في بعض سياحاتي في أرض الشام إذ مررت بنهر يقال له نهر الذهب فرأيت في ظهر قرية من قرى ذلك النهر صومعة فيها راهب فناديته: يا راهب أجبني فلم يجبني، فناديته الثانية: يا راهب أجبني فلم يجبني، فناديته الثالثة: يا راهب أجبني أو قال: فناديت الثالثة يا رباني فاطلع فرآني فقال لي: ما حاجتك وما الذي تريد؟ فقلت له: عظة أو وصية أنتفع بها، فقال لي: أو تركت الدنيا؟ قلت: نعم، فقال لي: كل القوت والزم السكوت وعلل النفس فإنك تموت وذكرها الوقوف بين يدي الحي الذي لا يموت، ثم قال: [مجزوء الرمل]

لوقننا لكفاناً منك يا دار اليسير
أنت نعمالك قليل وبلاياك كثير
وقبور تتلاشى حيث لا تمشي القبور

يا مُبْهَرِجْ لا تُبْهَرِجْ إثمًا النَّاقِدَ بِصِيرِ
قال: فتركته وبت ليلتي فلما أصبح عدت إليه وناديت: يا راهب زدني من تلك
الحكمة، فقال لي: كل ممّا كسبته يمينك وعرق فيه جبينك فإن ضعف يقينك فسل ربك فإنه
يغنيك، ثم قال: [المتقارب]

وَزُلْزَلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا	إِذَا أَفْتَرَرْتُ سَاعَةً يَالَهَا
مِنَ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ مَا لَهَا	فَلَا بُدَّ مِنْ سَائِلٍ قَائِلٍ
وَرَبُّكَ لَا شَيْءَ أَوْحَى لَهَا	تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا رَبِّهَا
تُشِيبُ الْكُهُولَ وَأَطْفَالَهَا	وَتَنْقَطِرُ الْأَرْضُ عَنْ سَاعَةٍ
وَلَكِنْ تَرَى النَّفْسَ مَا هَالَهَا	تَرَى النَّاسَ سَكْرَى بِلا قَهْوَةٍ
وَلَوْ ذَرَّةً كَانَ مِثْقَالَهَا	تَرَى النَّفْسَ مَا قَدَمْتَ مُحَضَّرًا
إِذَا كُنْتَ فِي الْحَشْرِ حَمَّالَهَا	ذَنُوبِي بِلائِي فَمَا حِيلَتِي
فَلِإِذَا عَلِيهَا وَإِذَا لَهَا	يَحَاسِبُهَا مَلِكٌ قَادِرٌ

قال: فتركته وبت ليلتي، فلما أصبح عدت إليه وناديت: يا راهب زدني من تلك
الحكمة، فقال لي: صلّ الفرض واذكر العرض ولا تطلب من أحد الصلة ولا القرض، ثم
قال: [الطويل]

وَتَرْكُكَ لِلْعَصِيانِ حَقًّا مَتَى يُقْضَى	مَتَى تَهْجُرَ الدُّنْيَا وَتَثُورِي لَهَا بُغْضًا
وَعُمْرُكَ لِلدُّنْيَا يُسَاقُ بِهَا رُكُضًا	مَتَى يَا صَفِيْقَ الْوَجْهِ تَثُورِي بِتَوْبَةٍ
يَرُضُّكَ ثِقْلُ اللَّيْنِ تَحْتَ الثَّرَى رَضًّا	فَلَا بُدَّ بَعْدَ الْمَوْتِ أَنْ تُسْكِنَ الْبِلَى
وَتَشْهَدُ أَهْوَالَ الْقِيَامَةِ وَالْعَرْضَا	وَتُعْطَى كِتَابًا فِيهِ كُلُّ فُضِيحَةٍ
لَعَلَّ الَّذِي أَسْخَطْتَهُ لَعَسَى يَرْضَى	فَقُمْ فِي دِيَاجِي اللَّيْلِ لَللَّهِ طَائِعًا

قال: فتركته وبت ليلتي، فلما أصبح عدت إليه وناديت: يا راهب زدني من تلك
الحكمة، فقال لي: يا هذا شغلتنى عن عبادة ربي فقمته إليه مودعاً فقال لي: كل الصبر والزم
الفقر، ثم أنشد: [الوافر]

إِذَا كُنْتَ الْمُصِرَّ عَلَى الْفَسَادِ	مَتَى تُهْدَى إِلَى سُبُلِ الرَّشَادِ
وَلَيْلِكَ لَا تَمَلُّ مِنَ الرَّقَادِ	نَهَارُكَ لِأَعْبَاءٍ تَغْتَرُّ فِيهِ
أَضْرَّ عَلَيْكَ مِنْ ظُلْمِ الْعِبَادِ	قَدَحٌ ظَلَمَ الْعِبَادَ فَلَيْسَ شَيْءٌ
عَلَى السَّفَرِ الْبَعِيدِ عَلَى انْفِرَادِ	وَهِيَ الرَّادُ إِنَّكَ ذُو رَجِيلِ
فَإِنَّ الْمَوْتَ مِيقَاتُ الْعِبَادِ	تَأْهَبُ لِلَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ
لَهُمْ زَادٌ وَأَنْتَ بِغَيْرِ زَادِ	يَسُرُّكَ أَنْ تَكُونَ زَمِيلَ قَوْمِ

ورويانا عن بعض علماء هذا الشأن من أهل الله الناصحين أنفسهم أنه قال: ينبغي لمن
علم أن له مقاماً بين يدي الله عز وجل ليسأله عما أسلف في هذه الدار أن لا يؤثر القليل
الحقير على الجزيل الكثير، ولا التواني والتقصير على الجد والتشمير، ولا سيما إذا كان ممن

قد أيده الله منه بإتقان العلم ولقح عقله بدلالات الفهم، أن لا يتحير في ظلمة الغفلة التي تحير فيها الجاهلون، والعجب كل العجب لأهل هذه الصفة كيف استوحشوا من طاعة الله وأنسوا بغيره وركنوا إلى الدنيا وتقلب حالاتها وكثرة آفاتها ولا زادتهم الدنيا إلا هواناً ولا ازدادوا لها إلا إكراماً، فما مستيقظ من سنة يخلع وثيق الغل من عنقه ويهتك جلباب الران عن قلبه، وإن من أنصح النصحاء لك يا أخي من حملك من أمرك على المحجة وأمرك بالرحلة ولم يحسن لك سوف وأرجو ولعل ويكون فما رأيت هذه الخصال تورث صاحبها إلا الخسارة والندامة، فكابدوا التسويف بالعزم وبادروا التفريط بالحزم فقد وضح لكم الطريق والله المستعان والمرشد والدليل .

وصية: سئل بعض أهل الله عن أعون ما يجده العبد على تسكين الشهوة فقال: الصيام بالنهار والقيام بالليل وحذف الشهوات والتغافل عنها وترك محادثة النفس يذكرها، فقيل له: فإن الرجل يصوم بالنهار ويقوم بالليل ولا يأكل الشهوات ويجد في نفسه حركة واضطراباً فقال له: ذلك من فرط فضل شهوة مقيمة فيه من الأول فليقطع أسباب المادة منها جهده ويمسكها عن نفسه بالهموم والأحزان وتسكين سلطانها بذكر الموت وتقريب الأجل وقصر الأمل وما يشغل القلوب، اقطع عن نفسك الشهوات واستقبل مراقبة من هو عليك رقيب والمحافظة على طاعة من هو عليك حسيب، نسأل الله تعالى التوفيق على بلاغ الطريق، والخروج من كل ضيق إنه قوي شفيق.

وصية في ذكرى: قال بعض العلماء: من وثق بالمقادير استراح ومن صحح استراح، ومن تقرّب قرب، ومن صفى صفى له، ومن توكل وثق، ومن تكلف ما لا يعنيه ضيّع ما يعينه، وقيل لبعضهم: بم ينال العبد الجنة؟ فقال: بحسن استقامة ليس فيها روغان واجتهاد ليس معه سهو، ومراقبة الله في السرّ والعلانية، وانتظار الموت بالتأهب له، والمحاسبة لنفسك قبل أن تحاسب، كن عارفاً خائفاً ولا تكن عارفاً واصفاً، لا تكن خصماً لنفسك على ربك تستزيده في رزقك وجاهك، ولكن كن خصماً لربك على نفسك لا تجمع معك عليك ولا تلق أحداً بعين الازدراء والتصغير وإن كان مشركاً خوفاً من عاقبتك فلعلك تسلب المعرفة ويرزقها. وقال ذو النون: تعوذوا بالله من النبطي، وقيل من القبطي إذا استغرب، وهذه وصية عجيبة مجربة قالها مجرب ولها حكاية. قال ذون النون المصري: رأيت في برابا بموضع يقال له دندره مكتوباً فيها: احذروا العبيد المعتقين والأحداث المتغربين والجند المتعبدن والقبط المستعربين، حدثنا بهذا يونس بن يحيى العباسي القصار تجاه الركن اليماني سنة تسع وتسعين وخمسمائة عن أبي بكر بن عبد الباقي عن أبي الفضل بن أحمد عن أحمد بن عبد الله عن محمد بن إبراهيم قال: سمعت عبد الحكيم بن أحمد بن سلام يقول: سمعت ذا النون يقول الحكاية .

وصية إلهية: حدثنا العماد عبد الله بن الحسن المعروف بابن النحاس قال: حدثني بدر الحزري قال: قال لي علي بن الخطاب الجزري بالجزيرة وكان من الصالحين رأيت الحق

في النوم فقال لي: يا ابن الخطاب تمن قال: فسكت، فقال لي: يا ابن الخطاب تمن قال: فسكت، قال ذلك ثلاثاً ثم قال لي في الرابعة: يا ابن الخطاب أعرض عليك ملكي وملكوتي وأقول لك تمن وتسكت، فقال: قلت يا رب إن نطقت فبك وإن تكلمت فيما تجر به على لساني فما الذي أقول؟ فقال: قل أنت بلسانك فقلت: يا رب قد شرفت أنبياءك بكتب أنزلتها عليهم فشرفتني بحديث ليس بيني وبينك فيه واسطة، فقال: يا ابن الخطاب من أحسن إلى من أساء إليه فقد أخلص الله شكراً ومن أساء إلى من أحسن إليه فقد بدل نعمه الله كفوفاً، قال فقلت: يا رب زدني فقال: يا ابن الخطاب حسبك حسبك .

وصية: بل وصايا إلهية أصدق الوصايا وأنفعها ما ورد في القرآن العزيز من أوامر الحق عباده ونواهي المنزل من حكيم حميد نزل به الروح الأمين على قلب محمد ﷺ ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين، فلنذكر منها ما يسره الله على لسان مذكر بذلك القلوب الغافلة وتبركاً بكلام الله تعالى وجل، فمن ذلك: ﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١] ﴿ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ﴾ [البقرة: ١٣] ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ٢١] ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] وهنا سر لمن تفكر ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤] ﴿وَيَبْرِئِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: ٢٥] ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [البقرة: ٤٠] ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠] ﴿وَمَا ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ [البقرة: ٤١] ﴿وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرِينَ بِئِهِ وَلَا تَشْرِكُوا بِإِيتَانِي نِعْمًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَأَنْقُوتُ وَلَا تَلْسِزُوا الْحَقَّ بِالْبُطْلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣-٤١] ﴿وَأَسْعِفُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٤٥] ﴿وَأَنْفِقُوا يَوْمًا لَا تَجْرَىٰ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُبْصَرُونَ﴾ [البقرة: ٤٨] ﴿فَتَوَبُّوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤] ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ٥٧] ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ [البقرة: ٥٨] ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُسْتَبِدِينَ﴾ [البقرة: ٦٠] ﴿حُدُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٦٣] ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَيَالِ الَّذِينَ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالسَّكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٨٣] ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِينِكُمْ﴾ [البقرة: ٨٤] ﴿ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٩١] ﴿حُدُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا﴾ [البقرة: ٩٣] ﴿فَلَا تَكْفُرُوا﴾ [البقرة: ١٠٢] ﴿لَا تَقُولُوا رِعْسًا وَقُولُوا انظُرْنَا﴾ [البقرة: ١٠٤] ﴿فَاعْمُوا وَاصْفَحُوا﴾ [البقرة: ١٠٩] ﴿وَمَا نُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِمَّا عَدَدْنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٠] ﴿وَأَخْبِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْمُكِيمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥] ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢] ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ١٣٦] ﴿قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٤٤] ﴿فَاسْتَبِقُوا الْحَيَاتِ﴾

[البقرة: ١٤٨] ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ [البقرة: ١٥٠] ﴿فَأَذْكُرُوا فِي آذَانِكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُوا﴾
 [البقرة: ١٥٢] ﴿كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلْالًا طَيِّبًا﴾ [البقرة: ١٦٨] ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [البقرة: ١٦٨] ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٧٠] ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَلْيُكَلِّمُوا الْوَهْدَةَ
 وَلْيُكَلِّمُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ﴾ [البقرة: ١٨٥] ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾ [البقرة: ١٨٦] ﴿وَكُلُوا
 وَأَشْرَبُوا حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُوا النَّيْمَ إِلَىٰ اللَّيْلِ وَلَا
 يُبْشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧] ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم
 بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَىٰ الْمُكَّارِ﴾ [البقرة: ١٨٨] ﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩] ﴿وَلَيْسَ
 الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩] ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُوكُمْ
 وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠] ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَفِفْتُهُمْ وَأَخْرَجْتُم مِّنْ حَيْثُ
 أَخْرَجْتُمْ﴾ [البقرة: ١٩١] ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾ [البقرة: ١٩١] ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِئْتَةٌ
 وَتَكُونَ لِلدِّينِ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣] ﴿فَمَنْ أَعَدَّيْ عَلَيْكُمْ فَأَعِدُوا عَلَيْهِ وَيَمْثِلْ مَا أَعَدَّيْ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤] ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا﴾
 [البقرة: ١٩٥] ﴿وَأْتُوا الْحَجَّ وَالْمَعْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦] ﴿وَلَا تَحْلِفُوا رُبُّوسًا حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٦] ﴿وَتَكَرَّوْا فَاِنَّ حَيْرَ الْأَزَادِ
 النَّفْقَىٰ وَأَنْتُمْ يَتَأَوَّى الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧] ﴿فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨] ﴿أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ
 النَّكَاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ [البقرة: ١٩٩] ﴿فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠] ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٠٣] ﴿أَدْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨] ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ﴾ [البقرة: ١٩١] ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا﴾ [البقرة: ٢٢١] ﴿فَاعْتَزَلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ
 وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَظْهَرَنَّ فَإِذَا ظَهَرَ فَأْتُوهُنَّ مِمَّا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٢٢] ﴿فَأَتُوا حُرْمَتَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ
 وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣] ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوَةٌ وَيُبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً
 لِأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [البقرة: ٢٢٣-٢٢٤] ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا
 تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة: ٢٢٩] ﴿فَأَنْسِكُوا بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِحُونَ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُشِيكُواهُنَّ حِرَارًا لِّتَعْتَدُوا﴾ [البقرة: ٢٣١] ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا
 وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ لِيُعْظِرَ بِهَا﴾ [البقرة: ٢٣١] ﴿فَلَا تَعْضَلُوهُنَّ أَن يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٢] ﴿لَا تُضَارَّ وِلْدَانُ
 وَلَا مَوْلُودٌ لَهُمْ بَوْلَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٣] ﴿لَا تَوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا وَلَا تَعْرَبُوا عَقْدَةَ
 النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَظِيمٌ
 حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣٥] ﴿وَمَعُوذُهُ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ﴾ [البقرة: ٢٣٦] ﴿وَأَنْ تَعْمُوا
 أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمُ﴾ [البقرة: ٢٣٧] ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ
 وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨] ﴿أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا

شَفَعَةٌ ﴿البقرة: ٢٥٤﴾ ﴿لَا تُبْطِلُوا صِدْقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ [البقرة: ٢٦٤] ﴿أَنْفِقُوا مِنْ طَلِبَتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِعَاجِزِينَ إِلَّا أَنْ تَحْصُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢٦٧] ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٨] ﴿وَأَنْفِقُوا يَوْمَ تَرْجِعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١] ﴿إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى اللَّهِ أَجَلٌ مُسَمًّى فَاصْتَبُواهُ وَيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبًا بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيَمْلِكِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ رَضُونَ مِنَ الشَّهَادَةِ أَنْ تَضَلَّ أَحَدُهُمَا فَتَدْكَرْ إِحْدَهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشَّهَادَةُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا سَمَعُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٢] ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٢] ﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي آوْتِنَا أَمْنَتَهُ وَيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

واعلم أن الله تعالى قد ذكر في كتابه كل صفة يحمدها الله وكل صفة يذمها الله وصية لنا وتعريفاً أن نجتنب ما ذم من ذلك، وننصف بما حمد من ذلك، وقرر على أمور ويخ بها عباده ونعت كل صاحب صفة بما هو عليه عند الله، فمما حمد: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣] والإيمان بما أنزل على الرسل عليهم السلام والإيقان بالآخرة وقال فيهم: ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾ أي على بيان وتوفيق حيث صدقوا ربهم فيما أخبرهم به مما هو غيب في حقهم ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥] الناجون من عذاب الله الباقون في رحمة الله. ومما ذم الكافر والمنافق فالكافر ذو الوجه الواحد الذي أظهر معاندة الله فسواء عليه أعلمه الحق أو لم يعلمه فإنه لا يؤمن بشيء من ذلك لا عقلاً ولا شرعاً، وأخبر أن الله تعالى ختم على قلبه بخاتم الكفر فلا يدخله الإيمان مع علمه به وختم على سمع فهمه وهو الجاهل، فلم يعلم ما أراد الله بما قاله وعلى أبصار عقولهم غشاوة حيث نسبوا ما رأوه من الآيات إلى السحر، وقال في ذي الوجهين وهو المنافق أنه يقول: ﴿إِنَّمَا آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ [البقرة: ٨] وبما جاء من عند الله وهو ليس كذلك وإنما يفعل ذلك خداعاً لله والذين آمنوا وجعل الفساد صلاحاً والصلاح فساداً، والإيمان سفهاً والمؤمنين سفهاء، ويأتي المؤمنين بوجه يرضيهم، ويأتي الكافرين بوجه يرضيهم، فأخبر الله أن هؤلاء هم ﴿الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦] وأنهم ﴿صُتُّمُ﴾ [البقرة: ١٨] عن سماع ما ذكرهم الله به ﴿بِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨] عن الكلام بالحق ﴿عُمِّي﴾ [البقرة: ١٨] عن النظر في آيات الله، وأنهم ﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٨]. ومما ذم الله ﴿الَّذِينَ يَفْقَهُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَائِرُونَ﴾ [البقرة: ٢٧] وقرر ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ لِيْسْتَكْفُرُوا ثُمَّ لِيْحْيَاكُمْ ثُمَّ لِيْمُوتُوا﴾ [البقرة: ٢٨] وويخ ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَسْوُنَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤] ومما ذم من أعطاه الأنفس فطلب الأدون لقلته علمه ودناءة همته فقال: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ

لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاجِدٍ ﴿البقرة: ٦١﴾ يشير إلى أن الصبر مع الله صعب ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّنَا يُخْرِجَ لَنَا مِمَّا ثَلِثُ الْأَرْضِ مِنْ بَقِيلِهَا وَفَشَائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصِلِهَا قَالَ آتَيْنَاكَ الَّذِي هُوَ أَدْفٌ﴾ [البقرة: ٦١] وهو ما ذكره ﴿بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٦١] وهو ما أنزل الله عليهم من المن والسلوى فأشار إلى دناءة همتهم بقوله: ﴿أَهْبِطُوا مِصْرًا﴾ [البقرة: ٦١] لما نزلوا إلى الأدون من الأعلى قيل لهم ﴿أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ﴾ إنما هي أعمالكم ترد عليكم ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ [البقرة: ٦١] لأنهم هبطوا ﴿وَبَاءُوا بِعَضْبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٦١] لأنهم لم يختاروا ما اختار الله لهم وكفروا بالأنبياء وبآيات الله وقتلوا الأنبياء بغير الحق وعصوا واعتدوا ومما ذمهم به القساوة فقال بعد تقرير ما أنعم الله به عليهم ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤] وإنما كانت أشد قسوة ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤] وأنتم ما عندكم في قلوبكم من هذا شيء يذمهم بذلك، ومما ذم من يقول: ﴿مَا تَوْسَّوْا بِهِ نَفْسُكُمْ﴾ [ق: ١٦] وما يسول له شيطانه هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً من الجاه والرياسة عليهم وما حصلوه من المال فأخبر الله تعالى أن لهم الويل من الله من أجل ذلك، هذا كله ذكره الله في كتابه لنا لنجنب مثل هذه الصفات .

ومما أوصى به عباده مما يحمده ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٨٣] فمن يعمل بوصيته ووصف حاله على جهة الذم يسمعون تعالى ما جرى من عباده حتى لا نسلك مسلكهم الذي ذمهم الله به فقال عقيب هذا القول: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [البقرة: ٨٣] ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقُولُونَ أَنفُسُكُمْ فَتُخْرِجُونَ قَرِيبًا مِّنْكُمْ مِّن دِكْرِهِمْ تَظَاهِرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتِيكُمْ أُسْرَىٰ تَغْدُوهُمْ وَهُوَ مُحْرَمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفْتَوِيْتُمْ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥]: كما قال في حقهم وحق أمثالهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٥٠] وأخبر أن هؤلاء ﴿هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء: ١٥١] وقال: ﴿فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَيْهِ أَشَدَّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥] فإنه أخبر عن هؤلاء أنهم ﴿الَّذِينَ اشْتَرَوْا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٨٦] كما اشتروا أولئك الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين، كما اشتروا أمثالهم العذاب بالمغفرة، فتعجب الله من صبرهم على النار بقوله: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [البقرة: ١٧٥] فدل على أنهم عرفوا الحق وجحدوا مع اليقين، كما قال في حق من هذه صفته في النمل: ﴿وَحَصَدُوا بِهَا وَأَسْتَقْبَتْنَهَا أَنفُسَهُمْ﴾ [النمل: ١٤] أنها يعني الآيات براهين على صدقهم فيما أخبروا به عن الله ﴿ظَلَمًا وَعُلُوءًا﴾ [النمل: ١٤] وأي آية كانت للعرب معجزة مثل القرآن ولذلك قال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ سَرَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ [البقرة: ١٧٦] وقال في الذين يكتمون ما أنزل الله من البيئات والهدى من

بعد ما بيناه للناس في الكتاب ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّكُونُ﴾ [البقرة: ١٥٩] وأنه من سئل عن علم تعين عليه الجواب عنه وهو يعلمه فكتمه وهو مما أنزله الله ألجمه الله بلجام من نار ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة: ١٧٤] أي بكتمانهم لما حصلوه من المال والرياسة بذلك أن ﴿أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٧].

وأوصى عباده أيضاً فقال لهم: ﴿لَيْسَ إِلَهٌ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ بِكُلِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ إِلَهَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَعَاقَى أَلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوَى الْفُرْقِ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَعَاقَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْبِئْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ [البقرة: ١٧٧] فأخبر أن ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧] وأوصى ولي الدم أن يعفو ويخلي بين القاتل والمقتول يوم القيامة، وأخبر ﷺ أن حكم القاتل قواداً حكم القاتل اعتداء وهو قوله: ﴿وَحَزْرًا وَسِنَّةً سِنَّةً نِثْلَهَا﴾ [الشورى: ٤٠] فقال في صاحب التسعة: أما إن قتله كان مثله فتركه ولم يقتله، فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف من ولي الدم وأداء إليه بإحسان من القاتل إلى ولي الدم ﴿فَمَنْ أَعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ [البقرة: ١٧٨] أي إن قتله بعد ذلك غدرًا وقد رضي بالدية وبما عفا عنه منها ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٨] وذكر في حق من حضرته الوفاة أن يوصي مما له التصرف فيه من ماله وهو الثلث للأقربين وهم الذين لا حظ لهم في الميراث وللوالدين وهو مذهب ابن عباس حتى أنه يعصي عنده من لم يوص لوالديه عند الموت بالمعروف وهو أنه لا يتجاوز ثلث ماله وأخبر أنه ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠] وأخبر أنه من بدله بعد ما سمعه من الموصي أن إثمه على الذين يبدلونه من الأولياء والحكام. وأخبر عن الساعي بالصلح بين الموصي والموصى له أنه لا إثم عليه فهذه كلها وصايا إلهية منصوص عليها، ومنها أيضاً أخبر الحق أنه لا يتبع المتشابه من الكتاب ويتأوله على ما يعطيه نظره إلا من في قلبه زيغ أي ميل عن الحق، وأخبر أنه ﴿وَمَا يَسَلَّمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧] وأن ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧] ومن جعله معطوفاً فيكون الراسخون في العلم من أعلمهم الله بتأويل من أراد بذلك، وأقام الله عذر عباده في قوله: ﴿رُزِينًا لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ [آل عمران: ١٤] الآيات. وأخبر عن ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا ءَامَنَّا بِأَغْفِرَ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٦] والسنن والسنن بالأسفار [آل عمران: ١٦-١٧] وهم ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ [آل عمران: ١٥] وأخبر سبحانه أن الذين ﴿يَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ٢١] أن لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين ينجيهم من ذلك العذاب، ونهانا أن نتخذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين في نصرته دينه إلا أن تتقوا منهم ثقة وأنه من فعل ذلك فليس من الله في شيء، وقد حذرنا الله نفسه وقاله ﷺ حين نهانا عن التفكير في ذات الله أنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] وقال الله لنبيه أن يقول لنا: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ

تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي ﴿﴾ [آل عمران: ٣١] وأخبر أنه من اتبع رسول الله فقال: ﴿يُحِبِّبْكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

وصية إلهية: قال الله: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ فَمَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ».

وصية إلهية: يقول الله عز وجل: «إِنَّ أَغْبَطَ أَوْلِيَائِي عِنْدِي لِمُؤْمِنٍ خَفِيفُ الْحَاذِ ذُو حَظٍّ مِنْ صَلَاةٍ أَحْسَنَ عِبَادَةِ رَبِّهِ وَأَطَاعَهُ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ وَكَانَ غَامِضًا فِي النَّاسِ لَا يُشَارُ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ وَكَانَ رِزْقُهُ كَفَافًا فَصَبَرَ عَلَى ذَلِكَ». ثم نقر رسول الله ﷺ عندما قال هذا الحديث عن ربه بيديه ثم قال: «عَجَلْتُ مَنِيَّتَهُ وَقَلْتُ بَوَاكِيهِ وَقَلْتُ تَرَائُهُ».

وصية في إصلاح ذات البين: قال أنس بن مالك: بينما رسول الله ﷺ جالساً إذ رأيناه يضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر: ما أضحكك يا رسول الله بأبي أنت وأمي؟ قال: «رَجُلَانِ مِنْ أُمَّتِي جَثِيئَا بَيْنَ يَدَيِ رَبِّ الْعِزَّةِ تَعَالَى فَقَالَ أَحَدُهُمَا: يَا رَبِّ خُذْ لِي بِمَظْلَمَتِي مِنْ أَخِي فَقَالَ: أَعْطِ أَخَاكَ مَظْلَمَتَهُ، قَالَ: يَا رَبِّ لَمْ يَبْقَ مِنْ حَسَنَاتِي شَيْءٌ، قَالَ: يَا رَبِّ فَلْيَحْمِلْ عَنِّي مِنْ أَوْزَارِي وَفَاصَتْ عَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِالْبُكَاءِ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ ذَلِكَ لَيَوْمٌ عَظِيمٌ يَوْمَ يَخْتِاجُ النَّاسُ فِيهِ أَنْ يُحْمَلَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ، قَالَ: فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلطَّالِبِ: ازْفَعْ رَأْسَكَ فَانظُرْ إِلَى الْجَنَانِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: يَا رَبِّ أَرَى مَدَائِنَ مِنْ فِضَّةٍ وَقُصُورًا مِنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلَةً بِاللُّؤْلُؤِ لِأَيِّ نَبِيٍّ هَذَا؟ لِأَيِّ شَهِيدٍ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا لِمَنْ أَعْطَانِي الثَّمَنَ، قَالَ: يَا رَبِّ وَمَنْ يَمْلِكُ ذَلِكَ؟ قَالَ: أَنْتَ تَمْلِكُ، قَالَ: بِمَاذَا يَا رَبِّ؟ قَالَ: بِعَفْوِكَ عَنِ أَخِيكَ، قَالَ: يَا رَبِّ قَدْ عَفَوْتُ عَنْهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: خُذْ بِيَدِ أَخِيكَ فَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اتَّقُوا وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَضِلُّحُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وصايا إلهية من التوراة: روينا من حديث كعب الأحرار أنه قال: وجدت في التوراة اثنتي عشرة كلمة فكتبتها وعلقتها في عنقي أنظر فيها في كل يوم إعجاباً بها: يا ابن آدم إن رضيت بما قسمت لك أرحت قلبك وبدنك وأنت محمود، وإن لم ترض بما قسمت لك سلطت عليك الدنيا حتى تركز فيها ركض الوحش في البرية، ثم وعزتي وجلالي لا تنال منها إلا ما قدرت لك وأنت مذموم يا ابن آدم كل يريدك له وأنا أريدك لك، وأنت تفرّ مني يا ابن آدم ما تنصفي يا ابن آدم، خلقتك من تراب ثم من نطفة ولم يعينني خلقتك أفعينني رغيه أسوقه إليك في حين، يا ابن آدم إني وحقي لك محب فبحقي عليك كن لي محباً، يا ابن آدم خلقتك من أجلي وخلقت الأشياء من أجلك فلا تهتك ما خلقت من أجلي فيما خلقت من أجلك، يا ابن آدم كما لا أطلبك بعمل غد لا تطلبني برزق غد، يا ابن آدم لي عليك فريضة ولك علي رزق إن خنتني في فريضتي لم أخنك في رزقك علي ما كان منك، يا ابن آدم لا تخافن قوت الرزق ما دامت خزانتي مملوءة وخزانتني مملوءة لا تنفد أبداً، يا ابن آدم لا تخافن من ذي سلطان ما دام سلطاني باقياً وسلطاني باق لا ينفد أبداً، يا ابن آدم لا تأمن مكري حتى تجوز على الصراط .

وصية خليلية في الوجل من الله تعالى: لما قال الله تعالى لإبراهيم الخليل عليه السلام: يا إبراهيم ما هذا الوجل الشديد الذي أراه منك؟ قال: فقال له إبراهيم: يا رب وكيف لا أوجل ولا أكون على وجل وأدم أبي كان محله في القرب منك خلقتك بيديك ونفخت فيه من روحك وأمرت الملائكة بالسجود له فبمعصية واحدة أخرجته من جوارك، فأوحى إليه: يا إبراهيم أما علمت أن معصية الحبيب على الحبيب شديدة؟

وصية إلهية بما يحجب عن الله فعله: أوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام: «يا داود حذر بني إسرائيل أكل الشهوات فإن القلوب المتعلقة بالشهوات محجوبة عني».

وصية إلهية بذكر الله على كل حال: قال موسى عليه السلام: أي رب أبعد أنت فأناديك أم قريب فأناجيك؟ فقال الله تعالى له: أنا جليس من ذكرني، من ذكرني فأنا معه، قال: فأباعدني أم أحب إليك يا رب؟ قال: تكثر ذكرني على كل حال.

وصية إلهية بقيام الليل: يقول الله تعالى إذا نزل في الثلث الباقي من الليل إلى السماء الدنيا: «كذب من ادعى محبتي ونام عني، أليس كل محب يطلب الخلوة بحبيبه أنا ذا مطلع على أحوالهم وقد مثلوني بين أعينهم وخاطبوني على المشاهدة وكلموني بحضوري عدا أقر أعينهم في جناتي».

وصايا بما كلم الله عز وجل بها نبيه موسى عليه السلام وذكرى: يا موسى ادن مني واعرف قدرتي فإني أنا الله، يا موسى أتدري لم كلمتك من بين خلقي واصطفيتك برسالتي وبكلامي دون بني إسرائيل؟ قال لا يا رب، قال: لأنني اطلعت على أسرار عبدي فلم أر قلباً أصفى لمودتي من قلبك، قال موسى: لم خلقتني يا رب ولم أك شيئاً؟ قال: أردت بك خيراً، قال رب من علي؟ قال: أسكنتك جنتي في جواربي مع ملائكتي فتكون هناك منعماً مخلداً ملتذاً فرحاً مسروراً أبد الأبدين، فقال موسى: يا رب فما الذي ينبغي لي أن أعمل؟ قال لا يزال لسانك يكون رطباً من ذكرني وقلبك وجلاً من خشيتي وبدنك مشغولاً بخدمتي ولا تأمن مكري ولو ترى رجلك في الجنة، قال موسى: يا رب فلم ابتليتني بفرعون؟ قال: إنما اصطفتك لنفسك فأخاطب بلسانك بني إسرائيل فأسمعهم كلامي وأعلمهم شريعة التوراة وسنة الدين وطرائق الآخرة، من اتبعك منهم ومن غيرهم كائناً من كان يا موسى، بلغ بني إسرائيل وقل لهم: إني لما خلقت السموات والأرض خلقت لهما أهلاً وسكاناً فأهل سمواتي هم الملائكة وخالص عبادي الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، يا موسى بلغ عني بني إسرائيل وقل لهم من قبل وصيتي وأوفى بعهدي ولم يعصني رقيته إلى رتبة ملائكتي وأحللته جنتي معهم وجازيتهم بأحسن ما كانوا يعملون، يا موسى قل لبني إسرائيل عني أي لما خلقت الجن والإنس والحيوانات ألهمتهم مصالح الحياة الدنيا عرفتهم كيفية التصرف فيها لطلب منافعها والهرب من مضارها كل ذلك لما جعلت لهم من السمع والبصر والفؤاد والتمييز والشعور أجمع، فهكذا ألهمت أنبيائي ورسلي والخواص من عبادي، وعرفتهم أمر المبدأ والمعاد والنشأة الأخرى وبينت لهم الطريق وكيفية الوصول إليها، يا موسى قل لبني

إسرائيل يقبلون من الأنبياء وصيتي ويعملون بها وضمن عني لهم أني أكفيهم كل ما يحتاجون إليه من مصالح الدنيا والآخرة جميعاً إذا أوفوا بعهدي أوف بعهدهم كائناً من كان من سائر بني آدم، وألحقتهم بأبيائي وملائكتي في الدار الآخرة دار القرار، فقال موسى: يا رب لو خلقتنا في الجنة وكفيتنا محن الدنيا ومصائبها وبلاياها أليس كان خيراً لنا؟ قال: يا موسى قد فعلت بأبيكم آدم ما ذكرت ولكن لم يعرف حقها ولم يحفظ وصيتي ولم يوف بعهدي بل عصاني فأخرجته من الجنة فلما تاب وأتاب وعدته أن أرده إليها وآليت على نفسي أن لا يدخلها أحد من ذريته إلا من قبل وصيتي وأوفى بعهدي ﴿لَا يَتَأَلَّ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤] ولا يدخل جنتي المتكبرين لأنني جعلتها للذين ﴿لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣] يا موسى ادع إلي عبادي وذكرهم بالآتي فإنهم لا يذكرون شيئاً من ذلك إلا كان خيراً لهم سالفاً وأنفاً عاجلاً وأجلاً، يا موسى الويل لمن تفوته جنتي ويا حسرة عليه وندامة حين لا ينفعانه، يا موسى خلقت الجنة يوم خلقت السموات والأرض وزيتها بألوان المحاسن وجعلت نعيم أهلها وسرورهم روحاً وريحاناً فلو نظر أهل الدنيا إليها نظرة من بعيد لم تغنهم الحياة الدنيا بعدها، يا موسى هي مذخورة لأولياي وعبادي الصالحين تحيتهم يوم يلقونه سلام طوبى لهم وحسن مآب .

ومن الوصايا الإلهية: «يا ابن آدم صلّ أزيغ ركعات في أول النهار أكفك آخره» خرجه النسائي . توبيخ إلهي يتضمن وصية يقول الله: «يا ابن آدم أتى تُعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى إذا سوتك وعدلتك مشيت بين يديك وللأرض منك وبيد - يعني صوتاً - ثم جمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي قلت أتصدق وأتى أوأن الصدقة» .

وصية إلهية باشفاق: يقول الله: «يا ابن آدم إن تبذل الفضل خير لك، وإن تمسكه شر لك، ولا تلام على كفاف، وأبدأ بمن تعمل، واليد العليا خير من اليد السفلى» .

وصية إلهية فيها لطف: حدثني بها موسى بن محمد القرظي بمكة والضيا عبد الوهاب بن سكينه ببغداد عند اجتماعي به برباطه قال: يقول الله: إذا أحدث عبدي ولم يتوضأ فقد جفاني وإذا توضأ ولم يصل فقد جفاني وإذا صلى ولم يدعني فقد جفاني، وإذا دعاني ولم أجبه فقد جفوته ولست برب جاف ولست برب جاف .

وصية إلهية نافعة في طهارة الجوارح: يقول الله: يا أبا المرسلين ويا أبا المنذرين يعني سيدنا محمداً ﷺ وصية يبلغها إلينا عن ربه عز وجل أن لا تدخلوا بيتاً من بيوتي إلا بقلوب سليمة وألسن صادقة وأيدي نقية وفروج طاهرة، ولا تدخلوا بيتاً من بيوتي ولأحد من عبادي عند أحد منهم ظلامه فأبي العبيد ما دام قائماً بين يدي يصلي فإني لا أقبل صلاته حتى يرد تلك الظلامه إلى أهلها فإذا فعل فأكون سمعه الذي يسمع به وأكون بصره الذي يبصر به ويكون من أولياي وأصفيائي ويكون جاري مع النبيين والصدّيقين والشهداء في الجنة .

وصية إلهية في توبيخ الواثب على الدنيا: قال الله تعالى: «يا ابن آدم رهضت الدنيا ثلاث رهضات: الفقر والمرض والموت ومع ذلك إنك لوثاب» .

وصية ملكية بالتواضع: أوحى الله إلى محمد ﷺ وعنده جبريل إن شئت نبياً عبداً وإن شئت نبياً ملكاً فنظر إلى جبريل فأوماً إليه جبريل أن تواضع قال: فقلت نبياً عبداً فلو قلت نبياً ملكاً لسارت معي الجبال ذهباً وفضة.

وصية إلهية بتعظيم الأولياء: يقول الله تعالى: «مَنْ أَهَانَ لِي وَلِيًّا فَقَدْ بَارَزَنِي بِالْمُحَارَبَةِ». وفي رواية: فقد أذنته بحرب. وقال: أحب عبادة عندي النصيحة. وقال تعالى: يا ابن آدم خيرني إليك نازل وشرك إليّ صاعد وأنا أتحبب إليك بالنعيم وأنت تتبغض إليّ بالمعاصي في كل يوم يأتيني ملك كريم بقبيح فعلك، يا ابن آدم ما تراقبني أما تعلم أنك بعيني، يا ابن آدم في خلواتك وعند حضور شهواتك اذكرني وسلني أن أنزعها من قلبك وأعصمك عن معصيتي وأبغضها إليك وأيسر لك طاعتي وأحببها إليك وأزين ذلك في عينك، يا ابن آدم إنما أمرتك ونهيتك لتستعين بي وتعصم بحبلي لا أن تعصمني وتتولى عني وأعرض عنك أنا الغني عنك وأنت الفقير إليّ، إنما خلقت الدنيا وسخرتها لك لتستعد للقائي وتتزود منها لثلا تعرض عني وتخلد إلى الأرض. اعلم أن الدار الآخرة خير لك من الدنيا فلا تختار غير ما اخترت لك ولا تكره لقائي فإنه من كره لقائي كرهت لقاءه ومن أحب لقائي أحببت لقاءه.

وصية إلهية برغبة ورهبة ورواها: من حديث بن مسلمة بن وضاح من أهل قرطبة رحمه الله قال: «قال الله لنبني إسرائيل رغبناكم في الآخرة فلم ترغبوا، وزهدناكم في الدنيا فلم تزهدوا، وخوفناكم بالنار فلم تخافوا، وشوقناكم إلى الجنة فلم تشتاقوا، ونحنا عليكم فلم تبكروا بشر القتالين بأن الله سيفاً لا ينام وهو دار جهنم».

ومن وصايا العارفين بالله تعالى: لا تبق بمودة من لا يحبك إلا معصوماً من صحبتك ووافقك على ما يحب وخالفك فيما يكره فإنما يصحب هواه ومن صحب هواه فإنما هو طالب راحة الدنيا، يا معشر المريرين من أراد منكم الطريق فليلق العلماء بالجهل والزهاد بالرغبة وأهل المعرفة بالصمت وأوصاني شيعي رحمه الله أول ما دخلت عليه قبل أن أرى وجهه فقال لي وقد قلت له أوصني قبل أن تراني فأحفظ عنك وصيتك فلا تنظر إليّ حتى ترى خلعتك علي، فقال رضي الله عنه، هذه همة شريفة عالية يا ولدي سدّ الباب واقطع الأسباب وجالس الوهاب يكلمك من غير حجاب، فعملت على هذه الوصية حتى رأيت بركتها، ودخلت عليه بعد ذلك فرأى خلعتها عليّ فقال: هكذا هكذا وإلا فلا لا، ثم قال لي: امح ما كتبت وانس ما حفظت واجهل ما علمت وكن هكذا معه على كل حال لا تتحدث معه بما قد علمته فإن في ذلك تضييع الوقت، واطلب المزيد كما أمرك في قوله لنبية ﷺ يأمره وأمه: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] اطلب الحاجة بلسان الفقر لا بلسان الحكم، يقول الله لأبي يزيد البسطامي تقرب إليّ بالذلة والافتقار، وقال له: اترك نفسك وتعال. أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: كن كالطير الوجداني يأكل من رؤوس الأشجار ويشرب من الماء القراح إذا جنه الليل آوى إلى كهف من الكهوف استثناساً بي واستيحاشاً ممن عصاني، يا موسى آليت

على نفسي أني لا أتم لمدير من دوني عملاً، يا موسى لأقطعن أمل كل مؤمل أمل غيري ولأقصم ظهر من استند إلى سواي ولأطيلن وحشة من استأنس بغيري ولأعرضن عمن أحب حبيباً سواي، يا موسى إن لي عبداً إن ناجوني أصغيت إليهم، وإن نادوني أقبلت عليهم، وإن أقبلوا علي أدنيتهم، وإن دنوا مني قربتهم، وإن تقربوا مني اكتفتهم، وإن والوني واليتهم، وإن صافوني صافيتهم، وإن عملوا لي جازيتهم، هم في حماي وبني يفتخرون، أنا مدير أمورهم، وأنا سايس قلوبهم، وأنا متولي أحوالهم، لم أجعل لقلوبهم راحة في شيء إلا في ذكري، فذكري لأسقامهم شفاء، وعلى قلوبهم ضياء، لا يستأنسون إلا بي، ولا يحطون رحال قلوبهم إلا عندي، ولا يستقر بهم القرار في الإيواء إلا إلي.

حكى في زمان النبوة الأولى أن بعض من يوحى إليه من المتقدمين فكر في أمر التكليف والبلوى ولم يتجه له وجه الحكمة في ذلك وقد أمره الله بالتفكر في عبادته فأخذ يناجي ربه في خلوته بسرّه ولسانه فقال: يا رب خلقتني ولم تستأمرني ثم تميمتني ولا تستشيرني وأمرتني ونهيتني ولم تخيرني وسلطت عليّ هوىً مردياً وشيطاناً مغوياً وركبت في نفسي شهوات مركوزة وجعلت بين عيني دنيا مزينة ثم خوفتني وزجرتني بوعيد وتهديد وقلت: استقم كما أمرت ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيلي، واحذر الشيطان أن يقربك والدنيا لا تغرنك، وتجنب شهواتك لا تردك، وآمالك وأمانيك لا تلهيك، وأوصيك بأبناء جنسك فدارهم ومعيشتك فاطلبها من وجه حلال، فإنك مسؤول عنها إن لم تطلبها، ومسؤول عنها إن طلبتها من غير وجهها، ولا تنس الآخرة كما لم تنس نصيبك من الدنيا، وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض ولا تعرض عن الآخرة فتخسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين، فقد حصلت يا رب بين أمور متضادة وقوى متجاذبة وأحوال متقابلة، فلا أدري كيف أعمل ولا أهتدي أي شيء أصنع، وقد تحيرت في أموري وضللت عن حيلتي، فأدركني يا رب وخذ بيدي ودلني على سبيل نجاتي وإلا هلكت، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا عبدي ما أمرتك بشيء تعاونني فيه ولا نهيتك عن شيء كان يضرني إن فعلته، بل إنما أمرتك لتعلم أن لك رباً وإلهاً هو خالقك ورازقك ومعبودك ومنشيك وحافظك وصاحبك وناصرك ومعينك، ولتعلم بأنك محتاج في جميع ما أمرتك إلى معاونتي وتويتي وهدايتي وتيسيري وعنايتي، ولتعلم أيضاً بأنك محتاج في جميع ما نهيتك عنه إلى عصمتي وحفظي ورعايتي، وأنت إلي محتاج في جميع تصرفاتك وأحوالك في جميع أوقاتك من أمور دنياك وآخرتك ليلاً ونهاراً، وأنه لا يخفى عليّ من أمورك صغير ولا كبير سراً وعلانية، وليتبين لك وتعرف أنك مفتقر ومحتاج إليّ ولا بدّ لك مني، فعند ذلك لا تعرض عني ولا تتشاغل عني ولا تنساني ولا تشتغل بغيري، بل تكون في دائم الأوقات في ذكري، وفي جميع أحوالك وجميع حوائجك تسألني، وفي جميع تصرفاتك تخاطبني، وفي جميع خلواتك تناجيني، وتشاهدني وتراقبني، وتكون منقطعاً إليّ من جميع خلقي ومتصلاً بي دونهم، وتعلم أني معك حيث ما تكن أراك وإن لم ترني، فإذا أردت هذه كلها وتيقنت وبان لك حقيقة ما قلت وصحة ما وصفت تركت

كل شيء وراك، واتصلت إليّ وحدك، فعند ذلك أقربك مني وأوصلك لي وأرفعك عندي وتكون من أوليائي وأصفيائي وأهل جنتي في جوارى مع ملائكتي مكرماً مفضلاً مسروراً فرحاً منعماً ملذذاً آمناً مبقى سرمداً أبداً دائماً. فلا تظن بي يا عبدي ظن السوء ولا تتوهم على غير ما يقتضيه كرمي وجودي، واذكر سالف إنعامي عليك وقديم إحساني إليك وجميل آثمي لديك، إذ خلقتك ولم تك شيئاً مذكوراً خلقاً سوياً، وجعلت لك سمعاً لطيفاً وبصراً حاداً وحواس دراية وقلباً ذكياً وفهماً ثاقباً وذهناً صافياً وفكراً لطيفاً ولساناً فصيحاً وعقلاً رصيناً، وبنية تامة وصورة حسنة وأعضاء صحيحة وأدوات كاملة وجوارح طائعة، ثم ألهمتكم الكلام والمقال، وعرفتكم المنافع والمضار، وكيفية التصرف في الأفعال والصنائع والأعمال، وكشفت الحجب عن بصرك، وفتحت عينك لتنظر إلى ملكوتي، وترى مجاري الليل والنهار والأفلاك الدوارة والكواكب السيارة، وعلمتكم حساب الأوقات والأزمان والشهور والأعوام والأيام، وسخرت لك ما في البر والبحر من المعادن والنبات والحيوان تتصرف فيها تتصرف الملاك وتتحكم فيها تتحكم الأرباب، فلما رأيتك متعدياً جائراً باغياً خائناً طاغياً متجاوزاً الحد والمقدار، عرفتك الحدود والأحكام والقياس والمقدار والإنصاف والحق والصواب والخير والمعروف والسيرة العادلة ليدوم لك الفضل والنعم ويصرف عنك العذاب والنقم، وعرضت لك ما هو خير لك وأفضل وأشرف وأعز وأكرم وألذ وأنعم، ثم أنت تظن بي ظنون السوء وتتوهم على غير الحق. يا عبدي إذا تعذر عليك فعل شيء مما أمرتك به فقل: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم كما قالت حملة العرش لما ثقل عليهم حملة، وإذا أصابتك مصيبة فقل: إنا لله وإنا إليه راجعون كما يقول أهل صفوتي ومودتي، وإذا زلت بك القدم في معصيتي فقل ما قال صفيي آدم وزوجته: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّآ تَتَفَرَّ لَنَا وَتَرْحَمَنَا لَتَكُونَنَّ مِنَّا الْخَيْرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣] وإذا أشكل عليك أمر وأهمك رأي أو أردت رشداً وقولاً صواباً فقل كما قال خليلي إبراهيم: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ (٧٨) ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ (٧٩) ﴿وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (٨٠) ﴿وَالَّذِي يُسَيِّئُ ثُمَّ يُجَيِّبُنِي﴾ (٨١) ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ (٨٢) ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّيقِي بِالصَّلَاحِينَ﴾ (٨٣) ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ (٨٤) ﴿وَأَجْعَلْنِي مِن رَّوَدَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ (٨٥) ﴿وَأَغْفِرْ لِي إِنَّكَ كَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٨٦) ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ (٨٧) ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ (٨٨) ﴿إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (٨٩) [الشعراء]. وإذا أصابتك مصيبة فقل كما أعلمتكم فيما أنزله عليكم من قول يعقوب: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُرِّقَ إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٨٦] وإذا جرت منك خطيئة فقل كما قال موسى عليه السلام: ﴿هَذَا مِن عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ [القصص: ١٥] وإذا صرفت عنك معصية فقل كما قال يوسف عليه السلام: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنْ أَلْفَسَ لِأَمَارَةٍ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَجَمَ رَبِّي إِنْ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٣] وإذا ابتلاك الله ببليّة فافعل ما ذكر الله عن داود عليه السلام: ﴿فَاسْتَغْفِرْ رَبُّهُ وَحَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابٌ﴾ [ص: ٢٤] وإذا رأيت العصاة من خلق الله والخاطئين من عباده ولم تدر ما حكم الله فيهم فقل كما قال عيسى عليه السلام: ﴿إِن تَعَذَّبْتُمْ فَلَا تَبْتَلُهُمْ عِبَادِكُمْ وَإِن تَغْفِرَ لَهُمْ فإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ

الْحَكِيمُ ﴿ [المائدة: ١١٨] وإذا استغفرت الله وطلبت عفوه فقل كما قال ويقول محمد ﷺ وأنصاره: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِمْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٨٦] وإذا خفت عواقب الأمور ولم تدر ماذا يختم لك فقل كما يقولون: ﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ أَوْهَابُ ﴾ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ يَوْمَ لَا رَبَّ فِيهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ ﴿ آل عمران: ٨ - ٩.]

وصية في موعظة: دخل محمد بن واسع على بلال بن أبي بردة في يوم حار وبلال في جيشة وعنده الثلج فقال بلال: يا أبا عبد الله كيف ترى بيتنا هذا؟ قال: إن بيتك لطيب والجنة أطيب منه وذكر النار يلهي عنه قال: ما تقول في القدر؟ قال: جيرانك أهل القبور ففكر فيهم فإن فيهم شغلاً عن القدر، قال: ادع لي، قال: وما تصنع بدعائي وعلى بابك كذا وكذا كل يقول إنك ظلمته يرتفع دعاؤهم قبل دعائي لا تظلم ولا تحتاج إلى دعائي.

ومن كلام الحسن البصري: ما لي أرى رجلاً ولا أرى عقولاً أرى أناساً ولا أرى أنيساً دخلوا ثم خرجوا عرفوا ثم أنكروا. ومن كلامه أيضاً رضي الله عنه: عجباً لقوم أمروا بالزاد ونودي فيهم بالرحيل وحبس أولاهم على أخراهم وهم قعود يلعبون، يا ابن آدم السكين تحذ والتنور يسجر والكبش يعلق كفى بالتجارب تأديباً وبتقلب الأيام عظة وبذكر الموت زاجراً عن المعصية، ذهب الدنيا بحال بالها وبقيت الأيام قلائد في الأعناق، إنكم تسوقون الناس والناس تسوقكم وقد أسرع بخياركم فماذا تنتظرون؟ أنتظرون المعاينة فكان قد.

ومن كلام عمر بن عبد العزيز: إن لكل سفر زاداً لا محالة، فتزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة التقوى وكونوا كمن عاين ما أعد الله من ثوابه وعقابه وترغبوا وترهبوا ولا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم، فوالله ما يبسط أملاً من لا يدري لعله لا يصبح بعد مسائه ولا يمسي بعد صباحه، وربما كانت بين ذلك خطفات المنايا، فكم رأيتم ورأينا من كان بالدنيا مغترأ وإنما تفر عين من وثق بالنجاة من عذاب الله، وإنما يفرح من آمن من الأهوال يوم القيامة فأما من لا يداوي كلاً إلا أصابه جرح من ناحية أخرى نعوذ بالله أن أمركم بما أنهى عنه نفسي فتخسر صفقتي، لقد عنيت بأمر لو عنت به النجوم لانكدرت، ولو عنيت به الجبال لذابت، ولو عنيت به الأرض لتشقق، أما تعلمون أنه ليس بين الجنة والنار منزلة وأنكم صائرون إلى إحداهما.

ومن وصاياه في مواعظه رضي الله عنه: إن الله عز وجل لم يخلقكم عبثاً ولم يدع شيئاً من أموركم سدى إن لكم معاداً ينزل الله فيه للحكم والقضاء بينكم فخاب وخسر من خرج من رحمة الله عز وجل، وحرمت الجنة التي عرضها السموات والأرض، فاشترى قليلاً بكثرة وفانياً بباق وخوفاً بأمن، ألا تروا أنكم في أسلاب الهالكين وسيخلفها بعدكم الباقون كذلك حتى ترد إلى خير الوارثين، في كل يوم وليلة تشيعون غادياً ورائحاً إلى الله تعالى قد قضى نحبه وانقضى أجله حتى تقبره في صدع من الأرض في بطن صدع ثم تدعوه غير ممهد ولا موسد،

قد خلع الأسباب وفارق الأحباب وسكن التراب وواجه الحساب، مرتيناً بعمله فقيراً إلى ما قدم غنياً عما ترك، فاتقوا الله قبل نزول الموت، وأيم الله إنني لأقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد من الذنوب ما أعلم عندي، وما يبلغني عن أحد منكم حاجة إلا أحببت أن أسد من حاجته ما قدرت عليه، وما يبلغني أن أحداً منكم لا يسعه ما عندي إلا وددت أن يمكنني تغييره حتى يستوي عيشنا وعيشه، وأيم الله لو أردت غير ذلك من الغضارة والعيش لكان اللسان مني به ذلولاً عالمياً بأسبابه، ولكن سبق من الله كتاب ناطق وسنة عادلة دل فيها على طاعته ونهى فيها عن معصيته، ثم وضع طرف ردائه على وجهه وشهق وبكى الناس.

وصية: وعليك بالاعتداء برسول الله ﷺ في أحواله وأقواله وأفعاله إلا ما نص عليه أنه مختص به مما لا يجوز لنا أن نفعله أو خاطب به أحداً من الناس أن يفعله ونهى غيره عن ذلك. بزق رجل في النيل بحضور ذي النون المصري فقال: تعست يا بغيض تيزق على نعمة الله وكان ذو النون في ذلك الوقت في مشاهدة النعم الإلهية التي أحوجنا إليها فلذلك حكم عليه حاله فنطق بما نطق به. كان شيخنا أبو مدين وقع بينه وبين أبي الحسن بن الدقاق وكان ابن الدقاق ممن يغشاه ويحضر مجلسه فانقطع عن حضور مجلسه لأجل ذلك فاستدعاه الشيخ أبو مدين وقال له: يا أبا الحسن ما شأنك انقطعت؟ إن شيطاني خاصم شيطانك ونحن على ودنا كما كنا ما تغيرنا ولا ندخل أنفسنا بينهما فتذكر أبو الحسن وقبل وصية الشيخ واستغفر الله ورجع إلى حضور مجلسه.

وصية بمكاتبة: اعتل رجل من إخوان ذي النون فكتب إليه أن يدعو له فكتب إليه ذو النون: سألتني أن أدعو الله لك أن يزيل عنك النعم. واعلم يا أخي أن العلة مجزأة يأنس بها أهل الصفاء والهمم والضيء في الحياة ذكرك للشفاء ومن لم يعد البلاء نعمة فليس من الحكماء ومن لم يأمن الشفيق على نفسه فقد أمن أهل التهمة على أمره فليكن معك يا أخي حياءً يمنعك عن الشكوى والسلام: وقال بعضهم: كتبت إليّ تسألني عن حالي فما عسيت أن أخبرك به حال وأنا من بين خلال موجعات أبكاني منهن أربع: حب عيني للنظر ولساني للفضول وقلبي للرياسة وإجابتي إبليس عدو الله فيما يكره الله. وأقلقني منها عين لا تبكي من الذنوب المنتنة وقلب لا يخشع عند نزول الموعظة وعقل وهن فهمه في محبة الدنيا ومعرفة كلما قلبتها وجدتني بالله أجهل وأضناني منها أني عدمت خير خصال الإيمان الحياء وعدمت خير زاد الآخرة التقوى، وفنيت أيامي بمحبة الدنيا وتضييعي قلباً لا أقتني مثله أبداً ووادعه إنسان، فقال له: قل لأبي يزيد إلى متى النوم والراحة وقد جازت القافلة؟ فقال أبو يزيد: قل لأخي ذي النون الرجل من ينام الليل كله ثم يصبح في المنزل قبل القافلة، فقال ذو النون: هنيئاً له هذا كلام لا تبلغه أحوالنا، وكان العلماء يكتب بعضهم إلى بعض بثلاث: من أحسن سريرته أحسن الله علانيته، ومن أصلح آخرته أصلح الله له أمر دنياه، ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس.

وكتب رجل إلى عالم: ما الذي أكسبك علمك من ربك وما أفادك في نفسك ودينك؟

فكتب إليه العالم : أثبت العلم الحجة وقطع عمود الشك والشبهة وشغلت أيام عمري بطلبه ولم أدرك منه ما فاتني ، فكتب إليه الرجل : العلم نور لصاحبه ودليل على حظه ووسيلة إلى درجات السعداء ، فكتب إليه العالم : أبلت إليه في طلبه جد الشباب فأدركني حين علمت الضعف عن العمل به ولو اقتصررت منه على القليل كان لي فيه مرشد إلى السبيل ، كان شيخنا أبو عبد الله المجاهد وشيخنا تلميذه أبو عبد الله بن قشوم نائبه في التدريس والإمامة لا يبرح الورق والمداد والقلم معهما يكتبان كل يوم ما قدر لهما من العلم رغبة أن يحشرا غداً عند الله من طلاب العلم .

وصية : دخل رجل على عبد الملك بن مروان ممتن كان يوصف بالفضل والأدب فقال له عبد الملك بن مروان تكلم قال : بما أتكلم وقد علمت أن كل كلام يتكلم به المتكلم وبال عليه إلا ما كان لله ، فبكى عبد الملك ثم قال : يرحمك الله لم يزل الناس يتواغظون ويتواصون ، فقال الرجل : يا أمير المؤمنين إن للناس في القيامة جولة لا ينجو من غصص مرارتها ومعاينة الردى فيها إلا من أرضى الله بسخط نفسه ، قال : فبكى عبد الملك ثم قال : لا جرم والله لأجعلن هذه الكلمات مثلاً نصب عيني ما عشت أبداً .

وصية مشفق ناصح عند أمير صالح : لما قدم عمر بن هبيرة العراق والياً أرسل إلى الحسن والشعبي فأمر لهما ببيت فكانا فيه شهراً أو نحوه ، ثم أن الخصي غدا عليهما ذات يوم فقال : إن الأمير داخل عليكم فجاء عمر متوكئاً على عصا له فسلم ثم جلس معظماً لهما فقال : إن أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك يكتب إليّ كتباً أعرف أن في إنفاذها الهلك فإن أطعته عصيت وإن عصيته أطعت الله فهل تريا لي في متابعتي إياه فرجاً؟ فقال الحسن للشعبي : يا أبا عمرو أحب الأمير فتكلم الشعبي بكلام يريد به إبقاء وجه عنده فقال ابن هبيرة : ما تقول أنت يا أبا سعيد؟ فقال : أيها الأمير قد قال الشعبي ما قد سمعت قال : ما تقول أنت؟ قال : أقول يا عمرو بن هبيرة يوشك أن ينزل بك ملك من ملائكة الله تعالى فظ غليظ لا يعصي الله ما أمره فيخرجك من قصرك إلى ضيق قبرك ، يا عمرو بن هبيرة إن تتق الله يعصمك من يزيد بن عبد الملك ولن يعصمك يزيد بن عبد الملك من الله إن أطعته وعصيت الله ، يا عمرو بن هبيرة لا تأمن أن ينظر الله إليك على أقبح ما تعمل في طاعة يزيد بن عبد الملك فيغلق باب المغفرة دونك ، يا عمرو بن هبيرة لقد أدركت ناساً من صدر هذه الأمة كانوا عن الدنيا وهي مقبلة أشد إداراً من إقبالكم عليها وهي مدبرة ، يا عمرو بن هبيرة إنني أخوفك مقاماً خوفك الله فقال : ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِي﴾ [إبراهيم: ١٤] يا عمرو بن هبيرة إن تكن مع الله في طاعته كفاك يزيد بن عبد الملك ، وإن تك مع يزيد بن عبد الملك على معاصي الله وكلك الله إليه ، فبكى عمرو بن هبيرة وقام بعيرته ، فلما كان من الغد أرسل إليهما بإذنهما وجوائزهما فأكثر جائزة الحسن وأنقص جائزة الشعبي فخرج الشعبي إلى المسجد فقال : أيها الناس من استطاع منكم أن يؤثر الله على خلقه فليفعل فو الذي نفسي بيده ما علم الحسن منه شيئاً فجهلته ولكني أردت وجه ابن هبيرة فأقصاني الله منه . قلت : وكتبت إلى عز الدين

كیکاوس سلطان بلاد الروم جواب كتاب كتب به إلي من أنطالية وكنت مقيماً بملطية: [الطويل]
 كَتَبْتُ كِتَابِي وَالذُّمُوعُ تَسِيلُ وَمَا لِي إِلَى مَا أُرْتَضِيهِ سَبِيلُ
 أُرِيدُ أَرَى دِينَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ يُقَامُ وَدِينَ الْمُبْطِلِينَ يَزُولُ
 فَلَمْ أَرَ إِلَّا الزُّورَ يَغْلُو وَأَهْلَهُ يَعْزُونَ وَالذِّينَ الْقَوِيمَ ذَلِيلُ
 فَيَا عَزَّ دِينَ اللَّهِ سَمْعًا لِنَاصِحٍ شَفِيقٍ فَنَصَاحَ الْمَلُوكِ قَلِيلُ
 وَحَاذِرُ بَتَأْيِيدِ الْإِلَهِ بِطَانَةٌ تَشِيرُ بِأَمْرِ مَا عَلَيْهِ دَلِيلُ
 لِيَنَمَى بَيْتُ الْمَالِ وَالْبَيْتُ سَاقِطٌ فَجُدْ وَتَوَكَّلْ فَالْإِلَهُ كَفِيلُ

وصية بمراقبة الألفاظ المسموعة: بلغني أن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة أخذ أقطاع أمير كبير كان أقطعه إياها سليمان بن عبد الملك والوليد بن عبد الملك فلما مات عمر بن عبد العزيز وولي يزيد بن عبد الملك جاء الأمير إليه فقال له: إن أخاك سليمان أمير المؤمنين والوليد أقطعاني شيئاً قطعه عني أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فأريد منك أن ترده علي، فقال: لا أفعل، قال: ولم؟ قال: لأن الحق في ما فعل عمر بن عبد العزيز، قال: وبم ذلك؟ قال: لأن أخوي أحسنا إليك وذكرتهما وما دعوت لهما وعمر بن عبد العزيز أساء إليك وذكرته فترضيت عنه فعلمت أن عمر أثر الله على هواه فيك، وأن سليمان بن عبد الملك والوليد أثرا هواهما على حق الله فوالله لا رأيته مني أبداً. وهذا من أحسن ما يحكى من التفاتات ولاة الأمور.

وصية في موعظة: قال سعيد بن سليمان: كنت بمكة وإلى جانبي عبد الله بن عبد العزيز العمري وقد حجج هارون الرشيد فقال له إنسان: يا أبا عبد الله هوذا أمير المؤمنين يسعى وقد أخلي له المسعى، قال العمري للرجل: لا جزاك الله عني خيراً كلفتنني أمراً كنت عنه غنياً ثم قام فتبعته فأقبل هارون الرشيد من المروة يريد الصفا فصاح به: يا هارون. فلما نظر إليه قال: لبيك يا عمري، قال: ارق الصفا لما رقيته قال: ارم بطرفك إلى البيت، قال هارون: قد فعلت، قال: كم هم؟ قال: ومن يحصيه؟ قال: فكم في الناس مثلهم؟ قال: خلق لا يحصيه إلا الله، قال: اعلم أيها الرجل أن كل واحد منهم يسأل عن خاصة نفسه وأنت وحدك تسأل عنهم كلهم فانظر كيف تكون، قال: فبكى هارون وجلس وجعل يعطونه منديلاً مندبلاً للدموع، فقال العمري: وأخرى أقولها، قال: قل يا عم والله إن الرجل ليسرع في ماله فيستحق الحجر عليه فكيف بمن أسرع في مال المسلمين؟ ثم مضى وهارون يبكي، قال البغوي: فبلغني أن هارون الرشيد كان يقول: إني لأحب أن أحج كل سنة ما يمنعي إلا رجلاً من ولد عمر يسمعي ما أكره.

وصية نبوية في موعظة إلهية: قال رسول الله ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ كُلْ يَوْمَ نَزَّلْنَاكَ وَأَنْتَ تَحَزَنُ وَيَنْقُصُ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ عَمْرِكَ وَأَنْتَ تَفْرَحُ أَنْتَ فِيمَا يَكْفِيكَ وَتَطْلُبُ مَا يُطْغِيكَ لَا بِقَلِيلٍ تَقْنَعُ وَلَا بِكَثِيرٍ تَشْبَعُ».

وصية: حجج أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور فبينما هو يطوف بالبيت ليلاً إذ سمع قائلاً

يقول: اللهم إنا نشكوا إليك ظهور البغي والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع، فخرج المنصور فجلس ناحية من المسجد ثم أرسل إلى الرجل فصلّى ركعتين ثم استلم الركن وأقبل مع الرسول فسلم عليه بالخلافة فقال له المنصور: ما الذي سمعتك تذكر؟ قال: إن أمتني يا أمير المؤمنين أعلمتك بالأمر من أصولها وإلا اقتصرت على نفسي ففيها لي شغل شاغل، قال: فأنت آمن على نفسك، فقال: يا أمير المؤمنين إن الله استرعاك أمر عباده وأموالهم فجعلت بينك وبينهم حجاباً من الجص والآجر وأبواباً من الحديد وحراساً معهم سلاح ثم سجنت نفسك منهم وبعثت عمالك في جباية الأموال وجمعها وأمرت أن لا يدخل عليك من الناس إلا فلان وفلان ولم تأمر بإيصال المظلوم والملهوف إليك ولا أحد إلا وله في هذا المال حق، فلما رآك نفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك وأمرت أن لا يحجبوا دونك تجني الأموال وتجمعها قالوا: هذا خان الله فما لنا لا نخونه فأتمرروا ألا يصل إليك من علم أخبار الناس إلا ما أحبوه، ولا يخرج لك عامل إلا خونه عندك وعابوه حتى تسقط منزلته عندك، فلما انتشر ذلك عنك وعنهم أعظمهم الناس وهايوهم وصانعوهم، وكان أول من صانعهم عاملك بالهدايا والأموال ليقبوا بذلك عمالك على ظلم رعيتك، ثم فعل ذلك ذوو المقدرّة والأموال من رعيتك ليصلوا إلى ظلم من دونهم فامتلات بلاد الله بغياً وفساداً وصار هؤلاء القوم شركاءك وأنت غافل، فإن جاء متظلم حيل بينك وبينه، وإن أراد رفع قضيته إليك وجدك قد نهيت عن ذلك ووقفت للناس رجلاً ينظر في مظالمهم، فإن جاء ذلك المتظلم وبلغ بطانتك خيره سألوا صاحب المظالم أن لا يرفع مظلمته إليك فلا يزال المظلوم يختلف إليه ويلوذ به ويشكو ويستغيث ويدفعه فإذا جهد وخرج ظهر لك وصرخ بين يديك فضرب ضرباً مبرحاً يكون نكالاً لغيره وأنت تنظر فلا تنكر فما بقاء الإسلام على هذا، قال: فبكى المنصور بكاء شديداً وقال: ويحك كيف أحتال لنفسي؟ قال: يا أمير المؤمنين إن للناس أعلاماً يفرعون إليهم في دينهم ويرضون بهم في دنياهم وهم العلماء وأهل الديانة فاجعلهم بطانتك يرشدوك وشاورهم يسددوك، فقال: قد بعثت إليهم فهربوا مني، فقال: خافوا أن تحملهم على طريقتك ولكن افتح بابك وسهل حجابك وانصر المظلوم واقمع الظالم وخذ الفيء والصدقات على وجوها وأنا ضامن عنهم أنهم يأتونك ويساعدونك على صلاح الأمة، ثم أذن بالصلاة فقام يصلي وعاد إلى مجلسه ثم طلب الرجل فلم يجده.

وصايا نبوية: رويها من حديث الهاشمي يبلغ بها النبي ﷺ أنه قال: «أيتها الناس أقبلوا على ما كلفتموه من إصلاح آخرتكم وأعرضوا عما ضمن لكم من أمر دنياكم ولا تستعملوا جوارح غديت بنعمته في التعرض لسخطه بمغصيته واجعلوا شغلكم التماس مغفرته واضرفوا هممكم إلى التقرب إليه بطاعته إنه من بدأ بنصيبه من الدنيا فاتته نصيبه من الآخرة ولا يدرك منها ما يريد، ومن بدأ بنصيبه من الآخرة وصل إليه نصيبه من الدنيا وأدرك من الآخرة ما يريد».

وصية منظومة من ذي علم في الاعتذار: [الوافر]

إِذَا اعْتَدَرَ الصَّدِيقُ إِلَيْكَ يَوْمًا مِنْ التَّقْصِيرِ عُدْرَ أَخٍ مُقَرَّرٌ
فَصُنْهُ عَنْ عِتَابِكَ وَاعْفُ عَنْهُ فَإِنَّ الْعَفْوَ شِيمَةٌ كُلُّ حُرٍّ

وصايا إلهية: يقول الله تعالى: يا ابن آدم إذا ذكرتني شكرتني وإذا نسيتني كفرتني، أنفق أنفق عليك أنا مع عبدي إذا ذكرتني وتحركت بي شفتاه لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين، إن خافني في الدنيا لم يخف في الآخرة وإن أمنني في الدنيا لم يأمن في الآخرة، أين المتحابون بجلالي اليوم أظلمهم في ظلي، أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا دعاني، يقول الله لأهون أهل النار عذاباً لو أن لك ما في الأرض من غنى كنت تفتدي به؟ قال: نعم، قال: فقد سألتك ما هو أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت إلا الشرك، الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما أدخلته النار إن هذا دين ارتضيته لنفسي لا يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق فأكرموه بهما ما صحبتموه، يا موسى: إنك لن تتقرب إليّ بشيء أحب إليّ من الرضى بقضائي، ولن تعمل عملاً أحفظ لحسناتك من النظر في أمورك، يا موسى: لا تتضرع إلى أهل الدنيا فأسخط عليك ولا تجد بدينك لدنيا فأغلق أبواب رحمتي، يا موسى: قل للؤمنين التائبين أبشروا وقل للمؤمنين المحبتين اجتنبوا وأحسنوا، أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، من رجا غيري لم يعرفني ومن لم يعرفني لم يعبدني ومن لم يعبدني فقد استوجب سخطي ومن خاف غيري حلت به نعمتي، يا موسى: خف ثلاثة: خفني وخف نفسك وخف من لا يخافني. يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان ولا أبالي. يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي. يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة، إذا قال العبد: بسم الله الرحمن الرحيم، يقول الله: ذكرني عبدي، وإذا قال: الحمد لله رب العالمين، يقول الله: حمدني عبدي، وإذا قال: الرحمن الرحيم، يقول الله: أثنى عليّ عبدي، وإذا قال: ملك يوم الدين، يقول الله: مجدني عبدي وفوض إليّ عبدي، وإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين، يقول الله: هذه بيني وبين عبدي ولعبي ما سألت، وإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، يقول الله: هؤلاء لعبدي ولعبي ما سألت، فإذا قال آمين، يقول الله: قد أجبت. الإخلاص سرّ من أسرار استودعته قلب من أحببت من عبادي، إذا أخذت كريمتي عبدي في الدنيا يعني عينيه لم يكن له جزاء عندي إلا الجنة.

قال رسول الله ﷺ: «يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ رِجَالٌ يَحْمِلُونَ الدُّنْيَا بِالذَّنْبِ وَيَلْبَسُونَ لِلنَّاسِ جُلُودَ الضَّأْنِ مِنَ اللَّيْلِ أَلَسْتَهُمْ أَخْلَى مِنَ الْعَسَلِ وَقُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الذُّنَابِ»، يقول الله: أبي يفترون أم عليّ يجترئون فبي حلفت لأبعثن على أولئك منهم فتنة تدع الحليم منهم حيران، قال رسول الله ﷺ: يجاء يوم القيامة بابن آدم بدج فيوقف بين يدي الله تعالى فيقول الله أعطيتك وخولتك وأنعمت عليك فماذا صنعت؟ فيقول: جمعته وثمرته وتركته أكثر ما كان

فارجعني ، فيقول : أرني ما قدمت فيقول : يا رب جمعته وثمرته وتركته أكثر ما كان فارجعني أتك به ، فإذا عبد لم يقدم خيراً فيمضى به إلى النار . يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملاً صدرك غني وأسد فقرك ، وإن لا تفعل أملاً يديك شغلاً ولم أسد فقرك . يا ابن آدم لو رأيت يسير ما بقي من أجلك لزهدت في طول ما ترجو من أملك وقصرت من حرصك وحيلك وابتغيت الزيادة من عملك وإنما تلقى الندم لو قد زلت بك القدم وأسلمك الأهل والحشم وانصرف عنك الحبيب وأسلمك القريب فلا أنت إلى أهلك عائد ولا في عملك زائد فاعمل ليوم القيامة يوم الحسرة والندامة . وقال الله : إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي ولم يستطل على خلقي ولم يبت مصراً على معصيتي ، وقطع نهاره في ذكري ، ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة ورحم المصاب ، ذلك نوره كنور الشمس أكلؤه بعزتي وأستحفظه ملائكتي ، أجعل له في الظلمة نوراً وفي الجهالة علماً ، ومثله في خلقي كمثل الفردوس في الجنة . يا موسى إني أعلمك خمس كلمات هن عماد الدين ما لم تعلم أن قد زال ملكي فلا تترك طاعتي ، وما لم تعلم أن خزائني نفذت فلا تهتم برزقك ، وما لم تعلم أن عدوك قد مات فلا تأمن فاجتته ولا تدع محاربتة ، وما لم تعلم أنني قد غفرت لك فلا تعب المذنب ، وما لم تدخل جنتي فلا تأمن مكري . قال رسول الله ﷺ : قال موسى : يا رب علمني شيئاً أذكرك به وأدعك به ، قال : يا موسى قال لا إله إلا الله ، قال موسى : يا رب كل عبادك يقول هذا ، قال قل : لا إله إلا الله ، قال : لا إله إلا أنت إنما أريد شيئاً تخصني به ، قال : يا موسى لو أن السموات السبع وعمارهن والأرضين السبع في كفة ولا إلا إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله ، يقول الله لمحمد ﷺ : يا محمد أما يرضيك أنه لا يصلي عليك أحد إلا صليت عليه عشرأً ولا يسلم عليك أحد إلا سلمت عليه عشرأً . وقال الله : وجبت محبتي للمتحابين في ، وللمتجالسين في ، والمتبازلين في ، والمتزاورين في يقول الله عز وجل ، يا دنيا اخدميني من خدميني وأتعبي يا دنيا من خدمك . وقال الله إن عبداً أصححت له جسمه ووسعت عليه في المعيشة تمضي عليه خمسة أيام لا يفر إليّ لمحروم .

وقال رسول الله ﷺ «إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مثل مد البصر ثم يقول له أنكر من هذا شيئاً أظلمت كتبتي الحافظون؟ فيقول : لا يا رب ، فيقول : فلك عذر؟ فيقول : لا يا رب ، فيقول : بلى إن لك عندي حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فيقول : أحضر وزنك ، فيقول : يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول : إنك لا تظلم قال : فيوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء» .

وقال رسول الله ﷺ : «يُوقَفُونَ - يعني الملائكة - بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَيَشْهَدُونَ - يَعْنِي لِلْعَبْدِ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ الْمُخْلِصِ لِلَّهِ - فيقول الله لَهُمْ : أَنْتُمْ الْحَفَظَةُ عَلَى عَمَلِ عَبْدِي وَأَنَا الرَّقِيبُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ إِنَّهُ لَمْ يُرْذَنِي بِهَذَا الْعَمَلِ وَأَرَادَ بِهِ غَيْرِي فَعَلَيْهِ لِعَنَّتِي» . وقال رسول الله ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ

إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَنْزَلُ إِلَى الْعِبَادِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ وَكُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةٌ فَأَوَّلُ مَنْ يُدْعَى بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ وَرَجُلٌ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَرَجُلٌ كَثِيرُ الْمَالِ فَيَقُولُ اللَّهُ لِلْقَارِيءِ: أَلَمْ أَعْلَمْكَ مَا أَنْزَلْتَهُ عَلَيَّ رَسُولِي؟ قَالَ بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلَّمْتُ؟ قَالَ: كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ وَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ لَهُ كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ: إِنَّمَا قَرَأْتَ لِيُقَالَ فَلَانَ قَارِيءٌ فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ. وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ الْمَالِ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَلَمْ أَوْسَعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدْعَكَ تَخْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ؟ قَالَ كُنْتُ أَصِلُ الرَّجِيمَ وَأَتَصَدَّقُ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: بَلْ أَرَدْتُ أَنْ يُقَالَ فَلَانَ جَوَادٌ فَقِيلَ ذَلِكَ. وَيُؤْتَى بِالَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقُولُ اللَّهُ: فِيمَاذَا قُتِلْتَ؟ فَيَقُولُ: أَمِرْتُ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: بَلْ أَرَدْتُ أَنْ يُقَالَ فَلَانَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ. ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى رُكْبَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَقَالَ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَوْلَيْتُكَ الثَّلَاثَةَ أَوَّلَ مَنْ تُسْعَرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» فكان أبو هريرة إذا حدث بهذا الحديث يغشى عليه. يقول الله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: 110]: [الرملة]

كم تَمَنَيْتُ فَأَحْسَنْتُ الْمَقَالَ	وفعلتُ الْخَيْرَ جَهْرًا لِيُقَالَ
فإِذَا وَاسَيْتُ يَوْمًا سَائِلًا	أَطْلُبُ الشُّكْرَ عَلَيْهَا لِيُقَالَ
وَإِذَا قَاتَلْتُ يَوْمًا كَافِرًا	أَطْلُبُ الذِّكْرَ عَلَيْهِ لِيُقَالَ
وَإِذَا مَا صُمْتُ يَوْمًا صَائِفًا	أَشْتَكِي الْجُوعَ عَشِيًّا لِيُقَالَ
وَإِذَا صَلَّيْتُ وَالنَّاسُ مَعِي	أَتَأْتِي فِي صَلَاتِي لِيُقَالَ
وَأَنَا فِي خُلُوتِي أَنْقُرُهَا	حَيْثُ لَا أَخْشَى عَلَيْهَا أَنْ يُقَالَ
عَمَلِي عَجَبٌ وَضَنْعٌ وَرِيَا	يَا لَهَا مِنْ عَثْرَاتٍ لَا تُقَالَ
فَاهْجُرُونِي وَأَطْرُدُونِي عَنْكُمْ	إِنْ أَحْمَالِي وَأَوْزَارِي تُقَالَ
نَسَأَلُ اللَّهَ تَعَالَى تَوْبَةَ	خَالِصِ الصَّدَقِ لَهُ لَا لِيُقَالَ

وصية اعتبار لأحد الأبرار: بلغني أن عمر بن عبد العزيز شيع جنازة فلما انصرفوا تأخر عمر وأصحابه ناحية عن الجنازة فقال له بعض أصحابه: يا أمير المؤمنين جنازة أنت وليها تأخرت عنها وتركتها فقال: نعم ناداني القبر من خلفي يا عمر بن عبد العزيز ألا تسألني ما صنعت بالأحبة؟ قلت: بلى، قال: حرقت الأكفان ومزقت الأبدان ومصصت الدم وأكلت اللحم، قال، ألا تسألني ما صنعت بالأوصال؟ قلت بلى قال: نزعنا الكفين من الذراعين والذراعين من العضدين والعضدين من الكتفين والوركين من الفخذين والفخذين من الركبتين والركبتين من الساقين والساقين من القدمين ثم بكى عمر ثم قال: ألا إن الدنيا بقاؤها قليل وعزيزها ذليل وغنيها فقير وشابها يهرم وحيها يموت فلا يغرنكم إقبالها مع معرفتكم بسرعة إدارها، فالمغرور من اغتر بها، أين سكانها الذين بنوا مدائنهم وشققوا أنهارها وغرسوا أشجارها وأقاموا فيها أياماً يسيرة غرتهم بصحتهم فاغترروا وبنشاطهم فركبوا المعاصي، إنهم

كانو والله في الدنيا مغبوطين بالأموال على كثرة المنع عليه محسودين على جمعه، ماذا صنع التراب بأبدانهم والرمل بأجسادهم والديدان بعظامهم وأوصالهم؟ كانوا في الدنيا على أسرة ممهدة وفرش منضودة بين خدم يخدمون وأهل يكرمون وجيران يعضدون، فإذا مررت فنادهم إن كنت منادياً ومزّ بعسكرهم وانظر إلى تقارب منازلهم واسأل غنيهم ما بقي من غناه واسأل فقيرهم ما بقي من فقره، واسألهم عن الألسن التي كانوا بها يتكلمون وعن الأعين التي كانوا بها ينظرون، واسألهم عن الجلود الرقيقة والوجوه الحسنة والأجساد الناعمة ما صنع بها الديدان؟ محت الألوان وأكلت اللحمان وعفرت الوجوه ومحت المحاسن وكسرت الفقار وأبانت الأعضاء ومزقت الأشلاء، وأين حجابهم وقبايهم وأين خدمهم وعبيدهم وجمعهم ومكونهم؟ والله ما فرشوا فراشاً ولا وضعوا هناك متكأً ولا غرسوا لهم شجراً ولا أنزلوهم من اللحد قراراً، أليسوا في منازل الخلوات والفلوات؟ أليس الليل والنهار عليهم سواء؟ أليس هم في مدلهمة ظلماء؟ قد حيل بينهم وبين العمل وفارقوا الأحبة، فكم من ناعم وناعمة أصبحوا ووجوههم بالية، وأجساد لهم من أعناقهم نائية، وأوصالهم متمزقة، وقد سألت الحدقات على الوجنات وامتلات الأفواه دماً وصديداً، ودبت دواب الأرض في أجسادهم ففرقت أعضاءهم، ثم لم يلبثوا والله إلا يسيراً حتى عادت العظام رميمات قد فارقوا الحدائق وصاروا بعد السعة إلى المضائق، قد تزوّجت نساؤهم وترددت في الطرق أبناؤهم، وتوزعت الورثة ديارهم وتراثهم، فمنهم والله الموسع له في قبره الغض الناضر فيه المتنعم بلذته، يا ساكن القبر غداً ما الذي غرّك من الدنيا هل تعلم أنك تبقى أو تبقى لك، أين دارك الفيحا ونهرك المطرد؟ وأين ثمرتك المحاضرة ينعها؟ وأين رقاق ثيابك؟ وأين طيبك؟ وأين بخورك؟ وأين كسوتك لصيفك وشتائك؟ أما رأيت قد نزل به الأمر فما يدفع عن نفسه دخلاً وهو يرشح عرقاً ويتلمظ عطشاً يتقلب في سكرات الموت وغمراته، جاء الأمر من السماء وجاء غالب القدر والقضاء، جاء من الأمر الأجل ما لا يمتنع منه، هيهات يا مغمض الوالد والأخ والولد وغاسله، يا مكفن الميت وحامله، يا مخلية في القبر وراجعاً عنه، ليت شعري كيف كنت على خشونة الثرى؟ ليت شعري بأي خديك تبدى البلى؟ وأي عينيك إذن سالا؟ يا مجاور الهلكات صرت في محل الموتى، ليت شعري ما الذي يلقاني به ملك الموت عند خروجي من الدنيا وما يأتيني به من رسالة ربي؟ ثم تمثل: [الطويل]

تُسْرُ بما يَفْنَى وتُسْعَلُ بالمُنَى	كما اغْتَرَّ باللذات في النوم حالمٌ
نهازك يا مَعْرُورٌ سهوً وَعَفْلَةٌ	ولَيْلُكَ نومٌ والرّدى لك لازمٌ
وتعمل شيئاً سوف تكررُه غِيَهُ	كذلك في الدنيا تعيش البهائم

ثم انصرف فما بقي بعد ذلك إلا جمعة، ومات رضي الله عنه. ومن نظمنا في ذلك:

[الرمل]

شَابَ فؤادي وشَبَّ الأملُ	ومَضَى العُمُرُ وجاء الأجلُ
عَسْكَرُ المَوْتَى لنا منتظرٌ	فإذا صِرْنَا إليهم رَحَلُوا

ليت شِعْري ليت شِعْري هل دَرَوَا
 في فنون اللُّهُو أَقْنَى طَرَباً
 ولنا في هذا المعنى أيضاً: [الكامل]

ضَمَّتْ لَنَا آرَامُنَا الْآرَامَا
 يَا وَاقِفِينَ عَلَى الْقُبُورِ تَعَجَّبُوا
 تَحْتَ التَّرَابِ مُوسِدِينَ أَكْفَهُم
 لَا يُوقِظُونَ فَيُخْبِرُونَ بِمَا رَأَوْا
 ورأيت على قبر أبياتاً وهي على لسان صاحبه: [الخفيف]

أَيُّهَا النَّاسُ كَانَ لِي أَمَلُ
 فَلَيَسِّتُّوْا اللهُ رَبَّهُ رَجُلُ
 مَا أَنَا وَحْدِي نُقِلْتُ حَيْثُ تَرَوَا
 ورأيت أيضاً مكتوباً على قبر: [الرجز]

يَا مَنْ بَدُنِّيَا أَشْتَعَلُ
 وَلَمْ يَزَلْ فِي غَفْلَةٍ
 الْمَوْتُ يَأْتِي بَغْتَةً
 ورأيت مكتوباً على قبر أم ابن البسيلي وكان ابنها من أصدقائي وقد علاه وشيئده وأنفق

على بنائه مالا كثيراً، فكتب شخص من أصحابنا أبياتاً عليه لبعضهم يخبر عن صورة الحال وهي: [الوافر]

أَرَى أَهْلَ الْقُصُورِ إِذَا تُوْفُّوا
 أَبَوْا إِلَّا مَبَاهَاةً وَقُخْرًا
 فَإِنْ يَكُنِ التَّفَاضُلُ فِي دُرَاهَا
 لَعَمْرُؤُا بِيَهُمْ لَوْ أَبْرَزُوهُمْ
 وَلَا عَرَفُوا الْعَبِيدَ مِنَ الْمَوَالِي
 وَلَا الْبَدَنَ الْمُلْبَسَ تَوْبَ صُوفٍ
 إِذَا مَا مَاتَ هَذَا ثُمَّ هَذَا
 وكان على قبر مكتوباً بمدينة سلا منقطع التراب بيتان على لسان صاحب القبر: [مجزوء

[الكامل]

وَلَقَدْ نَظَرْتُ كَمَا نَظَرْتُ
 فَاَنْظُرْ لِنَفْسِكَ سَيِّدِي
 وصية سنية من ذي همة عليّة: [البسيط]

لَا تُضْرَعَنَّ لِمَخْلُوقٍ عَلَى طَمَعٍ
 وَاسْتَرْزَقِ اللَّهَ رِزْقاً مِنْ خَزَائِنِهِ
 ولقد نظرتُ فما اغتَبَرْتُ
 قَبْلَ الْحَصُولِ كَمَا حَصَلْتُ
 فَإِنَّ ذَلِكَ مُضِرٌّ مِنْكَ بِالذِّينِ
 فَإِنَّمَا هُوَ بَيْنَ الْكَافِ وَالْثُونِ

وفي هذا المعنى قال أبو حازم الأعرج لعرض الخلفاء وقد سأله الخليفة: ما بالك يا أبا حازم؟ فقال: الرضى عن الله والغنى عن الناس: [البسيط]

للناس مالٌ ولي مالان ما لهما إذا يُحارسُ أهلَ المالِ حُرَّاسُ
مالي الرضى بالذي أصبحت أملكه وما لي اليأس مما يملكُ الناسُ

قال له خاله هشام بن عبد الملك لما ولي البحرين: ما طعامك يا أبا حازم؟ قال: الخبز والزيت، قال: أفلا تسأهما؟ قال: إذا سأتهما تركتهما حتى أشتهيتهما.

وصية: إلهية مذكورة ﴿وَمَا تَذَرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَذَرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤]: [الطويل]

وما هذه الأيام إلا مُعَارَة فما استطعت من مَعْرُوفِهِ فَتَزَوَّدِ
فإنك لا تَذري بأية بَلَدَةٍ تَمُوتُ ولا ما يُحَدِثُ اللهُ في غَدِ
يقولون لا تَبْعُدْ ومن يَكُ بُعْدُهُ ذِرَاعَيْنِ من قُرْبِ الأَحْبَةِ يَبْعُدُ

وصية من امرأة من ولد حسان بن ثابت: [الطويل]

سَلِ الخَيْرِ أهلِ الخَيْرِ قُدْماً ولا تَسَلِ فَتَى ذاقِ طَعْمَ العَيْشِ منذ قُرْبِ

وصية مجنون عاقل قالها عند خليفة غافل: حجج هارون الرشيد راجلاً من أجل يمينه حين حنث فقعد يستريح في ظلِّ ميل فمرَّ به بهلول المجنون وكان في الركب فقال له: يا أمير المؤمنين: [مجزوء الوافر]

هَبِ الدُّنْيَا تَوَاتِيكَ أليس الموتُ يَأْتِيكَ
ألا يا طالب الدنيا دَعِ الدُّنْيَا لَشَانِيكَ
إلى كم تطلب الدنيا وظلُّ المِيلِ يَكْفِيكَ

وصية حكيم في صفة الحميم: قيل لخالد بن صفوان: أي الإخوان أحب إليك؟ قال: الذي يغفر زلتي ويسد خلتي ويقبل علتي. وكتب رجل إلى صديق له: إني وجدت المودة منقطعة ما كانت الحشمة منبسطة وليس يزيل سلطان الحشمة إلا الموانسة، ولا تقع الموانسة إلا بالبز والملاطفة. بتنا ليلة عند أبي الحسين بن أبي عمرو بن الطفيل بإشبيلية سنة اثنتين وتسعين وخمسائة وكان كثيراً ما يحتشمني ويلتزم الأدب بحضوري، وبات معنا أبو القاسم الخطيب وأبو بكر بن سام وأبو الحكم بن السراج وكلهم قد منعهم احترام جانيبي الإنساض ولزموا الأدب والسكون، فأردت أعمل الحيلة في مباسطتهم فسألني صاحب المنزل أن يقف على شيء من كلامنا فوجدت طريقاً إلى ما كان في نفسي من مباسطتهم فقلت له: عليك من تصانيفنا بكتاب سميناه الإرشاد في خرق الأدب المعتاد فإن شئت عرضت عليك فصلاً من فصوله فقال لي: أشتهي ذلك، فمددت رجلي في حجره وقلت له: كبسني ففهم عني ما قصدت وفهمت الجماعة فانبسطوا وزال ما كان بهم من الانقباض والوحشة وبتنا بأنعم ليلة في مباسطة دينية. إفصاح بغالب الأحوال ممن يعدّ من الأبدال: قال الحسن البصري: ما أعطى رجل شيئاً من الدنيا إلا قيل له خذه ومثله من الحرص. وقال: أشد الناس صراحاً يوم القيامة

رجل سنّ ضلالة فاتبع عليها، ورجل سبىء الملكة، ورجل فارغ استعان بنعم الله على معاصيه .

وصية: يا وليّ راقب إيمانك وأضف إلى حسن صورته زينة العلم فإذا زينته به ظهر بصورة لم يكن عليها من الحسن، فإذا أعجبك فأضف إليه زينة العمل بالعلم فتزيد حسناً إلى حسن، فإذا تعشقت بصورة العمل لما ترى من حسنها ربما أذاك ذلك إلى أن تحمل النفس فوق طاقتها فزین العمل بالرفق فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى، وقد قيل: ما أضيف شيء إلى شيء أزين من حلم إلى علم، وإذا سبّك إنسان فانظر فيما سبّك به فإن كان ما سبّك به صفة فيك فلا تلمه فما قال إلا حقاً ولمّ نفسك وأزل عنها تلك الصفة المذمومة واشكره على ما ظهر منه فلقد بالغ في نصحك وإن لم يقصده ولكن الله أنطقه فارغ له ذلك، وإن سبّك بما ليس فيك فخذ ذلك منه تذكرة وتحذيراً يحذرك بما ذكره أن تذكره لثلاث تتصف به فيما تستقبله من زمانك فقد نصحك على كل حال فإن صدق فيما قال فقل: غفر الله لي ولك وللمسلمين، وإن كذب فيما قال فقل: غفر الله لك فلقد نبهتني على أمر ربما لولا تنبيهك وقعت فيه وأنشده: [الطويل]

هَنِئِئاً مَرِيئاً غَيْرِ دَاءٍ مُّخَامِرٍ لَعَزَّةٌ مِنْ أَعْرَاضِنَا مَا اسْتَحَلَّتْ

كانت لي كلمة مسموعة عند بعض الملوك وهو الملك الظاهر صاحب مدينة حلب رحمه الله غازي ابن الملك الناصر لدين الله صلاح الدين يوسف بن أيوب فرفعت إليه من حوائج الناس في مجلس واحد مائة وثمان عشرة حاجة فقضاها كلها وكان منها أين كلمته في رجل أظهر سرّه وقده في ملكه وكان من جملة بطانته وعزم على قتله وأوصى به نائبه في القلعة بدر الدين أي دمور أن يخفي أمره حتى لا يصل إلي حديثه فوصلني حديثه فلما كلمته في شأنه طرق وقال: حتى أعرف المولى ذنب هذا المذكور وأنه من الذنوب الذي لا تتجاوز الملوك عن مثله فقلت له: يا هذا تخيلت أن لك همة الملوك وأنت سلطان والله ما أعلم أن في العالم ذنباً يقاوم عفوي وأنا واحد من رعيتك، وكيف يقاوم ذنب رجل عفوك في غير حدّ من حدود الله إنك لدنيّ الهمة، فخجل وسرّحه وعفا عنه وقال لي: جزاك الله خيراً من جليس مثلك من يجالس الملوك، وبعد ذلك المجلس ما رفعت إليه حاجة إلاّ سارع في قضائها لفوره من غير توقف كانت ما كانت .

يا وليّ احبس نفسك عن القليل من الدّم تأمن كثيره فإن النفس فيها لجاجة، إذا نوزعت صدعت وإذا سكت عنها انقمعت . قال الأحنف ابن قيس في هذا المعنى: من لم يصبر على كلمة أسمع كلمات وربّ غيظ قد تجرّعته مخافة ما هو أشدّ منه . يا وليّ والله ما عاقبت أحداً يجب عليّ أدبه في حال غضبي فإذا ذهبت عني حالة الغضب والغليظ ورأيت المصلحة له في الأدب أدبته، وأما ما يرجع إليّ فأعفو عنه عن طيب نفس وعدم إقامة على دغل وحقد وأبذل جهدي في إيصال خير إليه، وأسارع إلى قضاء حوائجه، وما أدري أنني أقرضت أحداً قرضاً وفي نفسي أنني أطلبه منه فلا أطلبه وإن جاء به وأرى حاجتي إليه آخذه منه ولا أعلمه، وإن

علمت أنه ضيق على نفسه فيه أنظرته إلى ميسرة، هذا فيما يختص بنفسي، وحكم العيال حكم الجار الأقرب له حق يطلبه أنا مأمور بإيصاله إليه إذا قدرت عليه. يا وليتي أعلم أن الحاكم لا بد إذا أرضى أحد الخصمين أن يسخط الآخر وأنت حاكم والخصمان في مجلس قلبك الملك والشيطان فأرض الملك وأسخط الشيطان فإنه يقول للإنسان: اكفر فإذا كفر قال: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحشر: ١٦].

واعلم أن الدين أقوى منه وأحصن والعدل أقوى عدة يتخذها الحاكم لقتال من يسخطه من الخصمين فإنه يقاتل هواه فيه ولا سيما إن كان المبطل حميمه وصاحبه، وإذا أردت أن لا تخاف أحداً فلا تخف أحداً تأمن من كل شيء إذا أمن منك كل شيء. مررت في سفري في زمان جاهليتي ومعني والدي وأنا ما بين قرمونة وبلمة من بلاد الأندلس وإذا بقطيع حمر وحش ترعى وكنت مولعاً بصيدها وكان غلماني على بعد مني ففكرت في نفسي وجعلت في قلبي أنني لا أؤذي واحداً منها بصيد وعندما أبصرها الحصان الذي أنا راكبه هتس إليها فمسكتها عنها ورمحي بيدي إلى أن وصلت إليها ودخلت بينها وربما مرّ سنان الرمح بأسنمة بعضها وهي في المرعى فوالله ما رفعت رؤوسها حتى جزتها ثم أعقبني الغلمان ففرت الحمر أمامهم وما علمت سبب ذلك إلى أن رجعت إلى هذا الطريق أعني طريق الله فحينئذ علمت من نظري في المعاملة ما كان السبب وهو ما ذكرناه فسرى الأمان في نفوسهم الذي كان في نفسي لهم، فكف عن ظلمك واعدل في حكمك ينصرك الحق ويطيعك الخلق وتصفو لك النعم وترتفع عنك التهم، فيطيب عيشك ويسكن جأشك، وملكت القلوب وأمنت محاربة الأعداء وأخفى ودك في نفسه من أظهر لك العداوة في حسه لحسد قام به، فهو حبيب في صورة بغيض.

ومن منشور الحكم والوصايا: قال بعضهم: العدل ميزان الباري ولذلك هو مبرأ من كل زيغ وميل. وقال بعضهم في وصية ملك إذا حسنت سيرته وصلحت سريرته صير رعيته جنداً، وإن أول العدل أن يبدأ الرجل بنفسه فيلزمها كل خلة زكية وخصلة رضية في مذهب سديد ومكسب حميد، ليسلم عاجلاً ويسعد آجلاً، وإن أول الجور أن يعمد إليها فيجنبها الخير ويعزدها الشر، ويكسبها الآثام ويلبسها المذام، ليعظم وزرها ويقبح ذكرها. وقال بعضهم: من بدأ بنفسه فساسها أدرك سياسة الناس، أصلحوا أنفسكم تصلح لكم آخرتكم، أصلح نفسك لنفسك تكن الناس تبعاً لك، أحسن العظاات ما بدأت به نفسك وأجريت عليه أمرك، من رضي عن نفسه سخط الناس عليه، من ظلم نفسه كان لغيره أظلم، ومن هدم دينه كان لمجده أهدم، خير الآداب ما حصل لك ثمره وظهر عليك أثره، ومن تعزز بالله لم يذلّه سلطان، ومن توكل عليه لم يضمره شيطان، ليكن مرجعك إلى الحق ومنزعك إلى الصدق فالحق أقوى معين والصدق أفضل قرين، ومن لم يرحم الناس منعه الله من رحمته، ومن استطال بسلطانه سلبه الله من قدرته، إن العدل ميزان الله وضعه للخلق ونصبه للحق فلا تخالفه في ميزانه ولا تعارضه في سلطانه، استغن عن الناس بخلتين: قلة الطمع وشدة الورع، من طال كلامه سئم ومن قل احترامه شتم.

ودخلت على بعض الصالحين بسبته على بحر الرقاق وكان قد جرى بيني وبين السلطان من الكلام ما يوجب وحز الصدر ويضع من القدر فوصل إليه الخبر فلما أبصرني قال لي: يا أخي ذل من ليس له ظالم يعضده، وذل من ليس له عالم يرشده، يا أخي الرفق الرفق، فقلت له: ما دام رأس المال محفوظاً أعني الدين، فقال: صدقت وسكت عني. لا تحتاج من يذهلك خوفه ويملكك سيفه فرب حجة تأتي على مهجة وقرصة تؤدي إلى غصة وإياك واللجاج فإنه يوغر القلوب وينتج الحروب. عي تسلم به خير من نطق تندم عليه. واقصر من الكلام بما يقيم حجتك ويملكك حاجتك، وإياك وفضوله فإنه يزل القدم ويورث الندم، عي يزري بك خير من براءة تأتي عليك.

وصية نبوية: قال رسول الله ﷺ لرجل يوصيه: «أَقْلِلْ مِنَ الشَّهَوَاتِ يَسْهَلْ عَلَيْكَ الْفَقْرُ، وَأَقْلِلْ مِنَ الذُّنُوبِ يَسْهَلْ عَلَيْكَ الْمَوْتُ، وَقَدِّمْ مَالَكَ أَمَامَكَ يَسْرُكَ اللِّهَاقُ بِهِ، واقنع بما أوتيتَهُ يَخْفَ عَلَيْكَ الْحِسَابُ، ولا تتشاغل عما فُرِضَ عَلَيْكَ بما قد ضَمِنَ لك إنه ليس بفاتك ما قُسمَ لك، ولست بلاحي ما زوي عنك، ولا تكُ جَاهِداً فيما يصيحُ نافعاً واسعاً لملك لا زوال له في منزل لا انتقال عنه».

ومن الوصايا النبوية أيضاً: قال رسول الله ﷺ: «ما سَكَنَ حُبَّ الدُّنْيَا قَلْبَ عَبْدٍ إِلَّا التَّاطَرَّ مِنْهَا بِثَلَاثَ: شُغْلٌ لا يَنْفِكُ عَنْهُ، وَفَقْرٌ لا يُدْرِكُ غِنَاهُ، وَأَمَلٌ لا يَنَالُ مَتْنَاهُ، إِنَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ طَالِبَتَانِ وَمَطْلُوبَتَانِ، فَطَالِبُ الْآخِرَةِ تَطْلِبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَسْتَكْمَلَ رِزْقَهُ، وَطَالِبُ الدُّنْيَا تَطْلِبُ الْآخِرَةَ حَتَّى يَأْخُذَ الْمَوْتَ بِعُنُقِهِ، أَلَا وَإِنَّ السَّعِيدَ مِنْ اخْتَارَ بِأَقْيَمِ يَدَيْهِ نَعِيمَهَا عَلَى فَانِيَةٍ لا يَنْفَدُ عَذَابُهَا، وَقَدَّمَ لَهَا يَقْدَمُ عَلَيْهِ فِيمَا هُوَ الْآنَ فِي يَدَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَخْلِفَهُ لِمَنْ يَسْعُدُ بِإِنْفَاقِهِ وَقَدْ شَقِيَ هُوَ بِجَمْعِهِ وَاحْتِكَارِهِ».

ومنها أيضاً: قال رسول الله ﷺ: «كَانَ الْمَوْتُ عَلَى غَيْرِنَا كُتِبَ وَكَانَ الْحَقُّ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا وَجَبَ، وَكَانَ الَّذِينَ نُسِّعُ مِنَ الْأَمْوَاتِ سَفَرًا، عَمَّا قَلِيلٍ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ، نُبَوِّئُهُمْ أَجْدَانَهُمْ وَنَأْكُلُ تَرَاتُهُمْ كَأَنَّا مُخْلَدُونَ بَعْدَهُمْ، نَسِينَا كُلَّ وَعَظَةٍ وَأَمِنَّا كُلَّ جَائِحَةٍ، طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْنُهُ عَنِ عِيُوبِ النَّاسِ، طُوبَى لِمَنْ أَنْفَقَ مَالًا آكْتَسَبَهُ مِنْ غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، وَجَالَسَ أَهْلَ الْفَقْهِ وَالْحِكْمَةِ وَخَالَطَ أَهْلَ الذَّلَّةِ وَالْمَسْكِنَةِ، طُوبَى لِمَنْ ذَلَّتْ نَفْسُهُ وَحَسُنَتْ خَلِيقَتُهُ وَطَابَتْ سَرِيرَتُهُ وَعَزَلَتْ عَنِ النَّاسِ شَرَّهُ، طُوبَى لِمَنْ أَنْفَقَ الْفُضْلَ مِنْ مَالِهِ وَأَمْسَكَ الْفُضْلَ مِنْ قَوْلِهِ وَوَسِعَتْهُ السُّنَّةُ وَلَمْ تَسْتَهْوِهِ الْبِدْعَةُ».

ومن مواعظه ﷺ: قيس بن عاصم المنقري روينا من حديث الهاشمي قال رسول الله ﷺ: «يا قيس إن مع العز ذلاً، وإن مع الحياة موتاً، وإن مع الدنيا آخرة، وإن لكل شيء حسياً وعلى كل شيء رقيباً، وإن لكل حسنة ثواباً ولكل سيئة عقاباً، وإن لكل أجل كتاباً إنه لا بد يا قيس من قرين يُدْفَنُ معك وهو حيٌّ وتدْفَنُ معه وأنت ميتٌ، فإن كان كريماً أكرمك وإن كان لثيماً أسلمك، ثم لا يحشر إلا معك ولا تبعث إلا معه، ولا تسأل إلا عنه، فلا تجعله إلا صالحاً، فإنه إن كان صالحاً لم تأنس إلا به وإن كان فاحشاً لم تستوحش إلا منه وهو فغلک».

ومن وصاياه ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس توبوا إلى الله قبل أن تموتوا وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا، وصلوا الذي بينكم وبين ربكم تسعدوا، وأكثروا الصدقة تزرقوا، وأمروا بالمعروف تخلصوا، وأنهزوا عن المنكر تنصروا، ويا أيها الناس إن أكيسكم أكثركم للموت ذكراً، وأخزمكم أحسنكم له استعداداً، ألا وإن من علامات التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود، والتزود لسكنى القبور والتأهب ليوم الشؤر».

ومنها أيضاً عنه ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس إن لكم معالم فانتهاوا إلى معالمكم، وإن لكم نهاية فانتهاوا إلى نهايتكم، إن المؤمن بين محافتين: بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه، وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه، فليأخذ العبد لنفسه من نفسه ومن ديناه لأخرته، ومن الشببة قبل الكبر، ومن الحياة قبل الموت، فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعجب ولا بعد الدنيا دار إلا الجنة أو النار».

ومما ورد عنه ﷺ في خصال الإيمان: ما حدثنا به أبو عبد الله محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمي بالمسجد الأزهر بعين الخيل من مدينة فاس سنة إحدى وتسعين وخمسائة من لفظه وأنا أسمع وأسنده إلى رسول الله ﷺ معنعناً قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يكمل عبد الإيمان حتى يكون فيه خمس خصال: التوكل على الله والتفويض إلى الله، والتسليم لأمر الله، والرضى بقضاء الله، والصبر على بلاء الله، إنه من أحب وأبغض لله وأعطى الله ومنع الله فقد استكمل الإيمان». وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «الإيمان بضع وسبعون شعبة أذناها إمامة الأذى عن الطريق وأزفها قول لا إله إلا الله».

وصية نبوية محمديّة: قال رسول الله ﷺ: «لا خير في العيش إلا لعالم ناطق أو مستمع واع. يا أيها الناس إنكم في زمان هدنة وإن السير بكم سريع، وقد رأيتم الليل والنهار كيف يبليان كل جديد ويقربان كل بعيد ويأتیان بكل موعود، فقال له المقداد: وما الهدنة يا رسول الله؟ فقال ﷺ: دار بلاء وانقطاع، فإذا التبتت عليكم الأمور كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فإنه شافع مشفع وشاهد مصدق، فمن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو أوضح دليل إلى خير سبيل، من قال به صدق، ومن عمل به أجز، ومن حكم به عدل، وإن العبد عند خروج نفسه وحلول ربه يرى جزاء ما أسلف وقلة عتاء ما خلف، ولعله من باطل جمعه ومن حق منعه».

وصية نبوية بتذكرة: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد لا يكتب في المسلمين حتى يسلم الناس من يده ولسانه، ولا ينال درجة المؤمنين حتى يأمن جاره بوائقه ولا يعد من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس. أيها الناس إنه من خاف البيات أدلج ومن أدلج في السير وصل، وإنما تعرفون عواقب أعمالكم لو قد طويت صحائف آجالكم، إن نية المؤمن خير من عمله، ونية المنافق شر من عمله».

وصية فيها بشرى للمتقطعين إلى الله: قال رسول الله ﷺ: «من انقطع إلى الله كفاه كل مؤنة فيها، ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها، ومن حاول أمراً بمعصية الله كان أبعد له مما

رَجَا وَأَقْرَبَ مِمَّا اتَّقَى، وَمَنْ طَلَبَ مَحَامِدَ النَّاسِ بِمَعَاصِيِ اللَّهِ عَادَ حَامِدُهُ مِنْهُمْ دَامًا، وَمَنْ أَرْضَى النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ، وَمَنْ أَرْضَى اللَّهُ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ شَرَّهُمْ، وَمَنْ أَحْسَنَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ كَفَاهُ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، وَمَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ أَصْلَحَ اللَّهُ عِلَاقَتَهُ، وَمَنْ عَمَلَ لِآخِرَتِهِ كَفَاهُ اللَّهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ.

وصية نبوية خبرية: قال رسول الله ﷺ: «رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا تَكَلَّمَ فَعَنِمَ أَوْ سَكَتَ فَسَلِمَ، إِنْ اللَّسَانَ أَمَلَكَ شَيْءٌ لِلْإِنْسَانِ، أَلَا وَإِنَّ كَلَامَ الْعَبْدِ كُلَّهُ عَلَيْهِ إِلَّا ذِكْرًا لِلَّهِ أَوْ أَمْرًا بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهْيًا عَنْ مُنْكَرٍ أَوْ إِصْلَاحًا بَيْنَ مُؤْمِنِينَ، فَقَالَ لَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْوَخِدُ بِمَا تَتَكَلَّمُ بِهِ؟ قَالَ: وَهَلْ يُكَبُّ النَّاسُ عَلَى مَنَآخِرِهِمْ فِي النَّارِ إِلَّا حَصَانَدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟ فَمَنْ أَرَادَ السَّلَامَةَ فَلْيُحْفَظْ مَا جَرَى بِهِ لِسَانُهُ وَلْيُخْرُسْ مَا انطوى عَلَيْهِ جَنَانُهُ، وَلْيُحْسِنِ عَمَلَهُ وَلْيُقْصِرْ أَمَلَهُ».

وصية نبوية أيضاً: قال رسول الله ﷺ: «لَا تُسَبِّحُوا الدُّنْيَا فَيَنْعَمَتْ مَطِيئَةُ الْمُؤْمِنِ عَلَيْهَا يَبْلُغُ الْخَيْرَ وَبِهَا يَنْجُو مِنَ الشَّرِّ إِذَا قَالَ الْعَبْدُ لَعَنَ اللَّهُ الدُّنْيَا قَالَتِ الدُّنْيَا: لَعَنَ اللَّهُ أَغْصَانًا لِرَبِّهِ» قلنا من هنا. قال قتادة رضي الله عنه: ما أنصف أحد الدنيا ذمّت بإساءة المسيء فيها ولم تحمد بإحسان المحسن فيها، وفي عكس هذا يقول بعضهم في الدنيا: [الطويل]

إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لَبِيبٌ نَكَشَفَتْ لَهُ عَن عَدُوِّ فِي ثِيَابِ صَدِيقٍ

هذا إنما يريد الحياة الدنيا التي لا يقصد بها الآخرة وقد ذم الله ذلك.

وصية نبوية: قال رسول الله ﷺ: «أَكْثَرُوا ذِكْرَ هَازِمِ اللَّذَاتِ فَإِنَّكُمْ إِنْ ذَكَرْتُمُوهُ فِي ضَيْقٍ وَسَعَةٍ عَلَيْنِكُمْ وَرَضِيْتُمْ بِهِ فَأَجْرْتُمْ، وَإِنْ ذَكَرْتُمُوهُ فِي غَنَى بَعْضُهُ إِلَيْكُمْ فَبُجْدْتُمْ بِهِ فَأَنْتُمْ إِنْ الْمَنَآيَا قَاطَعَاتِ الْأَمَالِ وَاللِّيَالِي مُذْنِبَاتِ الْأَجَالِ، وَإِنَّ الْمَرْءَ بَيْنَ يَوْمَيْنِ: يَوْمٌ قَدْ مَضَى أَحْصِي فِيهِ عَمَلَهُ فَخْتَمَ عَلَيْهِ، وَيَوْمٌ قَدْ بَقِيَ لَا يَذْرِي لَعَلَّهُ لَا يَصِلُ إِلَيْهِ».

وصية بتذكرة: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الرِّزْقَ مَقْسُومٌ لَنْ يَغْدُوَ امْرُؤٌ مَا كَتَبَ لَهُ فَأَجْمَلُوا فِي الطَّلَبِ، وَإِنَّ الْعُمَرَ مَحْدُودٌ لَنْ يُجَاوِزَ أَحَدٌ مَا قَدَرَ لَهُ، فَبَادِرُوا قَبْلَ نَفَادِ الْأَجْلِ، وَالْأَعْمَالُ مُخْصَاةٌ لَنْ يُهْمَلَ مِنْهَا صَغِيرَةٌ وَلَا كَبِيرَةٌ، فَأَكْثِرُوا مِنْ صَالِحِ الْعَمَلِ، أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ فِي الشُّعُوبِ لَسَعَةٌ وَإِنْ فِي الْاِئْتِصَادِ لِبُلْغَةٌ، وَإِنْ فِي الرُّهْدِ لِرَاحَةٌ، وَلِكُلِّ عَمَلٍ جِزَاءٌ وَكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ».

وصية بذكرى لبيب واعتبار: قال رسول الله ﷺ: «أَمَا رَأَيْتَ الْمَأْخُودِينَ عَلَى الْغَرَةِ الْمُزْعَجِينَ بَعْدَ الطَّمَأْنِينَةِ الَّذِينَ أَقَامُوا عَلَى الشُّبُهَاتِ وَجَنَحُوا إِلَى الشَّهَوَاتِ حَتَّى أَتَتْهُمْ رُسُلٌ رَيْبِهِمْ فَلَا مَا كَانُوا أَمَلُوا أَدْرَكُوا وَلَا إِلَى مَا فَاتَهُمْ رَجِعُوا، قَدِمُوا عَلَى مَا عَمِلُوا وَنَدِمُوا عَلَى مَا خَلَّفُوا، وَلَمْ يُغْنِ النَّدَمُ وَقَدْ جَفَّ الْقَلَمُ، فَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأً قَدَّمَ خَيْرًا، وَأَنْفَقَ قِضْدًا وَقَالَ صِدْقًا وَمَلَكَ دَوَاعِي شَهَوَاتِهِ وَلَمْ تَمْلِكْهُ وَعَصَى أَمْرَهُ نَفْسُهُ فَلَمْ تُهْلِكْهُ».

وصية وبيان: قال رسول الله ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ: لَا تُعْطُوا الْحِكْمَةَ غَيْرَ أَهْلِهَا فَتُظْلِمُوهَا، وَلَا تَمْنَعُوهَا أَهْلِهَا فَتُظْلِمُوهُمْ، وَلَا تُعَاقِبُوا ظَالِمًا فَيَبْطُلَ فَضْلُكُمْ، وَلَا تُرَاوُوا النَّاسَ فَيُخِطَ عَمَلُكُمْ، وَلَا تَمْنَعُوا الْمَوْجُودَ فَيَقْلَ خَيْرُكُمْ، أَيُّهَا النَّاسُ: إِنْ الْأَشْيَاءُ ثَلَاثَةٌ: أَمْرٌ اسْتَبَانَ رُشْدُهُ فَاتَّبِعُوهُ، وَأَمْرٌ اسْتَبَانَ غِيَّهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَأَمْرٌ اخْتَلَفَ عَلَيْكُمْ فَارْذُوهُ إِلَى اللَّهِ، أَيُّهَا النَّاسُ: أَفَلَا

أُنْبِئُكُمْ بِأَمْرَيْنِ خَفِيفٍ مُؤْتَمَتُهُمَا عَظِيمٌ أَجْرُهُمَا لَمْ يَلْقَ اللهُ بِمِثْلِهِمَا: الصَّمْتُ وَحُسْنُ الخُلُقِ». وصية نبوية: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا يُؤْتَى النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا مِنْ شُبْهَةٍ فِي الدِّينِ ارْتَكَبُوهَا، أَوْ شَهْوَةٍ لِلذَّيَّةِ آثَرُوهَا، أَوْ غَضَبَةٍ لِحَمِيَّةٍ أَعْمَلُوهَا، فَإِذَا لَاحَتْ لَكُمْ شُبْهَةٌ فَاجْلُوهَا بِالتَّيْقِينِ، وَإِذَا عَرَضَتْ لَكُمْ شَهْوَةٌ فَاقْمَعُوهَا بِالرُّهْدِ، وَإِذَا عَنَّتْ لَكُمْ غَضَبَةٌ فَادْرُوهَا بِالعَفْوِ، إِنَّهُ يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ القِيَامَةِ: مَنْ لَهُ أَجْرٌ عَلَى اللهِ فَلْيَقُمْ فَيَقُومُ العَافُونَ عَنِ النَّاسِ، أَلَمْ تَرَ إِلَى قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ﴾ [الشورى: ٤٠].

وصية فيها تذكرة غافل: قال رسول الله ﷺ: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ تَوَتَّى كُلَّ يَوْمٍ بِرِزْقِكَ وَأَنْتَ تَحْزَنُ، وَيَنْقُصُ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ عَمْرِكَ وَأَنْتَ تَفْرَحُ، أَنْتَ فِيمَا يَكْفِيكَ، وَأَنْتَ تَطْلُبُ مَا يُطْعِمُكَ لَا بِقَلِيلٍ تَقْنَعُ وَلَا مِنْ كَثِيرٍ تَشْبَعُ».

وصية تحريض على الاتصاف بصفة يحمدها من عباده: قال رسول الله ﷺ وقد قيل له: يا رسول الله من أولياء الله الذين ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]؟ فقال: «الَّذِينَ نَظَرُوا إِلَى بَاطِنِ الدُّنْيَا حِينَ نَظَرَ النَّاسُ إِلَى ظَاهِرِهَا، وَاهْتَمُّوا بِأَجْلِ الدُّنْيَا حِينَ اهْتَمَّ النَّاسُ بِعَاجِلِهَا، فَأَمَاتُوا مِنْهَا مَا خَشُوا أَنْ يُمِيتَهُمْ، وَتَرَكَوا مِنْهَا مَا عَلِمُوا أَنْ سَيَتْرُكُهُمْ، فَمَا عَرَضَهُمْ مِنْ نَائِلِهَا عَارِضٌ إِلَّا رَفَضُوهُ، وَلَا خَادَعَهُمْ مِنْ رَفْعَتِهَا خَادِعٌ إِلَّا وَضَعُوهُ، خَلَقَتِ الدُّنْيَا عِنْدَهُمْ فَمَا يُجَدِّدُونَهَا، وَخَرَبَتِ بَيْنَهُمْ فَمَا يُعْمَرُونَهَا، وَمَاتَتْ فِي صُدُورِهِمْ فَمَا يُحْيَوْنَهَا بَلْ يَهْدُمُونَهَا فَيَبْنُونَ بِهَا آخِرَتَهُمْ وَيَبْيَعُونَهَا فَيَشْتَرُونَ بِهَا مَا يَبْقَى لَهُمْ، وَنَظَرُوا إِلَى أَهْلِهَا صَرَخَى قَدْ حَلَّتْ بِهِمُ المِثَالُثُ فَمَا يَرُونَ أَمَانًا دُونَ مَا يَرَجُونَ وَلَا خَوْفًا دُونَ مَا يَخْذَرُونَ».

وصية أيضاً نبوية: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا أَنْتُمْ خَلْفٌ مَاضِينَ وَبَقِيَّةٌ مُتَقَدِّمِينَ، كَانُوا أَكْثَرَ مِنْكُمْ بَسْطَةً وَأَعْظَمَ سَطْوَةً، أُرْجِعُوا عَنْهَا أَسْكَنَ مَا كَانُوا إِلَيْهَا وَعَدَّرَتْ بِهِمْ أَوْثَقَ مَا كَانُوا بِهَا فَلَمْ تُغْنِ عَنْهُمْ قُوَّةَ عَشِيرَةٍ وَلَا قِبَلَ مِنْهُمْ بَدَلٌ فِدْيَةٍ، فَأَرْجِلُوا أَنْفُسَكُمْ بِزَادٍ مُبْلَغٍ قَبْلَ أَنْ تَوَاحَدُوا عَلَى فِجَاجَةٍ وَقَدْ غَفَلْتُمْ عَنِ الاستعدادِ وَلَا يُغْنِي النَّدْمُ وَقَدْ جَفَّ القَلَمُ».

وصية بموعظة وذكرى: قال رسول الله ﷺ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ وَعَدِّ نَفْسَكَ فِي المَوْتِ، وَإِذَا أَضْبَحْتَ فَلَا تُحَدِّثْهَا بِالمَسَاءِ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تُحَدِّثْهَا بِالصَّبَاحِ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِسَقْمِكَ، وَمِنْ شَبَابِكَ لَهَرَمِكَ، وَمِنْ فَرَاغِكَ لِشُغْلِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِوَفَاتِكَ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا اسْمُكَ غَدًا».

وصية نبوية نافعة: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَسْغَلَنَّكُمْ دُنْيَاكُمْ عَنْ آخِرَتِكُمْ، وَلَا تُؤَثِّرُوا أَهْوَاءَكُمْ عَلَى طَاعَةِ رَبِّكُمْ، وَلَا تَجْعَلُوا إِيمَانَكُمْ دَرِيعةً لِمَعَاصِيكُمْ، وَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسِبُوا، وَمَهْدُوا لَهَا قَبْلَ أَنْ تُعَدَّبُوا، وَتَرَوْدُوا لِلرَّجِيلِ قَبْلَ أَنْ تَرَعَجُوا، فَإِنَّمَا هُوَ مَوْقِفٌ عَدَلٍ وَاقْتِضَاءٌ حَقٌّ وَسُؤَالٌ عَن وَاجِبٍ، وَلَقَدْ بَلَغَ فِي الإِعْدَارِ مَنْ تَقَدَّمَ فِي الإِنْدَارِ».

وصية نبوية خبرية بما ينبغي أن يقبل عليه ويعرض عنه: قال رسول الله ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَقْبِلُوا عَلَى مَا كُفِّتُمُوهُ مِنْ صِلَاحِ آخِرَتِكُمْ وَأَعْرِضُوا عَمَّا ضَمِنَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ، وَلَا تَسْتَعْمِلُوا جَوَارِحَ غَدِيَّتِ بِنِعْمَتِهِ فِي التَّعَرُّضِ لِسَخَطِهِ بِمَعْصِيَتِهِ، وَاجْعَلُوا شُغْلَكُمْ بِالتَّمَاسِ

مَغْفِرَتِهِ، وَأَصْرِفُوا هِمَمَكُمْ إِلَى التَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِطَاعَتِهِ، إِنَّهُ مِنْ بَدَأَ بِنَصِيْبِهِ مِنَ الدُّنْيَا فَآتَهُ نَصِيْبُهُ مِنَ الآخِرَةِ وَلَا يَذْرُكُ مِنْهَا مَا يُرِيدُ، وَمَنْ بَدَأَ بِنَصِيْبِهِ مِنَ الآخِرَةِ وَصَلَّ إِلَيْهِ نَصِيْبُهُ مِنَ الدُّنْيَا وَأَذْرَكَ مِنَ الآخِرَةِ مَا يُرِيدُ».

وصية نبوية فيما ينبغي أن يترك من الفضول: قال رسول الله ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَفُضُولَ الْمَطْعَمِ فَإِنَّ فُضُولَ الْمَطْعَمِ يَسْمُ الْقَلْبَ بِالسَّوَادِ وَيُبْطِئُ بِالْجَوَارِحِ عَنِ الطَّاعَةِ وَيَصِمُّ الْهَمَمَ عَنِ سَمَاعِ الْمُوعِظَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَفُضُولَ النَّظَرِ فَإِنَّهُ يَبْذُرُ الْهَوَى وَيُولِّدُ الْعَقْلَةَ، وَإِيَّاكَ وَاسْتِشْعَارَ الطَّمَعِ فَإِنَّهُ يَشْرِبُ الْقَلْبَ شِدَّةَ الْحَرَصِ وَيَخْتِمُ عَلَى الْقُلُوبِ بِطَابِعِ حُبِّ الدُّنْيَا فَهُوَ مِفْتَاحُ كُلِّ سَيِّئَةٍ وَسَبَبُ إِخْبَاطِ كُلِّ حَسَنَةٍ».

وصية نبوية بما يرجى ويتقى: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا هُوَ خَيْرٌ يُرْجَى أَوْ شَرٌّ يُتَّقَى وَيَبَاطِلُ عَرَفٌ فَاجْتَنِبْ وَحَقٌّ تُبَيِّنُ فَطَلِّبْ وَآخِرَةٌ أَظْلَمُ إِقْبَالُهَا فَسُعِيَ لَهَا، وَدُنْيَا أَرْفَ نَفَادُهَا فَأَعْرِضْ عَنْهَا، وَكَيْفَ يَعْمَلُ لِلآخِرَةِ مَنْ لَا يَنْقَطِعُ عَنِ الدُّنْيَا رَغْبَتُهُ وَلَا تَنْقُضِي فِيهَا شَهْوَتُهُ؟ إِنَّ الْعَجَبَ كُلَّ الْعَجَبِ لَمَنْ صَدَّقَ بِدَارِ الْبَقَاءِ وَهُوَ يَسْعَى لِدَارِ الْفَنَاءِ وَعَرَفَ أَنَّ رِضَا اللَّهِ فِي طَاعَتِهِ وَهُوَ يَسْعَى فِي مَخَالَفَتِهِ».

وصية نبوية: قال رسول الله ﷺ: «حَلُّوا أَنْفُسَكُمْ بِالطَّاعَةِ وَالْبَسُوهَا قِنَاعَ الْمَخَافَةِ وَاجْعَلُوا آخِرَتَكُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَسَغِيكُمْ لِمُسْتَقْرَمٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَنْ قَلِيلٍ رَاحِلُونَ وَإِلَى اللَّهِ صَائِرُونَ، وَلَا يُغْنِي عَنْكُمْ هُنَالِكَ إِلَّا صَالِحُ عَمَلٍ قَدْ مَتَّمُوهُ أَوْ حُسْنُ ثَوَابٍ حَزَمْتُمُوهُ، إِنَّكُمْ إِنَّمَا تُقَدِّمُونَ عَلَى مَا قَدِمْتُمْ وَتُجَاوِزُونَ عَلَى مَا أَسْلَفْتُمْ، وَلَا تَخْذَعَنَّكُمْ زَخَارِفُ دُنْيَا ذَبِيَّةٍ عَنْ مَرَاتِبِ جَنَاتٍ عَلِيَّةٍ، فَكَأَنَّ قَدْ كُشِفَ الْقِنَاعَ وَارْتَفَعَ الْأَزْيَابُ، وَلَا تَقَى كُلَّ أَمْرٍ إِسْتَقْرَهُ وَعَرَفَ مَثْوَاهُ وَمَقِيلَهُ».

وصية نبوية في التحذير عن المكر والخداع: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَكُونُوا مِمَّنْ خَدَعْتَهُ الْعَاجِلَةُ وَعَرَّتَهُ الْأَمْنِيَّةُ وَاسْتَهْوَتْهُ الْخِدْعَةُ، فَرَكَنَ إِلَى دَارِ سَرِيْعَةِ الرُّوَالِ وَشِيكَةِ الْإِنْتِقَالِ، إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ فِي جَنْبٍ مَا مَضَى إِلَّا كِبَانَاخَةٌ رَاكِبٌ، أَوْ صَرٌّ حَالِبٌ، فَعَلَامٌ تَعْرِجُونَ وَمَاذَا تَنْتَظِرُونَ؟ فَكَأَنَّكُمْ وَاللَّهِ بِمَا قَدْ أَصْبَحْتُمْ فِيهِ مِنَ الدُّنْيَا كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ، وَمَا تَصِيرُونَ إِلَيْهِ مِنَ الآخِرَةِ كَأَنَّ لَمْ يَزَلْ، فَخَذُوا الْأَهْبَةَ لِأَرْوْفِ الثَّقَلَةِ، وَأَعْدُوا الرَّادَ لِقُرْبِ الرَّحَلَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ كُلَّ أَمْرٍ عَلَى مَا قَدَّمَ قَادِمٌ وَعَلَى مَا خَلْفَ نَادِمٌ».

وصية نبوية في ذم انبساط الأمل ونسيان الأجل: قال رسول الله ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ بَسِيطُ الْأَمَلِ مُتَقَدِّمُ حُلُولِ الْأَجْلِ وَالْمَعَادُ مِضْمَارُ الْعَمَلِ، وَمُغْتَبِطٌ بِمَا اخْتَقَبَ غَانِمٌ وَمُتَبَتِّسٌ بِمَا فَاتَهُ مِنَ الْعَمَلِ نَادِمٌ، أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ الطَّمَعَ فَقْرٌ وَالْبَأْسَ غِنَى وَالْقِنَاعَةَ رَاحَةٌ وَالْعُرْزَلَةَ عِبَادَةٌ وَالْعَمَلَ كَنْزٌ وَالدُّنْيَا مَعْدَنٌ، وَاللَّهُ مَا يَسْرِنِي مَا مَضَى مِنْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ بِأَهْدَابٍ بُرْدِي هَذَا وَلَمَّا بَقِيَ مِنْهَا أَشْبَهُ بِمَا مَضَى مِنَ الْمَاءِ بِالْمَاءِ وَكُلُّهُ إِلَى نَفَادٍ وَشِيكٍ وَرَوَالٍ قَرِيبٍ، فَبَادِرُوا أَنْتُمْ فِي مَهَلِ الْأَنْفَاسِ وَحِدَّةِ الْأَخْلَاسِ قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ بِالْكَظْمِ وَلَا يُغْنِيَ النَّدَمُ».

وصية نبوية وتعريف: قال رسول الله ﷺ: «تَكُونُ أُمَّتِي فِي الدُّنْيَا عَلَى ثَلَاثَةِ أَطْبَاقٍ أَمَا

الطَّبَقُ الْأَوَّلُ فَلَا يَزْعُبُونَ فِي جَمْعِ الْمَالِ وَأَذْخَارِهِ وَلَا يَسْعَوْنَ فِي أَقْتِنَائِهِ وَاحْتِكَارِهِ إِنَّمَا رِضَاهُمْ مِنَ الدُّنْيَا سَدٌّ جَوْعَةٍ وَسِتْرٌ عَوْرَةٍ وَغَنَائِهِمْ فِيهَا مَا بَلَغَ الْآخِرَةَ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢] وَأَمَّا الطَّبَقُ الثَّانِي: فَيَجْتَبُونَ جَمْعَ الْمَالِ مِنْ أَطْيَبِ سَبِيلِهِ وَصَرْفِهِ فِي أَحْسَنِ وُجُوهِهِ يَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَهُمْ وَيَبْرُونَ بِهِ إِخْوَانَهُمْ وَيُوَاسُونَ بِهِ فُقَرَاءَهُمْ وَلَعَضُّ أَحَدِهِمْ عَلَى الرَّصْفِ أَسْهَلُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَكْسِبَ دَرَاهِمًا مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ وَأَنْ يَضْعَهُ فِي غَيْرِ وَجْهِهِ وَأَنْ يَمْنَعَهُ مِنْ حَقِّهِ أَوْ أَنْ يَكُونَ خَازِنًا لَهُ إِلَى حِينِ مَوْتِهِ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ إِنْ نَوَقَشُوا غُذِبُوا وَإِنْ غَفِيَ عَنْهُمْ سَلِمُوا، وَأَمَّا الطَّبَقُ الثَّلَاثُ: فَيَجْتَبُونَ جَمْعَ الْمَالِ مِمَّا حَلَّ وَحَرَّمَ وَمَنْعَهُ مِمَّا افْتَرَضَ أَوْ وَجَبَ، إِنْ أَنْفَقُوهُ أَنْفَقُوهُ إِسْرَافًا وَبِدَارًا، وَإِنْ أَمْسَكُوهُ أَمْسَكُوهُ بَخْلًا وَاحْتِكَارًا، أُولَئِكَ الَّذِينَ مَلَكَتِ الدُّنْيَا أَرْمَةً قُلُوبَهُمْ حَتَّى أَوْرَدَتْهُمْ النَّارَ بِذُنُوبِهِمْ».

وصية نبوية في التحذير من ضعف اليقين وما أشبه ذلك: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ ضَعْفِ الْيَقِينِ أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ وَأَنْ تَحْمَدَهُمْ عَلَى رِزْقِ اللَّهِ وَأَنْ تَدْمَهُمْ عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ، إِنَّ رِزْقَ اللَّهِ لَا يَجْرُهُ حِرْصُ حَرِيصٍ وَلَا يَرُدُّهُ كِرَاهِيَةُ كَارِهِ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ اسْمُهُ جَعَلَ الرُّوحَ وَالْفَرَحَ فِي الرِّضَى وَالْيَقِينِ، وَجَعَلَ الْهَمَّ وَالْحُزْنَ فِي الشُّكِّ وَالسَّخَطِ، إِنَّكَ لَمْ تَدْعُ شَيْئًا تَقْرُبُ إِلَى اللَّهِ إِلَّا أَجْرَلْ لَكَ الثَّوَابَ عَلَيْهِ، فَاجْعَلْ هَمَّكَ وَسَعْيَكَ لِآخِرَةٍ لَا يَنْقُذُ فِيهَا ثَوَابَ الْمَرْضِي عَنْهُ وَلَا يَنْقَطِعُ فِيهَا عِقَابُ الْمَسْخُوطِ عَلَيْهِ».

وصية نبوية تحرض على أخلاق سنوية مرضية: قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ شَيْءٌ يُبَاعِدُكُمْ مِنَ النَّارِ إِلَّا وَقَدْ ذَكَرْتُمْ لَكُمْ، وَلَا شَيْءٌ يَقْرُبُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا وَقَدْ دَلَلْتُمْ عَلَيْهِ، إِنَّ رُوحَ الْقُدْسِ نَفْسٌ فِي رُوعِي أَنَّهُ لَنْ يَمُوتَ عَبْدٌ حَتَّى يَسْتَكْمَلَ رِزْقَهُ، فَاجْمَلُوا فِي الطَّلَبِ وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ عَلَى أَنْ تَطْلُبُوا شَيْئًا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ بِمَعْصِيَتِهِ فَإِنَّهُ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا بِطَاعَتِهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ امْرَأَةٍ رِزْقًا هُوَ يَأْتِيهِ لَا مَحَالَةَ، فَمَنْ رَضِيَ بِهِ بُورِكَ لَهُ فَوْسَعَهُ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِهِ لَمْ يَبَارِكْ لَهُ فِيهِ وَلَمْ يَسْغَهُ، إِنَّ الرِّزْقَ لِيَطْلُبُ الرَّجُلُ كَمَا يَطْلُبُهُ أَجَلُهُ».

وصية نبوية مفصلة: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ بَلَاءٍ وَمَنْزِلُ قَلْعَةٍ وَعَنْاءٍ، قَدْ نُزِعَتْ عَنْهَا نَفُوسُ السُّعْدَاءِ، وَأَنْتَزَعَتْ بِالْكَرْهِ مِنْ أَيْدِي الْأَشْقِيَاءِ، وَأَسْعَدَ النَّاسَ بِهَا أَرْغَبُهُمْ عَنْهَا وَأَشْقَاهُمْ بِهَا أَرْغَبُهُمْ فِيهَا، هِيَ الْغَاشِيَةُ لِمَنْ انْتَصَحَهَا، وَالْمُغْوِيَةُ لِمَنْ أَطَاعَهَا، وَالْخَائِرَةُ لِمَنْ انْتَقَدَ لَهَا، وَالْفَائِزُ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهَا، وَالْهَالِكُ مَنْ هَوَى فِيهَا، طُوبَى لِعَبْدٍ اتَّقَى فِيهَا رَبَّهُ وَنَاصَحَ نَفْسَهُ وَقَدَّمَ تَوْبَتَهُ وَأَخَّرَ شَهْوَتَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْفِظَهُ الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ فَيُضْبِحُ فِي بَطْنِ مَوْحِشَةٍ غَبْرَاءَ مُذْلَمَةٍ ظَلَمًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَزِيدَ فِي حَسَنَةٍ وَلَا يَنْقُصَ مِنْ سَيِّئَةٍ. ثُمَّ يُنْشَرُ فَيُخْشِرُ إِمَّا إِلَى جَنَّةٍ يَدُومُ نَعِيمُهَا أَوْ نَارٍ لَا يَنْفَكُ عَذَابُهَا».

وصية نبوية في الأهبة للرحلة: قال رسول الله ﷺ: «شَمِّرُوا فَإِنَّ الْأَمْرَ جَدُّ، وَتَاهَبُوا فَإِنَّ الرَّحِيلَ قَرِيبٌ، وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ السَّفَرَ بَعِيدٌ، وَخَفَّفُوا أَنْفَالَكُمْ فَإِنَّ وِرَاءَكُمْ عَقَبَةٌ كَوُودٌ لَا يَفْطَمُهَا إِلَّا الْمُخَفَّفُونَ. أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ أُمُورًا شِدَادًا وَأَهْوَالًا عِظَامًا وَرِمَانًا صَغْبًا، تَتَمَلَّكُ فِيهِ الظُّلْمَةُ وَتَتَصَدَّرُ فِيهِ الْفَسَقَةُ، فَيَضْطَهُدُ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَضَامُ النَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ،

فَأَعِدُوا لِلذِّكِّ الْإِيمَانَ وَعَضُّوا عَلَيْهِ بِالنَّوَاجِذِ، وَالْجَوْوِ إِلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَأَكْرَهُوا عَلَيْهِ النَّفْسَ، وَاضْبَرُوا عَلَى الضَّرَاءِ تَفَضُّوا إِلَى النَّعِيمِ الدَّائِمِ» .

وصية نبوية وترغيب: قال رسول الله ﷺ: «ازْعَبْ فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ يُحِبُّكَ اللَّهُ، وَارْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ، إِنَّ الرِّاهِدَ فِي الدُّنْيَا يَرْبِحُ قَلْبَهُ وَبَدَنَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، لِيَجِيبَنَّ أَقْوَامٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُمْ حَسَنَاتٌ كَأَمْثَالِ الْجِبَالِ فَيُؤْمَرُ بِهِمْ إِلَى النَّارِ فَقِيلَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَيْصَلُونَ؟ قَالَ: كَانُوا يَصَلُونَ وَيَصُومُونَ وَيَأْخُذُونَ وَهَنَا مِنَ اللَّيْلِ لِكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا لَاحَ لَهُمْ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا وَتُبُّوا عَلَيْهِ» .

وصية نبوية تحرض على صفات سنية: قال رسول الله ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ هَذِهِ الدَّارُ دَارُ التَّوَاءِ لَا دَارَ اسْتِوَاءٍ، وَمَنْزِلٌ تَرَحَّحَ لَا مَنْزِلٌ فَرَحَّحَ، فَمَنْ عَرَفَهَا لَمْ يَفْرَحْ لِرِخَاءٍ وَلَمْ يَحْزَنْ لِسَقَاءٍ، أَلَا وَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الدُّنْيَا دَارَ بَلْوَى وَالْآخِرَةَ دَارَ عُقْبَى، فَجَعَلَ بَلْوَى الدُّنْيَا لِقِوَابِ الْآخِرَةِ سَبَبًا وَقِوَابِ الْآخِرَةِ مِنْ بَلْوَى الدُّنْيَا عِوَضًا، فَيَأْخُذُ لِيُعْطِيَ وَيَبْتَلِي لِيَجْزِي، وَإِنِهَا لَسَرِيعَةٌ الذَّهَابِ وَشِيكَّةُ الْإِنْقِلَابِ، فَاحْذَرُوا حِلَاوَةَ رِضَاعِهَا لِمَرَارَةِ فِطَامِهَا، وَاهْجُرُوا لَذِيذَ عَاجِلِهَا لِكُرْبِهِ أَجْلِهَا، وَلَا تَسْعُوا فِي عُمُرَانِ دَارٍ قَدْ قَضَى خِرَابِهَا وَلَا تَوَاصِلُوهَا وَقَدْ أَرَادَ اللَّهُ مِنْكُمْ اجْتِنَابَهَا، فَتَكُونُوا لِسُخْطِهِ مُتَعَرِّضِينَ وَلِعُقُوبَتِهِ مُسْتَحْقِينَ» .

وصية نبوية بما يرضي الله من الأخلاق: قال رسول الله ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَاسْعُوا فِي مَرْضَاتِهِ، وَأَيَقِنُوا مِنَ الدُّنْيَا بِالْفَنَاءِ وَمِنَ الْآخِرَةِ بِالْبَقَاءِ، وَاعْمَلُوا لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، فَكَأَنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَكُنْ، وَكَأَنَّ الْآخِرَةَ لَمْ تَزَلْ. أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ مَنْ فِي الدُّنْيَا ضَيَّفَ وَمَا فِي يَدِهِ عَارِيَةٌ وَإِنَّ الضَّيْفَ مُزْتَجَلٌ، وَالْعَارِيَّةُ مُزْدَوْدَةٌ، أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا عَرَضٌ حَاضِرٌ، يَأْكُلُ مِنْهَا الْبُرُّ وَالْفَاجِرُ، وَالْآخِرَةُ وَعَدَدٌ صَادِقٌ يَحْكُمُ فِيهَا مَلِكٌ قَادِرٌ، فَرَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا نَظَرَ لِنَفْسِهِ وَمَهَّدَ لِرِمْسِهِ، مَا دَامَ رَسْنُهُ مُرْخِي وَحَبْلُهُ عَلَى غَارِبِهِ مَلْقَى، قَبْلَ أَنْ يَنْفِدَ أَجَلُهُ فَيَنْقَطِعَ عَمَلُهُ» .

وصية أيضاً نبوية: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الدُّنْيَا قَدْ ارْتَحَلَتْ مُذْبِرَةٌ وَالْآخِرَةُ قَدْ تَجَمَّلَتْ مُقْبِلَةٌ، أَلَا وَإِنَّكُمْ فِي يَوْمِ عَمَلٍ لَيْسَ فِيهِ حِسَابٌ، وَيُوشِكُ أَنْ تَكُونُوا فِي يَوْمِ حِسَابٍ لَيْسَ فِيهِ عَمَلٌ، وَإِنَّ اللَّهَ يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَيَبْغُضُ، وَلَا يُعْطِي الْآخِرَةَ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ، وَإِنَّ لِلدُّنْيَا أُنْبَاءً وَلِلْآخِرَةِ أُنْبَاءً، فَكُونُوا مِنْ أُنْبَاءِ الْآخِرَةِ وَلَا تَكُونُوا مِنْ أُنْبَاءِ الدُّنْيَا، إِنَّ شَرَّ مَا أَتَخَوَّفُ عَلَيْكُمْ اتِّبَاعَ الْهَوَى وَطُولَ الْأَمَلِ، فَاتَّبِعِ الْهَوَى يَصْرِفْ بِقَلْبِكُمْ عَنِ الْحَقِّ، وَطُولَ الْأَمَلِ يَصْرِفْ هِمَمَكُمْ إِلَى الدُّنْيَا وَمَا بَعْدَهَا لِأَحَدٍ خَيْرٌ مِنْ دُنْيَا وَلَا آخِرَةَ» .

وصية نبوية بموعظة تذكر الموت وتوذن بالرحيل: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ بَيْتٍ إِلَّا وَمَلَكَ الْمَوْتِ يَقِفُ عَلَى بَابِهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، فَإِذَا وَجَدَ الْإِنْسَانَ قَدْ نَفَدَ أَكْلَهُ وَجَاءَ أَجَلُهُ أَلْقَى عَلَيْهِ عَمَّ الْمَوْتِ فَعَشِيَتْهُ كَرَبَاتُهُ وَعَمَّرَتْهُ عَكَرَاتُهُ، فَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ النَّاشِرَةُ شَعْرَهَا وَالصَّارِبَةُ وَجْهَهَا وَالْبَاكِيَةُ لِشَجْوِهَا وَالصَّارِحَةُ بِوَيْلِهَا فَيَقُولُ مَلِكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَيْلَكُمْ مِمَّ الْفَرْعُ وَفِيمَ الْجَزَعُ؟ مَا أَذْهَبَ لِرِوَادِكُمْ مِنْكُمْ رِزْقًا وَلَا قَرَّبَتْ لَهُ أَجَلًا وَلَا أَتَيْتُهُ حَتَّى أَمْرَتْ وَلَا

قَبِضْتُ رُوحَهُ حَتَّى اسْتَأْمَرْتُ، وَإِنَّ لِي فِيكُمْ عَوْدَةً ثُمَّ عَوْدَةً ثُمَّ عَوْدَةً حَتَّى لَا أَبْقِي مِنْكُمْ أَحَدًا. قال النبي ﷺ: فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ يَرُونَ مَكَانَهُ وَيَسْمَعُونَ كَلَامَهُ لَذَهَبُوا عَنْ مَبِيتِهِمْ وَلَبَّكُوا عَلَيَّ نَفْسِهِمْ حَتَّى إِذَا حُمِلَ الْمَيِّتُ عَلَيَّ نَعِيشِهِ رَفَرَفَ رُوحُهُ فَوْقَ النَّعِشِ وَهُوَ يَنَادِي: يَا أَهْلِي وَيَا وَلَدِي لَا تَلْعَبَنَّ بِكُمْ الدُّنْيَا كَمَا لَعَبْتُ بِي جَمَعْتُ الْمَالَ مِنْ حِلِّهِ وَمِنْ غَيْرِ حِلِّهِ ثُمَّ خَلَفْتُهُ لِعَبْرِي فَالْمَهْنَةُ لَهُ وَالتَّبَعَةُ عَلَيَّ فَاحْذَرُوا مِثْلَ مَا حَلَّ بِي».

وصية من زاهد تحوي على فوائد: رويانا عن الشبلي أنه قال في وصيته: إن أردت أن تنظر إلى الدنيا بحذافيرها فانظر إلى مزيلة فهي الدنيا، وإذا أردت أن تنظر إلى نفسك فخذ كفاً من تراب فإنك منها خلقت وفيها تعود، ومتى ما أردت أن تنظر ما أنت فانظر إلى ما يخرج منك في دخولك الخلاء، فمن كان حاله كذا فلا يجوز له أن يتناول أو يتكبر على من هو مثله. وقال بعضهم: من كانت همته ما يدخله في جوفه فقيمه ما يخرج منه. وكتب إبراهيم بن أدهم إلى أخ له: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد: فإني أوصيك بتقوى الله من لا تحل معصيته ولا يرجى غيره ولا يدرك الغنى إلا به فإنه من استغنى عز وشيع وروى وانتقل عندما أبصر قلبه عما أبصرت عيناه من زهرة الدنيا فتركها وجانب شبهها، فارض بالحلال الصافي منها أي ما لا بد منه من كسرة يشد بها صلبه، وثوب يوارى به عورته. وأغلظ ما يجده وأخشنه والسلام. وقال رسول الله ﷺ: «حَسْبُ ابْنِ آدَمَ لَقِيمَاتٍ يُقَمِّنُ صُلْبَهُ» وروي أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه جيء إليه قبل الخلافة بحلة بثلاثة آلاف درهم فاستحسنها، ثم جيء إليه في خلافته بثوب ليشتريه فيلبسه بثلاثة دراهم فقال: عسى خشن من هذا فإن هذا رقيق. فانظر يا أخي أين هذا من ذلك رضي الله عنه. مثل هذا يلي أمور عباد الله. وكتب ابن السماك إلى أخ له وقد سأله أن يصف له الدنيا: أما بعد فإن الله حفيها بالشهوات ثم ملاءها آفات مزج حلالها بالرزيات وحرامها بالتبعات فحلالها حساب وحرامها عقاب.

وصية مختار بإجارة من استجار: كتب إلينا أبو حفص عمر بن عبد المجيد من روايته: أن الله تعالى نادى موسى بن عمران: لا تخيب من قصدك، وأجر من استجار بك. قال: فبينما موسى عليه السلام في سياحته إذا بجارح يطرد حمامة فلما رآه الحمام نزل على كتفه مستجيراً به، ونزل الجارح على الكتف الآخر، فلما هم به الجارح نزل الحمام على كفه فناداه الجارح بلسان فصيح: يا ابن عمران إني قاصدك فلا تخيبني ولا تحل بيني وبين رزقي، وناداه الحمام: يا ابن عمران إني أنا مستجير بك فأجرني، فقال موسى: ما أسرع ما ابتليت به، ثم مد يده ليقطع من فخذة قطعة للجارح وقاء لهما وحفظاً لما عهد إليه فيهما فقال له: يا ابن عمران أنا رسول ربك أرسلني إليك ليرى صحة ما عهد إليك: [الطويل]

أيا سَامِعاً ليس السَّمَاعُ بِنَافِعٍ
إذا كُنْتُ في الدنيا عن الخَيْرِ عاجزاً
إذا أَنْتَ لم تَفْعَلْ فما أَنْتَ سَامِعُ
فما أَنْتَ في يوم القيامة صَانِعُ

وكان ابن السماك يقول: لا تشتغل بالرزق المضمون عن العمل المفروض، وكن اليوم مشغولاً بما أنت عليه مسؤول غداً، وإياك والفضول فإن حسابها يطول: [البسيط]

إِنِّي عَلِمْتُ وَخَيْرُ الْعِلْمِ أَنْفَعُهُ أَن الَّذِي هُوَ رَزَقِي سَوْفَ يَأْتِينِي
أَسْعَى لَهُ فَيُعَيِّنِي تَطَلُّبُهُ وَلَوْ قَعَدْتُ أَتَانِي لَا يُعَيِّنِي

وصية تتضمن علامة باقتراب القيامة: قال علي بن أبي طالب: سئل رسول الله ﷺ عن أشراف الساعة فقال: «إذا رأيت الناس قد ضيَّعوا الحق، وأماتوا الصلاة، وأكثروا القذف، واستحلوا الكذب، وأخذوا الرشوة، وشيّدوا البنيان، وأغظّموا أرباب الأموال، واستغفلوا السفهاء واستحلوا الدماء، فصار الجاهل عندهم ظريفاً والعالم ضعيفاً، والظلم فخراً والمساجد طرقات، وتكثر الشرط، وحليت المصاحف، وطولت المنارات، وخربت القلوب من الدين، وشربت الخمر، وكثر الطلاق وموت الفجأة، وفشا الفجور وقول البهتان، وحلفوا بغير الله، واتّمن الخائن، وخان الأمين، ولبسوا جلود الضأن على قلوب الذئاب، فعندها قيام الساعة» هذا حديث حسن.

وصية بالتأهب للموت بموعظة في رؤيا: كان أمير المؤمنين المنصور ذات ليلة نائماً فانتبه مرعوباً ثم عاود النوم فانتبه كذلك فزعاً مرعوباً ثم راجع النوم فانتبه كذلك فقال: يا ربيع قال الربيع قلت: لبيك يا أمير المؤمنين قال: لقد رأيت في منامي عجباً قال: ما رأيت جعلني الله فداك؟ قال: رأيت كأن أتياً أتاني فهينم بشيء لم أفهمه فانتبهت فزعاً ثم عاودت النوم فعاودني يقول ذلك الشيء ثم عاودني بقوله حتى فهمته وحفظته وهو: [الطويل]

كَأَنِّي بِهَذَا الْقَصْرِ قَدْ بَادَ أَهْلُهُ وَعَرَى مِنْهُ أَهْلُهُ وَمَنَّا زُلَّةُ
وَصَارَ رَيْسُ الْقَوْمِ مِنْ بَعْدِ بَهْجَةِ إِلَى جَدِّ تُبْنَى عَلَيْهِ جَنَادِلُهُ

وما أحسني يا ربيع إلا قد حانت وفاتي وحضر أجلي، ومالي غير ربي، قم فاجعل لي غسلًا ففعلت فقام فاغتسل وصلّى ركعتين وقال: أنا عازم على الحج فهبى لنا آلة الحج فخرجنا وخرج حتى إذا انتهى إلى الكوفة ونزل النجف فأقام أياماً ثم أمر بالرحيل فتقدمت نوابه وجنده وبقيت أنا وهو بالقصر وشاكريته بالباب فقال لي: يا ربيع جئني بفحمة من المطبخ وقال لي: اخرج وكن مع دابتي إلى أن أخرج فلما خرج وركب رجعت إلى المكان أطلب شيئاً فوجدت قد كتب على الحائط بالفحمة: [مجزوء الرجز]

الْمَرْءُ يَهْوَى أَنْ يَعْشِشَ وَطُولُ عَيْشِ مَا يَضُرُّهُ
تَفْنَى لَذَاذَتُهُ وَيَبْقَى بَعْدَ حُلُوِّ الْعَيْشِ مُرُّهُ
وَتُصَرَّفُ الْأَيَّامُ حَتَّى مَا يَرَى شَيْئاً يَسُرُّهُ
كَمْ شَامِتٍ بِي إِنْ هَلَكْتُ وَقَائِلٌ لَلَّهِ دَرُّهُ

وصية باعتراف عارف في أشرف المواقف: وقف مطرف وبكر بن عبد الله بعرفة والفضيل بن عياض فقال مطرف: اللهم لا تردهم اليوم من أجلي، وقال بكر: ما أشرفه من

موقف وأرضاه لأهله لو لا أني فيهم، ورفع الفضيل رأسه إلى السماء وقد قبض على لحيته وهو يبكي بكاء الشكلى ويقول: واسوأته منك وإن عفوت.

تنبيه على الحياء من الله: روينا عن الشيخ عبد الرحمن ابن الأستاذ في كتاب ابن باكويه الشيرازي عن أبي الأديان قال: ما رأيت خائفاً إلا رجلاً واحداً كنت بالموقف فرأيت شاباً مطرقاً منذ وقف الناس إلى أن سقط القرص فقلت: يا هذا أبسط يديك بالدعاء فقال لي: ثم وحشة، فقلت له: هذا يوم العفو من الذنوب، قال: فبسط يده ففني بسطه يديه وقع ميتاً.

وصية نبوية بالصدقة: قال رسول الله ﷺ: «أتى سائل امرأة في فمها لُقمة فلنظننها فناولتها إياه فلم تلبث أن رزقت غلاماً فلما ترغرع جاء ذئب فاختلمه فخرجت تغدو في أثر الذئب وهي تقول: ابني ابني فأمر الله ملكاً الحقي الذئب فخذ الصبي من فيه وقل لأمه: إن الله يقرئك السلام وقل: هذه لُقمة بلقمة».

وصية بر بحضور مجالس الذكر: قال عمار بن الراهب: رأيت مسكينة الطفاوية في منامي بعد موتها فقلت: مرحباً يا مسكينة مرحباً فقالت: هيهات يا عمار ذهبت المسكنة وجاء الغنى الأكبر، قلت: هيه قالت: ما تسأل عمن أبيع لها الجنة بحذافيرها تظل فيها حيث تشاء، قال قلت: وبم ذاك؟ قالت: بمجالس الذكر والصبر على الحق، قال عمار: وكانت تحضر معنا مجلس عيسى بن زاذان بالإبله تنحدر من البصرة حتى تأتيه قاصدة قال عمار قلت: يا مسكينة فما فعل عيسى بن زاذان رحمه الله؟ قال: فضحكت وقالت: [الخفيف]

قد كُسي حُلَّةَ البَهَاءِ وطافتُ
ثم حُلِّيَ وقيل يا قارىء أقرأ
بالأباريق حوله الخُدَّامُ
فلعَمري لقد بَرَكَ الصَّيَّامُ

وصية: ونصيحة كتبت بها إلى السلطان الغالب بأمر الله كيكأوس صاحب بلاد الروم بلاد يونان رحمه الله جواب كتاب كتب به إلينا سنة تسع وستمائة: بسم الله الرحمن الرحيم، وصل الاهتمام السلطاني الغالب بأمر الله العزي أدام الله عدل سلطانه إلى والده الداعي له محمد بن العربي فتعين عليه الجواب بالوصية الدينية والنصيحة السياسية الإلهية على قدر ما يعطيه الوقت ويحتمله الكتاب إلى أن يقدر الاجتماع ويرتفع الحجاب، فقد صخ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قالوا: لمن يا رسول الله؟ فقال: «لله ولِرَسُولِهِ ولِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ» وأنت يا هذا بلا شك من أئمة المسلمين وقد قللك الله هذا الأمر وأقامك نائباً في بلاده ومتحكماً بما توفق إليه في عباده، ووضع لك ميزاناً مستقيماً تقيمه فيهم، وأوضح لك محجة بيضاء تمشي بهم عليها وتدعونهم إليها، على هذا الشرط ولأك وعليه بايعناك، فإن عدلت فلك ولهم وإن جرت فلهم وعليك، فاحذر أن أراك غداً بين أئمة المسلمين من أخسر الناس ﴿أَعْمَلَا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٤] ولا يكون شكرك لما أنعم الله به عليك من استواء ملكك بكفران النعم وإظهار المعاصي وتسليط الثواب السوء بقوة سلطانك على الرعية الضعيفة فإن الله أقوى

منك ، فيتحكّمون فيهم بالجهالة والأغراض وأنت المسؤول عن ذلك ، فيا هذا قد أحسن الله إليك وخلع خلع النيابة عليك ، فأنت نائب الله في خلقه وظلّه الممدود في أرضه ، فأنصف المظلوم من الظالم ، ولا يغرنك أن الله وسع عليك سلطانك وسوى لك البلاد ومهداها مع إقامتك على المخالفة والجور وتعدي الحدود ، فإن ذلك الاتساع مع بقائك على مثل هذه إقامتك على المخالفة والجور وتعدي الحدود ، فإن ذلك الاتساع مع بقائك على مثل هذه الصفات إمهال من الحق لا إهمال ، وما بينك وبين أن تقف على أعمالك إلا بلوغ الأجل المسمّى ، وتصل إلى الدار التي سافر إليها أبواؤك وأجدادك ، ولا تكن من النادمين فإن الندم في ذلك الوقت غير نافع ، يا هذا ومن أشد ما يمرّ على الإسلام والمسلمين وقليل ما هم رفع النواقيس والتظاهر بالكفر وإعلاء كلمة الشرك ببلادك ورفع الشروط التي اشترطها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه على أهل الذمة من أنهم لا يحدثون في مدينتهم ولا ما حولهم كنيسة ولا ديراً ولا قلية ولا صومعة راهب ، ولا يجددون ما خرب منها ، ولا يمنعون كنائسهم أن ينزلها أحد من المسلمين ثلاث ليال يطعمونهم ، ولا يأوون جاسوساً ولا يكتمون غشاً للمسلمين ولا يعلمون أولادهم القرآن ولا يظهرون شركاً ولا يمنعون ذوي قرباتهم من الإسلام إن أرادوه ، وأن يوقروا المسلمين وأن يقوموا لهم من مجالسهم إذا أرادوا الجلوس ، ولا يتشبهون بالمسلمين في شيء من لباسهم في قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر ، ولا يتسمون بأسماء المسلمين ولا يتكفون بكناهم ، ولا يركبون سرجاً ولا يتقلدون سيفاً ، وأن لا يتخذوا شيئاً من سلاح ، ولا ينقشوا خواتيمهم بالعربية ، ولا يبيعوا الخمر ، وأن يجروا مقام رؤوسهم وأن يلزموا زيتهم حيث ما كانوا ، وأن يشدوا الزنانير على أوساطهم ولا يظهروا صليباً ولا شيئاً من كتبهم في طريق المسلمين ، ولا يجاوروا المسلمين بموتاهم ولا يضرّبوا بالناقوس إلا ضرباً خفياً ، ولا يرفعوا أصواتهم بالقراءة في كنائسهم في شيء من حضرة المسلمين ، ولا يخرجوا سعايين ، ولا يرفعوا مع أمواتهم أصواتهم ، ولا يظهروا النيران معهم ، ولا يشترّوا من الرقيق ما جرت عليه سهام المسلمين ، فإن خالفوا شيئاً ممّا شورطوا عليه فلا ذمّة لهم ، وقد حلّ للمسلمين منهم ما يحلّ من أهل المعاندة والشقاق ، فهذا كتاب الإمام العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا تُبْنَى كَنِيْسَةٌ فِي الْإِسْلَامِ وَلَا يُجَدَّدُ مَا خَرِبَ مِنْهَا » فتدبر كتابي ترشد إن شاء الله ما لزمتم العمل به والسلام . ثم أوقعت له بشعر عملته في الوقت أخاطبه به وهو : [الطويل]

إذا أنت أغرّزت الهدى وتبعته	فأنت لهذا الدين عزّ كما تدعى
وإن أنت لم تحفل به وأهنته	فأنت مُذِلُّ الدين تحفضه وضعاً
فلا تأخذ الألقاب زوراً فإنكم	لئسأل عنها يوم يجمعكم جمعاً
يقال لعزّ الدين أغرّزت دينه	ويسأل دين الله عن عزكم قطعاً
فإن شهد الدين العزير بعزكم	تكن مع دين الله في عزه شفعا
وإن قال دين الله كنت بملكه	ذليلاً وأهلي في ميادينه صرعى

وما زلت في سلطانه ذا مهانة
فما حُجَّةُ السلطان إن كان قوله
وأدَّ من لباب الله إن كنت تبتغي
عسى جوده يوماً يجودُ بفتحه
فيا ربَّ رفقاً بالجميع فيا لها
فأنت إمامُ المُتقين ورأسهم
لكم نائب في الأمر أصبح مُلحداً
فما لك لم تغلبه واسمك غالبٌ
فيا أيها السلطان حَقِّقْ نصيحتي
فإني لكم والله أنصحُ ناصح
وأجلبُ للسلطان من كل جانبٍ
والله ينفعني بوصيتي، ويجازيني على نيتي، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وصايا من مثور الحكم وميسور الكلم، ينسب إلى جماعة من العلماء الصالحين: من اكتفى باليسير استغنى عن الكثير، من صحَّ دينه صحَّ يقينه، من استغنى عن الناس أمن من عوارض الإفلاس، الدين أقوى عصمة والأمن أسنى نعمة، الصبر عند المصائب من أعظم المواهب، عش ما عشت في ظل يقيك وقوت يكيفيك، والبخيل حارس نعمة وخازن ورثة، من لزم الطمع عدم الورع، الحسد شرّ عرض والطمع أضرّ غرض، الرضا بالكفاف خير من السعي للأشرف، أفضل الأعمال ما أوجب الشكر وأنفع الأموال ما أعقب الأجر، لا تثق بالدولة فإنها ظل زائل ولا تعتمد على النعمة فإنها ضيف راحل، مالك ما زجى يوميك وتوفر أجره وثوابه عليك، الكريم من كف أذاه والقوي من غلب هواه، من ركب الهوى أدرك العمى، من غالب الحق لان ومن تهاون بالدين هان، المؤمن غرّ كريم والمنافق خب لثيم، إذا ذهب الحياء يحل البلاء، كل إنسان طالب أمنية ومطلوب لمنية، علم لا ينفع كدواء لا ينجع، أحسن العلم ما كان مع العمل، وأحسن الصمت ما كان عن الخطل، اعص الجاهل تسلّم وأطع العاقل تغنم، من صبر على شهوته بالغ في مروته، من كثر ابتهاجه بالمواهب اشتدّ انزعاجه للمصائب، من تمسك بالدين عزّ نصره ومن استظهر بالحق ظهر قهره، من استقصر بقاءه وأجله قصر رجاءه وأمله، لا تبت على غير وصية، وإن كنت من جسمك في حصة ومن عمرك في فسحة، فإن الدهر خائن وما هو كائن كائن، لا تخل نفسك من فكرة تزديك حكمة وتفيدك عصمة، من جعل ملكه خادماً لدينه انقاد له كل سلطان، ومن جعل دينه خادماً لملكه طمع فيه كل إنسان، من سلك سبيل الرشاد بلغ كنه المراد، من لزم العافية سلم ومن قبل النصيحة غنم، قلب تأثر من صادق مؤثر. حدثنا أحمد بن مسعود بن شداد المقرئ الموصلي بالموصل سنة إحدى وستمائة وكان ثقة قال: حدثنا أبو جعفر بن القاص قال: حدثنا يوسف بن أبي القاسم الديار بكري، حدثنا جمال الإسلام أبو الحسن علي بن أحمد القرشي

الهكاري، حدثنا أبو الحسن الكرخي، حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن الفضل النهاوندي قال: سمعت شيخي جعفر بن محمد الخلدي يقول: كنت مع الجنيد رحمه الله في طريق الحجاز حتى صرنا إلى جبل سور سيناء فصعدته الجنيد وصعدنا معه فلما وقفنا في الموضع الذي وقف فيه موسى عليه السلام وقعت علينا هيبة المكان وكان معنا قوال فأشار إليه الجنيد أن يقول شيئاً فقال: [الكامل]

وَبَدَا لَهُ مِنْ بَعْدِ مَا أَنْدَمَلَ الْهَوَى
يَبْدُو كَحَاشِيَةِ الرَّدَا وَدُونِهِ
بَزَقٌ تَأَلَّقَ مَوْهِنًا لَمَعَانُهُ
فَبَدَا لِيَنْظُرَ كَيْفَ لَاحٍ فَلَمْ يُطِئْ
صَغْبُ الدَّرَا مَتَمَّتْ أَرْكَانُهُ
فَالنَّارُ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ ضُلُوعُهُ
نَظَرًا إِلَيْهِ وَصَدَّهُ سُبْحَانُهُ
وَالْمَاءُ مَا سَمَحَتْ بِهِ أَجْفَانُهُ

قال: فتواجد الجنيد وتواجدنا فلم يدر أحد منا أفي السماء نحن أو في الأرض؟ وكان بالقرب منا دير فيه راهب فنأدى: يا أمة محمد بالله أجيوني فلم يلتفت إليه أحد لطيب الوقت فنأدانا الثانية بدين الحنيفية إلا أجبتموني فلم يجبه أحد فنأدانا الثالثة بمعبودكم إلا أجبتموني فلم يرد عليه أحد جواباً، فلما فترنا من السماع وهم الجنيد بالنزول قلنا له: إن هذا الراهب نادانا وأقسم علينا ولم نرد عليه، فقال الجنيد: ارجعوا بنا إليه لعل الله يهديه إلى الإسلام، فنأديناه فنزل إلينا وسلم علينا فقال: أيما منكم الأستاذ؟ فقال الجنيد: هؤلاء كلهم سادات وأستاذون، فقال: لا بد أن يكون واحد هو أكبركم، فأشاروا إلى الجنيد فقال: أخبرني عن هذا الذي فعلتموه هو مخصوص في دينكم أو معموم؟ فقال: بل مخصوص، فقال الراهب: لأقوام مخصوصين أو معمومين؟ فقال: بل لأقوام مخصوصين، فقال: بأي نية يقومون؟ فقال: بنية الرجاء والفرح بالله تعالى، فقال: بأي نية تسمعون؟ فقال: بنية السماع من الله تعالى، فقال: بأي نية تصيحون؟ فقال: بنية إجابة العبودية الربوبية لما قال الله تعالى للأرواح: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ [الأعراف: ١٧٢] قال: فما هذا الصوت؟ قال: نداء أزلني، فقال: بأي نية تقعدون؟ قال: بنية الخوف من الله تعالى، قال: صدقت. ثم قال الراهب للجنيد: مديك أنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً ﷺ عبده ورسوله وأسلم الراهب وحسن إسلامه، فقال له الجنيد: بم عرفت أنني صادق؟ قال: لأنني قرأت في الإنجيل المنزل على المسيح ابن مريم خواص أمة محمد ﷺ يلبسون الخرقة ويأكلون الكسرة ويرضون بالبلغة ويقومون في صفاء أوقاتهم بالله يفرحون وإليه يشاقون وفيه يتواجدون وإليه يرغبون ومنه يرهبون، فبقي الراهب معنا ثلاثة أيام على الإسلام ثم مات رحمه الله.

وصايا في القول: سمعت محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمي الفاسي بمدينة فاس العدل أظن في سنة أربع وتسعين وخمسائة يقول: تكلم أربعة من الملوك بأربع كلمات كأنما رميت عن قوس واحدة، قال كسرى: أنا على رد ما لم أقل أقوى مني على رد ما قلت. وقال ملك الهند: إذا تكلمت بكلمة ملكنتي وإن كنت أملكها. وقال قيصر

ملك الروم: لا أندم على ما لم أقل وقد ندمت على ما قلت. وقال ملك الصين: عاقبة ما قد جرى به القول أشد من الندم على ترك القول. قال بعض الشعراء: [الطويل]

لَعَمْرُكَ مَا شَيْءٌ عَلِمْتَ مَكَانَهُ أَحَقُّ بِسِجْنٍ مِنْ لِسَانٍ مُدَلَّلٍ
على فيك مما ليس يَغْنِيكَ قَوْلُهُ بِقُفْلٍ شَدِيدٍ حَيْثُ مَا كُنْتَ أَقْفَلٍ

وقالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: خلال المكارم عشر تكون في الرجل ولا تكون في ابنه، وتكون في العبد ولا يكون في سيده، صدق الحديث، وصدق الناس، وإعطاء السائل، والمكافأة بالصنائع، والتذم للجار، ومراعاة حق الصاحب، وصلة الرحم، وقرى الضيف، وأداء الأمانة، ورأسهن الحياء. وقال بعضهم كتمانك سرّك يعقبك السلامة، وإفشاؤك سرّك يعقبك الندامة، والصبر على كتمان السرّ أيسر من الندم على إفشائه. في الحكمة: ما أقبح بالإنسان أن يخاف على ما في يده اللصوص فيخفيه ويمكن عدوّه من نفسه بإظهاره ما في قلبه من سرّ نفسه أو سرّ أخيه. جاور معي بمكة أظن سنة تسع وتسعين وخمسمائة رجل من أهل تونس يقال له عبد السلام بن السعريّة وكانت عنده جارية اشتراها بمصر في الشدة التي وقعت بمصر سنة سبع وتسعين وخمسمائة فقال لها: يا جارية أوصيك بأمرين: حفظ السرّ والأمانة، فقالت الجارية: ما تحتاج فإني أعلم أن الشخص إذا كان أميناً شارك الناس في أموالهم، وإذا كان حافظاً للسرّ شاركهم في عقولهم، فاستحسن هذا الجواب منها فسأل عنها فوجدها حرة قد بيعت في غلاء مصر فأعتقها وسرّحها فرجعت إلى أمها وأخواتها.

وقال معاوية رضي الله عنه: ما أفشيت سرّي إلى أحد إلا أعقبني طول الندم وشدة الأسف، ولا أودعته جوانح صدري إلا أكسبني مجدداً وذكراً وسناً ورفعة، فقيل له: ولا ابن العاص؟ فقال: ولا ابن العاص، لأن عمرو بن العاص كان صاحب رأي معاوية ومشيره ووزيره. وكان يقول: ما كنت كاتم من عدوك فلا تظهر عليه صديقك، يريد والله أعلم معاوية بهذا الكلام ما كان ينشدنا في أكثر مجالسه أبو بكر محمد بن خلف بن صاف اللخمي أستاذي في القراءات بمسجده بقوس الحنية من إشبيلية رحمة الله يوصينا بذلك: [مجزوء الكامل]

أَخَذَ عَدُوَّكَ مَرَّةً وَأَخَذَ صَدِيقَكَ أَلْفَ مَرَّةٍ
فَلَرَّبُّمَا هَجَرَ الصَّدِيقُ فَكَانَ أَغْرَفَ بِالْمَضْرَّةِ

وكان عمي أخو والدي ينشدني كثيراً للسميسر: [المتقارب]

زَمَانَ يَمُرُّ وَعَيْشٌ يَمُرُّ وَدَهْرٌ يَكُرُّ بِمَا لَا يَسُرُّ
وَنَفْسٌ تَذُوبٌ وَهَمٌّ يَنْوِبُ وَدُنْيَا تُنَادِي بِأَنْ لَيْسَ حُرُّ

ومن كلام النبوة في الوصية: من كتم سرّه كانت الخيرة في يده. ومن عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن وضع أمر أخيك على أحسنه. ولا تظنن بكلمة خرجت منه

سواء . وما كافات من عصى الله فيك بأفضل من أن تطيع الله عزّ وجلّ فيه . وعليك بإخوان الصدق فإنهم زينة عند الرخاء وعصمة عند البلاء .

حكاية تتضمن وصية . حدثني أبو القاسم البجايي بمراكش عن أبي عبد الله الغزال العارف الذي كان بالمرية من أقران أبي مدين وأبي عبد الله الهوازي بتنس وأبي يعزى وأبي شعيب السارية وأبي الفضل الشكري وأبي النجا وتلك الطبقة ، قال أبو عبد الله الغزال : كان يحضر مجلس شيخنا أبي العباس بن العريف الصنهاجي رجل لا يتكلم ولا يسأل ولا يصحب واحداً من الجماعة ، فإذا فرغ الشيخ من الكلام خرج فلا نراه قط إلا في المجلس خاصة ، فوقع في نفسي منه شيء ووقعت منه على هيبة فأحببت أن أتعرف به وأعرف مكانه فتبعته عشية يوم بعد انفصالنا من مجلس الشيخ من حيث لا يشعر بي ، فلما كان في بعض سكك المدينة إذا بشخص قد انقض عليه من الهواء برغيف في يده فناوله إياه وانصرف ، فجذبتة من خلفه فقلت : السلام عليك فعرفني فردّ عليّ السلام فسألته عن ذلك الشخص الذي ناوله الرغيف فتوقف ، فلما علم مني أنني لا أبرح دون أن يعرفني قال لي : هو ملك الأرزاق يأتي إليّ من عند الله كل يوم بما قدر لي من الرزق حيث كنت من أرض ربي ، ولقد لطف الله بي في بدء أمري ودخولي إلى هذا الطريق إذا فرغت نفقتي وبقيت بلا شيء سقط عليّ من الهواء وبين يدي قدر ما أشتري به ما أحتاج إليه من القوت فأنفق منه ، فإذا فرغ جاءني مثل ذلك من عند الله لكنني ما كنت أري شخصاً ، قال تعالى في حق مريم ابنة عمران : ﴿ كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ [آل عمران : ٣٧] .

حكاية : حرمة في سلب نعمة : مرّ زياد بن أمية بالحيرة فنظر إلى دير فقال لخادمه : لمن هذا؟ قال : دير حرقة بنت النعمان بن المنذر ، فقال : ميلوا بنا إليه نسمع كلامها ، فجاءت فوقفت خلف الباب فكلمها الخادم فقال لها : كلمي الأمير ، قالت : أوجز أم أطيل؟ قال : بل أوجزي ، قالت : كنا أهل بيت طلعت الشمس علينا وما على الأرض أحد أعزّ منا فما غربت تلك الشمس حتى رحمتنا عدونا . قال : فأمر لها بأوساق من شعير ، فقالت : أطعمتك يد شعباء جاعت ولا أطعمتك يد جوعاء شبع ، فسرّ زياد بكلامها ، فقال لشاعر معه : قيد هذا الكلام لا يدرس يعني أنظمه ، فقال : [الطويل]

سَلِ الْخَيْرِ أَهْلَ الْخَيْرِ قُدَمَا وَلَا تَسَلِ
فَتَى ذَاقَ طَعْمَ الْخَيْرِ مُنْذُ قَرِيبِ
ونظمتنا نحن في هذا المعنى : [الطويل]

سَلِ الْخَيْرِ أَهْلَ الْخَيْرِ إِنْ كُنْتَ سَائِلًا
فِي الْيَدِ الْجُوعَاءِ تَبَخَّلُ بِالَّذِي
فِي الْيَدِ الْجُوعَاءِ جَادَتْ وَتَمْتَنُ بِالَّذِي
وَإِنَّ الْيَدَ الشُّبْعَاءَ جَادَتْ بِمَا تَجِدُ
ولا تسأل المَعْرُوفَ من مُخَدِّثِ الْمَالِ
أصَابَتْهُ من خَيْرِ عَلَى الْكَاسِفِ الْبَالِي
تَجُودُ بِهِ يَوْمًا عَلَى التَّرْبِ الْحَالِي
عَلَى طَيْبِ نَفْسٍ فِي سُرُورٍ وَإِقْبَالِ
في الحكمة : ثواب الجود خلفه ومحبة ومكافأة ، وثواب البخل حرمان وإتلاف ومذمة .

وكتب حكيم إلى الإسكندر: اعلم أن الأيام تأتي على كل شيء فتخلفه وتخلق آثاره وتميت الأفعال إلا ما رسخ في قلوب الناس، فأودع قلوبهم محبة أبدية يبقى بها حسن ذكرك وكريم فعالك وشرف آثارك. وقد علينا ونحن بإشيبيلية شيخ شاعر يعرف بالسبيتي من قرطبة رحمه الله وكان صاحب الديوان عندنا زكريا بن سنان أديباً حاذقاً فطناً ولم يكن للسبيتي موضع ينزل فيه فكتب إلى صاحب الديوان: [الوافر]

أَتَحْفَلُ بِالْفِرْزَدِقِ وَالْكُمَيْتِ وفي قيد الحيا شعر السَّبَيْتِي
يَرَوُّعُنِي بِشِعْرِهِمَا أَنْاسٌ وَجَهْلًا رَوَّعُوا حَيًّا بِمَيْتِ
لئن أسكنتني بيتاً رفيعاً لتسكن من ثنائي ألفَ بَيْتِ

فوقع له صاحب الديوان بيتاً نزل فيه واعتذر إليه ووصله بنفقة. قيل لبزرجمهر عندما قدم للقتل تكلم بكلام تذكر به فقال: أي شيء أقول إن الكلام كثير، ولكن إن أمكنك أن تكون حديثاً حسناً فافعل ولنا: [الرميل]

إنما الناس حديثٌ كُلُّهُمْ فلتكن خَيْرَ حَدِيثٍ يُسْمَعُ

خاتمة الباب

وهو خاتمة الكتاب

تعويذات مذكورة وأدعية مشهورة: فمن ذلك ما يقال عند الكرب: لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات والأرض رب العرش الكريم ويقال عند دخول المسجد: اللهم افتح لنا أبواب رحمتك. ويقال عند الخروج منه: اللهم إنا نسألك من فضلك. ويقال عند دخول الخلاء: اللهم إني أعوذ بك من الخيث والخبائث. وقد روينا أيضاً أنه يقال: أعوذ بالله من الخيث المخبث الرجس النجس الشيطان الرجيم. ويقال عند الخروج من الخلاء: غفرانك. ويقال عند الجماع: اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا. ويقال عند انقضاء الطعام: الحمد لله حمداً طيباً كثيراً مباركاً غير مكف ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا. ويقال عند العطاس: الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه مباركاً عليه كما يحب ربنا ويرضى. ويقال عند النوم: إذا أخذ الإنسان مضجعه: اللهم: إني أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رهبة منك ورغبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، اللهم باسمك أحيا وباسمك أموت، سبحانك ربي لك وضعت جنبي وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فاغفر لها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين. ويقال عند الاستيقاظ من النوم: الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور. وإذا أردت النوم فانو أن تلقى ربك، ولتحب النوم لكون لقاء ربك فيه كما تحب الموت فإنه فيه لقاء ربك، فإنه من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَائِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] فالنوم موت أصغر، والذي ينتقل إليه بعد الموت هو الذي ينتقل إليه في النوم الحضرة واحدة وهي البرزخ والصورة واحدة واليقظة مثل البعث يوم القيامة، وإنما جعل الله النوم في الدنيا لأهلها وما نرى فيه من الرؤيا وجعل بعده اليقظة كل ذلك ضرب مثال للموت وما يشاهد فيه للرؤيا والبعث لليقظة، فالقيام من المضاجع كالبعث من القبور سواء. ويقال عند الصباح: أصبحنا وأصبح الملك لله، والحمد لله وحده لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم إني أسألك خير هذا اليوم وخير ما بعده، وأعوذ بك من شرّ هذا اليوم وشرّ ما بعده. ويقال عند المساء: أمسينا وأمسى الملك لله والحمد لله لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم إني أسألك خير هذه الليلة وخير ما بعدها وأعوذ بك من شرّ هذه الليلة وشرّ ما بعدها. ويقال عند القيام من كل مجلس: سبحانك

اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك. ويقال عند خاتمة المجالس: اللهم أسمعنا خيراً وأطلعنا خيراً ورزقنا الله العافية وأدامها لنا، وجمع الله قلوبنا على التقوى، ووفقنا لما يحب ويرضى ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِمْرًا كَمَا كَمَلْتُمْ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦] هذا الدعاء سمعته من رسول الله ﷺ في المنام يدعو به بعد فراغ القارئ عليه من كتاب صحيح البخاري، وذلك سنة تسع وتسعين وخمسمائة بمكة بين باب الحزورة وباب أجياد يقرأه الرجل الصالح محمد بن خالد الصدفي التلمساني وهو الذي كان يقرأ علينا كتاب الإحياء لأبي حامد الغزالي، وسألت رسول الله ﷺ في تلك الرؤيا عن المطلقة بالثلاث في لفظ واحد وهو أن يقول لها: أنت طالق ثلاثاً فقال لي ﷺ: هي ثلاث كما قال لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره، فكنت أقول له: يا رسول الله فإن قوماً من أهل العلم يجعلون ذلك طليقة واحدة، فقال ﷺ: هؤلاءك حكموا بما وصل إليهم وأصابوا ففهمت من هذا تقرير حكم كل مجتهد وأن كل مجتهد مصيب، فكنت أقول له: يا رسول الله فما أريد في هذه المسألة إلا ما تحكم به أنت إذا استفتيت وما لو وقع منك ما كنت تصنع؟ فقال: هي ثلاث كما قال: ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ [البقرة: ٢٣٠] فرأيت شخصاً قد قدم من آخر الناس ورفع صوته وقال بسوء أدب يخاطب رسول الله ﷺ يقول له: يا هذا بهذا اللفظ لا نحكمك بإمضاء الثلاث ولا بتصويبك حكم أولئك الذين ردوها إلى واحدة، فاحمر وجه رسول الله ﷺ غضباً على ذلك المتكلم ورفع صوته يصيح هي ثلاث كما قال: ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ [البقرة: ٢٣٠] تستحلون الفروج، فما زال ﷺ يصيح بهذه الكلمات حتى أسمع من كان في الطواف من الناس وذلك المتكلم يذوب ويضمحل حتى ما بقي منه على الأرض شيء فكنت أسأل عنه من هو هذا الذي أغضب رسول الله ﷺ؟ فيقال لي: هو إبليس لعنه الله، واستيقظت وكنت أراه ﷺ في تلك السنة في النوم أيضاً فكنت أقول له: يا رسول الله إن الله يقول في كتابه العزيز: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨] والقرء عند العرب من الأضداد يطلقونه ويريدون به الحيض ويطلقونه ويريدون به الطهر وأنت أعرف بما أنزل الله عليك فما أراد الله به هنا الحيض أو الطهر؟ فكان ﷺ يقول لي في الجواب عن ذلك: إذا فرغ قرؤها فأفرغوا عليها الماء وكلوا مما رزقكم الله يكني، فكنت أقول: يا رسول الله فإذا هو الحيض، فيقول لي: إذا فرغ قرؤها فأفرغوا عليها الماء وكلوا مما رزقكم الله، فكنت أقول له: فإذا هو الحيض يا رسول الله، فيقول لي: إذا فرغ قرؤها فأفرغوا عليها الماء وكلوا مما رزقكم الله ثلاث مرات واستيقظت.

ثم نرجع إلى ما كنا بسبيله من الدعاء: اللهم اغفر لي خطاياي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير، اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي، واجعل الحياة زيادة لي من كل خير، واجعل الموت راحة لي من

كل شر، اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى ومن العمل ما ترضى، اللهم أبت نفسي تقواها، وزكّتها أنت خير من زكّأها، أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من فتنه القبر وعذاب النار ومن فتنه النار وعذاب القبر، ومن شرّ الغنى، ومن شرّ فتنه الفقر، وأعوذ بك من فتنه المسيح الدجال، اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والفرع والبخل وأرذل العمر، ومن فتنه المحيا والممات، اللهم إني أعوذ بك من سوء القضاء وشماتة الأعداء ودرك الشقاء، اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وضلع الدين وغلبة الرجال، اللهم إني أعوذ بك من الفقر والقلة، اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك وفجأة نعمتك ومن جميع سخطك، اللهم إني أعوذ بك من الشقاق والنفاق ومن سوء الأخلاق، اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع، وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة، اللهم إني أعوذ بك من المرض والجنون والجذام ومن سيّء الأسقام، اللهم إني أعوذ بك من شرّ القرين ما ظهر منه وما بطن، اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك، اللهم إني أعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك لا إله إلا أنت أستغفرك، اللهم ربنا وأتوب إليك، اللهم كل ما سألتك فيه ومنه فإني أسألك ذلك كله ولوالدي، وارحمني وأهلي وقرايبي وجيراني ومن حضرني من المسلمين ومن عرفني أو سمع بذكري أو لم يعرفني، ولوالديهم وأبنائهم وإخوانهم وأزواجهم وعشيرتهم وذوي رحمهم، وللمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء والأموات، ومن ظن بي خيراً ومن لم يظن بين خيراً، إنك واهب الخيرات ودافع المضرات، وأنت على كل شيء قدير. اللهم إني قد تصدقت بعرضي ومالي ودمي على عبادك فلا أطلبهم بشيء من ذلك لا في الدنيا ولا في الآخرة وأنت الشاهد علي بذلك، وصلّ وسلّم على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما صليت وسلّمت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، وآتة الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة، والمقام المحمود الذي وعدته إنك لا تخلف الميعاد، واجزه عنا وعن أمته خيراً، فلقد بلغ ونصح وبذل جهده في ذلك وما قصر ﷺ: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الشَّرِّ مَنَ الشَّرِّ﴾ [البقرة: ١٢٦] ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا﴾ [البقرة: ١٢٧] ﴿وَبُئِ عَظِيمًا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨] ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن دُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ [البقرة: ١٢٨] ربنا وابعث فينا وارث رسولك منا يتلو علينا آياتك ويعلمنا الكتاب والحكمة ويزكينا ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩] ﴿رَبَّنَا ءَايِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١] ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْرِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠] ﴿عَفْرَانَا رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥] ﴿رَبَّنَا وَءَايِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْرِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩٤] آتنا ما وعدتنا بيسر منك في عافية حسبنا الله ونعم الوكيل ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١] ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخُلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ﴾ [آل عمران: ١٩٢] فلا تجعلنا منهم ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ

أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامِنُوا ﴿[آل عمران: ١٩٣] وصدقنا وسمعنا بتوفيقك ربنا ﴿رَبَّنَا فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا
 وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣] ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّا تَغْفِرْ لَنَا
 وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣] ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا
 تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الحشر: ١٠] ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩] ﴿أَنْتَ
 وَلِيْنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٥] واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي
 الآخرة إنا هدنا إليك ﴿رَبَّنَا ءَامِنَا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣] ﴿رَبِّ
 اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا
 الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنْ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧] ﴿رَبَّنَا
 إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعَلِّنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٨] الحمد لله ﴿رَبِّ
 اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ [إبراهيم: ٤٠] ﴿رَبَّنَا وَقَبَّلْ دُعَاءَ﴾ [إبراهيم: ٤٠] ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيْ
 وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١] رب ارحم والدي كما
 ربياني صغيراً ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤] ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ
 رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤] رب اجعلني راضياً ﴿أَنِّي مَسَّيْتُ الظُّرَّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣] ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ
 سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ
 خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩] ﴿رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ [نوح: ٥] ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيْ
 [نوح: ٢٨] ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [الأنبياء: نوح: ٢٨] ﴿وَلَمَنْ دَخَلَ بَيْتَكَ مُؤْمِنًا﴾ [نوح: ٢٨] اللهم
 خذ بأزمة قلوبنا إليك، واجعلنا ممن توكل في جميع أموره عليك، وعمنا بالرحمة التي لديك
 وفي يديك واجعلنا هادين مهدين، غير ضالين ولا مضلين.

انتهى الباب بحمد الله بانتهاء الكتاب على أمكن ما يكون من الإيجاز والاختصار على
 يدي منشئه، وهو النسخة الثانية من الكتاب بخط يدي، وكان الفراغ من هذا الباب الذي هو
 خاتمة الكتاب بكرة يوم الأربعاء والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ست وثلاثين وستمائة،
 وكتب منشئه بخطه محمد بن علي بن محمد بن العربي الطائي الحاتمي وفقه الله.

هذه النسخة سبعة وثلاثون مجلداً وفيها زيادات على النسخة الأولى التي وقفتها على
 ولدي محمد الكبير الذي أمه فاطمة بنت يونس بن يوسف أمير الحرمين وفقه الله وعلى عقبه
 وعلى المسلمين بعد ذلك شرقاً وغرباً براً وبحراً، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين
 وعلى آله وصحبه أجمعين.